مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني
الرقم المتسلسل ٢٦٨٢
رقم التصنيف
تاريخ ٨٤/٤/٢٤

العدد المزدوج ٥ ــ ٦
جمادى الآخرة ـ ذو القعدة/١٣٩٩هـ.

السنة الثانية
أيار ــ كانون الأول / ١٩٧٩م.

المشتمل

الصفحة

١ ــ كتب الانساب وتاريخ الجزيرة
للدكتور عبد العزيز الدوري ٥

٢ ــ في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية
للدكتور أحمد سعيدان ٣٠

٣ ــ تعريب العلوم الانسانية
للدكتور محمود ابرهيم ٤٣

٤ ــ اللغة والاسلوب في شعر عرار
للدكتور محمود السمره ٦٧

٥ ــ قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله
للدكتور عادل أحمد جرار ٧٥

٦ ــ مع ديوان الادب ، لابي ابرهيم الفارابي
للدكتور ابرهيم السامرائي ٩٠

٧ ــ تعريب أم اقتباس ؟
للأستاذ عبد الحق فاضل ١٠٦

٨ ــ من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية
للدكتور يوسف حسين بكار ١٢٥

٩ ــ دراسات في النظم والعقائد الاباضية
للدكتور عوض خليفات ١٤٤

١٠ ــ الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي
للمستعرب الايطالي أومبرتو ريتستانو ١٦٧
ترجمة : عيسى الناعوري

الصفحة

مـــع الكتـــب

رايات المبرزين وغايات المميزين ، لابن سعيد الاندلسي
مراجعـــة الدكتور رضوان الدايـــــه ٢٠٨

• • •

مجمعيـــون راحلـــون

١ ـــ الزميل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس
لعيســـى الناعـــوري ٢٢٤

٢ ـــ فقيد العربية الاستاذ عباس حسن
للدكتور عدنـــان الخطيب ٢٣٠

• • •

تعليقات ومناقشات

١ ـــ « تين ايجرز » = « عشريون »
لعيســـى الناعـــوري ٢٤٨

٢ ـــ اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد
للدكتـــور خـــيري الصعـــــير ٢٥٠

• • •

اخبـــار مجمعيـــة

١ ـــ نعي عالم جليل : الحاج عبد الكريم جرمانوس ٢٥٤

٢ ـــ المجمـــع العلمي الهندي ٢٥٥

٣ ـــ انتخاب اعضاء مراسلين في المجمـــع العلمي الهندي ٢٥٥

٤ ـــ المجمـــع العلمي العراقي ٢٥٦

٥ ـــ من اجل تعريب التعليم العلمي الجامعي ٢٥٦

٦ ـــ تعريـــب المصطلحـــات ٢٥٧

كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبدالعزيز الدوري
(عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ــ لا يُـراد هنا بيان اهمية النسب ودَوره في الحيـاة العربيـة ، وتكفي الاشارة الى انـه كان بصوره المتعددة اساسيا في حيـاة القبائل قبـل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعـد الاسلام . واذا كانت ظروف الحيـاة في البادية تؤثّر في حجـم الكيانات القبلية، بتحديدهـا أو بتوسيعها عن طريق المحالفـات وتداخل الأنساب، فـان الأنساب في العصر الاسلامي أثّرت فـي تنظيم الديوان ، وفي التمصير ، وفي تنظيم المقاتلـة ، كما اثّرت (وتاثّرت بدورها) بالظـروف السياسية في الدولـة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كلـه كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحـا .

ظهـرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابينَ في كل قبيلـة ، وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشـير الهمداني الى وجـود سجلات (زُبُـر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ــ ١ وص ١١١) .

وظهـر نسّابون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأُوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجـرة ، جنبَ الاهتمام بنسـب قريش خاصة ؛ كما ظهر بـين النسّابين من اهتـمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسـات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمـد بن السائب الكلبي (انظـر

ابـن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ عن اهتمام خالد القسري بهـا) .

ولـم تصلنا مؤلفات من الانساب الاّ من القرن الثالـث ، في مقدمتهـا "جمهرة النسب" لهشام بـن السائـب الكلبـي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش وأخبارها لابن أخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبـلغ الكتابة في اطار النسب أوجهـا عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وستتناول الملاحظات التاليـة المؤلفات الثلاثة المذكـورة :

٢ ـ وجمهـرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتـاب شامل في انساب العـرب (اطلعنا على مخطوطين لـه : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؛ فيـه انساب عرب الشمال، ونسب الازد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز لـه بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثـم انساب القبائل اليمانيـة؛ وعنوانه : كتـاب النسب الكبير (ونرمز لـه بـ ق ٢) .

ويبـدو أن "جمهرة النسب" جـاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ أ ، ١٩٤ أ) ، في حين أن كتـاب النسب الكبير جـاء عن ابن الكلبي مباشرة . كمـا يبـدو أن ترتيب القبائل لا يخلـو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد أول القبائـل اليمانية في جمهرة النسب ، يبـدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائـل قبل أن يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهـذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن أثـر الرواية في تناقل الكتـاب .

ويـرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معـد واليمن الكبير، تأليف محمد بـن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جـاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غـير دقيق بالنسبة لكتابنا، ولكنه لـه دلالته . فهل وضع الكلبـي كتابـا في الانساب ؟

لقـد درس الكلبي (٧٦٣/١٤٦) أنساب العـرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض ، خاصة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته واتمها في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٤٠ — ١) . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب له . الا أن الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ أ) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/٦٤ أ ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ٧١ أ) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي قد تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهًا .

وهكذا يتبين أن محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو أن عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق١/٢ب). ومن ثنايا الكتاب (ق ١/٦٠ أ : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه ، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١/١٩٤ أ) ، و « قال هشام بن الكلبي ، قال خراش : كانوا . . » ، (ق١/١٧٢ أ) و « قال هشام بن محمد الكلبي ، حدثنا ابو خباب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادى . . » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « وامه اسماء ، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة . . وكان شرقيّ بن القطامي يقول : هي الجذماء بنت علبة . . بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قولـــه باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ). ويرد ذكر بعض من أخـــذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الـــى لقيط الرواية يقول ابـــن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقـــي هشام ابن الكلبي لقيطـــا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن أعصر) يُرد:« كان شريفا لقيه ابن الكلبـــي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكـــر مسيك المرادي يرد: « قـــال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابـــو خباب الكلبي ..الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابـــن الكلبي،مثل عرفاء بن مصاد بن شريح،« وقد لقيـــه هشام بن الكلبي في زمان ابـــي جعفر وهو ابـــن تسعين سنة،وكان بدويـــا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابـــي الشعب) .

وقـــد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثـــل « وولـــد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولـــم يذكـــر الكلبي ولـــد تيـــم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنـــو الهجيم بن عمرو بن تميم ، ، وليس هـــذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ أ) . أو تـــرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبـــد الرحمن بن ابـــي ليلي .. كان مولى الانصـــار، فدخل فيهم ابـــن احيحة،في قول الكلبي ؛ واما ولـــده فقالوا اسمه داود بن بلال بـــن أحيحة » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبـــدو أن محمد بن حبيب قـــام ببعض التدقيق أو الاضافة في روايتـــه ونشره لجمهرة النسب ، كمـــا يتبـــين من بعض الملاحظات مثل « قال ابـــو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبـــي، كتبته من بعض ولـــد عطارد » (ق ١/٦٤ أ) ، ومثل « وكـــان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولـــم يكن فيه بـــدر وعتبة ، وبدر من كتاب ابـــن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابـــن الاعرابي ؛ « وفي كتـــاب ابـــن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو أبو عبد الله بن عنمة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قثمة » (ق ١/١١٣ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/٧٠ أ ، ٦٧ أ ، ٨٠ أ ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ أ) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ ــ ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى أيام المأمون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ أ) ، مع تعليق موجز أو اشارة مركّزة تبيّن دَور من ظهر في الحقول المختلفة ــ من كان شريفا او سيدا في قومه ، ومن برز في يوم من أيام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن وفد على النبي (ص) أو صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص)، خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما ذكر بعض من قُتل في أيام العرب الكبرى في الاسلام،كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة،من أمراء وعمّال، وقادة،واصحاب شرط،وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو ينوّه بمن تميّز في مجالات أخرى،مثل الخوارج ، ونقباء الدعوة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة،كالفقه والنحو والانساب . وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات أو المعلومات التي لا تَرِد عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية ــ امثلة : « منهم سعد بن

خسفان بن ظالم،كان سيد بنـــي سعد في زمانه .. وكان جاهليًّا » (ق ١/٨٤ أ ــ ب) . هوذة ابن علي بن ثمامة (من بنـــي سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية قيمتهـــا (٣٠٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهـــم (الازد) السمؤل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من أوفى العرب،وهو صاحب تيمـــاء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٤٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يـــوم أوارة ، يـــوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن مـــاء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومـــن الفترات الاسلامية ــ امثلة : « ابو رحم؛وهو كلثوم بـــن الحضين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول اللـــه في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينـــة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بـــن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهليّ اسلامي ، ووليَ حمص؛وهـــو الذي قسمها منازل حـــين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « فمـــن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« فمـــن بني بهدلة عوف بن حصين؛وهو الزبرقان بن بدر .. الذي أدى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بـــن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئـــذ البصرة (كذا) ، وهو الـــذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومـــن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي؛وهو الوليـــد بن القطامي .. النسّابة ؛ كـــان في صحابة المنصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـــان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخنس بـــن عمارة .. وكان فقيهـــا بالكوفة » (ق ١/٨٣ أ) . انظـــر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـــي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهُرون الرشيد على الشرقية ، وكـــان ولّاه الخاتم مع محمد بـــن هُرون ، وولّاه قضاء القضـــاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علـــي مشاهده .. وهو جـــد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـــو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المـــلأ يأتمرون بك » (ق ١/٨٥ ب . وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن موسى بـــن كعب النقيب) .

« ابـــو بلال مرداس ، واخوه عمرو ابنـــا مدبر بن عمرو .. وامهما ادية ، وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/٣٤١) . « راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي قُتِـــل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٩٨ب ، ١٩٩ ب ، ٢٣٠ب ، ٧٨ب ـــ ١٨٠ أ) .

« مـــن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـــو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٣٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـــد الى النبي (ص) وكـــان في الفـــين وخمسئة (من العطاء) » (ق ٢/٩٠ وانظر ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـــان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـــير الـــى الشعراء (انظـــر ق ١/٢٠٨ أ ـــ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـــ ب) ، ويورد مقتطفات مـــن شعرهـــم (انظـــر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيـــت وثلاثة ابيات ، وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـــات .

ويشـــير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايـــام العرب في معرض حديثه عن شريف أو فارس ؛ مثل قولـــه : « فمن بني عمرو بـــن ربيعة هانىء بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يـــوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ أ) . و « منهم عبّـــاد بن مسعود بن عامر، الـــذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ أ ــ ب). و « ومـــن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمـــة كليب يوم خزار » (ق ١/٢٢٨ أ) . او تـــرد الاشارة بمناسبة قتـــل شريف، مثـــل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلـــم الغساني يوم جبل فيـــد » (ق ١/١٧٢ ب) ، او لحادث ذي صلة مثـــل « ضبيعة بن الحارث بن خلف .. الذي يقول لـــه عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » ق ١/١٨٦ أ) .

ومـــن الايام التي يشير اليها يـــوم أوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويـــوم الجلاة (ق ١/١٨٨ أ ــ ب) ويـــوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ــ ١٢١ أ) ويـــوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويـــوم الكـــلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويـــوم اللصاف (ق ١/١٩٧ أ ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ أ)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويـــوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويـــوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم فيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويـــوم الآخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويـــوم النفار (ق ٢/١٦٣) ، ويـــوم الكلاب الثاني (ق ١/٩٨ أ) ، ويـــوم القرينين (ق ١/١٢٤ أ) ، ويـــوم الحاجر (ق ١/١٣٣ أ) ويـــوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويـــوم النحيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويـــوم المذيار (ق ١/١٣١ أ) ويوم ذي علـــق (ق ١/١٢٢ ب ــ ١٢٣ أ) .

ويتنـــاول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عـــن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل مـــن النظرة بأن النسب كلـــه لأب واحد ، سواء أكان هذا الدخـــول

لاسباب قبلية او معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول:« وولد زهير بن اياد حذاقة والشلل دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ١/٢٤٢ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « واكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهم باليمن » . ثم يقول « واماضنة فانهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٢/٥) . وعند الحديث عن غزارة بن ذبيان يقول ، « ومنهم بيهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١/١٧٦ أ) . وعند الحديث عن جذام يقول: « فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ٢/١٣٣) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول:« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل اشرس والديل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢/٢١٦) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول:« فولد بكر بن يشكر عامر .. وسعد وعوف والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢/٣٣٧ وانظر ق ١/٨٣ أ . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١/١١٩ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود، من حضرموت،في تميم . انظر ق ١/٨٨ أ ، وانظر ق ١/٨٧ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية،فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له اهمية خاصة . ففي اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١/١٦٥ أ ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابناء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/١٩٥ أ) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم ومـا يشمله (ق ١/٩٦ ب ـ ٩٧ أ) .

وهـو يركز معلوماته احيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد اللـه بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل، مع وصف كل خطوة،حتى ينتهي الـى مضر (ق ١/١٩٥ أ ـ ٩٦ ب) .

ويشـير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع مـن القسم ؛ قـال خراش،« كانوا يحلفون بالملـح والرماد والنار، وبذات الودع ، يريدون سفينة نـوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعنـد ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يـد أخيه معاوية يضيـف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئـة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي أول ديـة كانت في العرب مئـة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعنـد ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقـول : « وهو الذي بحـر البحيرة،وسيّب السائبة،ووصل الوصيلة،وحمى الحامي،وغيّر ديـن اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ، « وكـان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٩) ؛ وعنـد الحديث عن حجر بن يزيد بن معديكرب بن سلمة (من بني سلمة بـن الحارث) يسميه « صاحب مرباع بني هند » ، ويضيف ، « والرباع ان يأخذ الربع مـن الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخـذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويـورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المغتربات من بني هاشم ، أو اللواتي تزوّجن في قبائل اخـرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب،مـن حمير والقين وسليم ولخم وغزارة ؛ وهـو استطراد يبين سُعة الروابـط القبلية لقريش،ويؤكد مـا قيل في السقيفة من أن قريشـا أوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدهـا) . ويذكر ان قيسـا

(من ولـد منبه بن بكر بن هوزان) وهـو ثقيف كان « أول مـن جمع بين أختين من العـرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقـدم ملاحظة عن بدايات الخـط العربي في الجزيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، اخ اكيدر (في دومة من كلب) اذ يقول: « وهو الذي علّمـه اهل الانبار خطّا ، هذا الذي يسمى الجزم، وهو كتاب العربيـة ؛ وكان أول من كتبه قوم من طي ببقة، فعلّموه اهـل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ». وكـان بشر بن عبد الملك يأتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بهـا الدهر، فتعلمه بشر بن عبد الملك. ثـم شخص الى مكـة في تجارة فعلّمه أبـا سفيان بن حرب بن أمية ــ وأبـا قيس بن عبد مناف بـن زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن أميـة ، ثم أتى الطائف فعلمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثـم أتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب، ثم اتى الشام فعلّمهـم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانـا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكـر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بـن ثعلبة) يقول انهم « أصحاب النخـل باليمامة الذي يصرم في السنـة مرتين ، دعا لهـم النبي (ص) » (ق ١/٢٢٥ أ) . كما يـورد اشارات الى انتقال القبائل الـى الامصار ؛ فعند الحديث عـن عشائر الازد يقول: « وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقـال لهـا عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة مـن تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجـد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هـذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهـم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بـن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بـن الحارث (ق ٢/٨٩) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطـن) (ق ٢/٨٩ ــ ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٩٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطـن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولـد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابـو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولـد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كنـدة) ، وشجرة (بطن) من ولـد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لهـا مساجد،سلمة وهو الحر (بطن) مـن ولـد عمر بن ابي كرب (ق ٢/١٠٣) ، وبهدلة (بطن) من ولـد المثل بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمـرو يشير الى بطني جذيمة وحارثة،ولكلٍّ مسجـدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بني مسلية (بطن) من بنـي الحارث بن كعب ولهـم مسجد (ق ٢/٩٣) ويذكـر من بجيلة قيس وأوس وعود،لهـم بالكوفة مسجد،وعدادهـم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولـد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »،ويضيـف « وبالكوفة اهـل بيت وملك وهو تراغم بطن،وبرعم بطن،لهـم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ ــ ٩) . وهكذا يعطـي صورة عن بطون اليمانيـة بالكوفـة .

ويتحـدث عن اتجاه قبائل سبأ في خروجها،ويضع خبره في اطار حديث،ينسب للرسـول ، فيذكر أن سبأ ولـد عشرة،فتشامّ اربعة،وتيامّن ستة ؛ فالذيـن تشامّوا:غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا:حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذيـن منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ ــ ٦ ، وانظـر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقـة عن حركة اليمانية .

وختامـا يمكن القول ان ابـن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الاسماء ، ويورد احيانـا ملاحظات أوفى ؛ وهي في مجموعهـا تعطي فكرة شاملة عن القبائـل ورجالها البارزين في الحقـول المختلفـة .

هـذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بجهود كاسكل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المسهبة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ـ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ ـ ٨٤٧/٦ ـ ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين، كالطبري والبلاذري وأبي الفرج الاصفهاني، على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب، اتّبعه معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو أن مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال محمد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية، مثل قوله: « قال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٩) ، أو « ذكر موسى بن عقبة عن ابي حبيبة » (ص ١٠٣) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لاختلاف بينهم » ، أو « قال بعضهم » (ص ٤) . وافاد كثيرا من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عضيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ مئة سنة وسنتين (ص ٢٤١ مشيرا الى سِنّه ليؤكد اتصال الخبر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن نوفل بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » (١٠٩) ، و « اخبرنا سليمان بن

عيّاش السعدي قال » (ص ٢٢٩) . وأخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد يأخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله : « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأُخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله : « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدلّ على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسّابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي ان مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركّزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ ــ يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ؛ فيذكر أن عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويبين ان من ولد مَعدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تأكيد ذلك بقوله : « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على ان نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

عن ربيعة ومضر ويقول :« وكـان يقال ربيعة ومضر الصريحـان من ولـد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع، ومـن كان منهم بالشـام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكـر أن بجيلة من انمار بن نزار، وانهـم « انتسبوا الى اليمن، الاّ من كـان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بـن يشكر يقول « وقـد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهـم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبـين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبـين من هذه الاشارات انتساب قبائـل من عدنان الى اليمن ، ممـا يُشْعِر بتحركها جنوبا قبل الاسـلام ؛ فالاشارات اليها في الفتوح وبُعْدَها تعتبرها يمانيـة . وقد كان مألوفا في اليمـن دخـول عشائر او مجموعات في انساب غيرهـا، لضرورات زراعيـة او سياسيـة .

ولعـل اهـمّ ما في نسب قريش انـه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهـو يورد معلومات واخبارا عـن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيـد ، واحيانا المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الـى عصره .

واخبـاره احيانا وافية ومهمة ؛ وقـد يتوسع فيها الـى ما يقرب من ترجمـة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ — ٧) ، وعـن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامـر (ص ١٠٧ — ٩) .

ويأتـي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكهـا في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتـب الادب ، ولكنها

على سعتها لا ترقى الى ترجمـــة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ ــ ١) . وقد يكتفي المؤلـف بمجرد اشارة موجزة او طويلـــة الى حدث (أنظر ص ٢٢٠ ــ ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهـــو يلتفت في أخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (أنظـــر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ ــ ٩) . ويتحدث عن أخبار بعض القضـــاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيـــد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض أخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايـــام المنصور ص ٢٨٤ ــ ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمـــة تتصل بالمصاهرات وبالعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشْعِر باهمية المـــراة وبدورها (انظـــر مثلا ص ٣١٣ ــ ٣١٤) ، كما يعطي أخبارا وافيـــة عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثـــلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ ــ ٣) .

ويتميـــز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانـــه يعطي احيانا أخبارا لهـــا اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشـــارة الى وجز بن غالب يذكر انـــه « أول مَن عبد الشعرى » ، وانـــه كان سيدا في خزاعة؛ويضيف« ووجز هو ابـــو كبشة،الذي كانت قريش تنسب رسول اللـــه (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احـــدا لا يعمل شيئا الابمِرْق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول اللـــه (ص) ديـــن قريش قالت قريش،نزعه ابـــو كبشة ، لان ابـــا كبشة خالف الناس في عبـــادة الشعرى ... » (ص ٢٥١ ــ ٢) .

ولعلـــه ادق من يكشف النظرة الداخلية لمـــروان للسفيانيين في فترة معاوية،وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال لـــه:« ما أخذ هؤلاء ــ يعني بني حرب بن أمية ــ

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تنهض بحقك ، فنحن اكثر منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف « ومنا فلان وهو فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « أشهد يا مروان اني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا،ودينَ الله دخلا،وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد دون المقدمات (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة،في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول: « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فأدفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها،فلا يغيبون غائبا،ولا يموتون ميتا،ويصدقون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فأراد عاصم ان يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٥٤) . وهو نصّ يَدُلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٣٢ — ٣ ، ٣١٤ — ٥ ، ٣٢٤ — ٧) .

٦ — أما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الاسلامي،ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبـــدو ان تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداء بآل الرسول،ثـــم الاقرب فالاقرب . فهو يبـــدا بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ ــ ٢٧٨) بعد ان يمهّد لهـــا بمقدمة في انساب العرب ليصلها باجداد الرســـول،وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ ــ ٤٠) ، يليها ابـــو طالب واولاده (العلويون) (٢٩٠ ــ ٥٢٦) ، والعباس بـــن عبد المطلب واولاده (العباسيون) (٥٢٦ ــ ٦٧١) ، واميّة بن عبـــد شمس (الامويون) (٦٩٠ ــ ١١٩٦ ، و ق ٢ - ١ ــ ٤١٥) ، وبقيـــة قريش (ق ٢ ٤١٥ ــ ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ ــ ١٢٦٨) . وهكـــذا خصص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ مـــن الكتاب،ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للامويين حوالي $\frac{١}{٢}$ الكتـــاب،وللعباسيين حوالـــي $\frac{١}{١٦}$ منه،ولبقية مضر اقـــلّ من ربعه .

لقـــد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر، الا القليل منهـــا، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولـــم يتناول ربيعة واليمن،وان وجد ما يدل على ان دراسته تجاوزت مـــا في الكتاب ، الا انـــه توفي قبل ان يتـــم كتابه (حاجي خليفة ٢٧٤/١ . وفي تـــاج العروس اشـارات اليه تتعلق باليمـــن) .

تنـــاول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايـــام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ ــ ٦٧١) ؛ وهذا يسترعي الانتبـــاه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين مـــن ايـــام المأمون الى ايـــام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلتـــه بالخلفاء العباسيين من المتوكـــل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عنـــد حدود المعاصرة ؟ ان شيخـــه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايـــام المعتصم ، وان بعـــض معاصريه،كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري، تناولوا هـــذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . ام ان البلاذري سار على هيكل اهـــل

النسب مثل مصعب الزبيري وابـن الكلبي ؛ لقد بـدأ تقليص العرب في الديـوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يحصـل جديا الا ايـام المأمون ، ثم جـاء المعتصم فأسقط العـرب من الديوان . وهذا يعنـي ان تسجيل المقاتلـة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،ممـا يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيـا في الهيكـل والتدرج .

وتبـدو ميزة انساب الاشراف في انـه قـدم تاريخا للأشراف العرب في مختلف الحقول ، مـع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقـه وشموله .

٧ ـ وقـد افـاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة ـ مـن اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانسـاب . ولئن كان هيكله هو اطـار الانساب،فان عناوينه الفرعية للأحداث الهامة في فترة كـل خليفة،تذكّر بعناوين كتـب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمـات الاشراف متأثر بخـط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائنـي (٨٣٩/٢٢٥) شيـخ الاخباريين ، وابـن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحـب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابـن الكلبي .

افـاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابـي مخنف (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبـه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة مـن المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة او بالنقل من كتبـه) . ومن دراسات اصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابـن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افـاد من اهل الانساب ، خاصـة ابـي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنـه هشام،ومصعب الزبـيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه ومن روايات شفوية اخرى ، وافاد من اسفاره في جمع روايات محلية موثقة من اشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والمدينة، اضافة للمدن العراقية .

والبلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رأيه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية بأسانيد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبرا متصلا . ويبدو أن النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين، واصحاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق في السيرة، او ابي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكمّلة او مباينة ، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبداها بـ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتمّ اخباره ، وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركّز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الأمة في الفترات الاولى ؛ كما انه يعطي اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّها بروايات اخرى خارجية .

ويدقق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير (مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) . وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخـوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاهـا في صدر الاسلام ..

ان ثقافـة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبـه الشعرية ، تشير الى انـه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلاميـة، وبالثقافات الاجنبية؛ هذا مع تركيزه على احوال العـرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتمامـا بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية في اخباره، ويتوسّع فيمـا يورد من مقتطفات شعرية، وإن تحاشى ايراد القصائد المطولـة .

وليس هـذا مجال تحليل كتابه الضخم ، بـل يكفي ايراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفـاء) .

٨ ــ ان ميـزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخـا للأشراف العرب في تراجمهم، كلّ في موقع نسبـه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هـذا التاريخ ، ويرى في الاشراف مركز الاهميـة من هذا التاريخ ، ويعبّر عـن النظرة الاجتماعية لهـم عند العرب . وهو، في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثـار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجـم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمـه واسعة تسترعي الانتباه، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٩٩٤ ــ ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ ــ ١٢٥٨ اضافة لاخباره ايـام عبد الملك والوليد) ، ولبعض الفصحاء والشعراء، مثـل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٣ ــ ٦) وأكثم بن صيفي (ص ١٠٧٣ ــ ١٠٨٣) والفرزدق (ص ٨٧٦ ــ ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ ــ ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ ــ ٩٩١) . وقـد يفيض في الترجمة أكثر من المعنيّين بحقـل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ ــ ١٣)، وهو بذلك يكشف جانبـا من اهتماماته الادبيـة .

وفي انســـاب الاشـراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخـــول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخبـــاره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منهـــا حسب دور المترجـــم لـــه .

ويُعْنَـــى البلاذري بأمور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاســـلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخـــر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عـــن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقـــول : « قيل ما ساد قريش مُمْلِق غير عتبة وأبي طالـــب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظـــر اخباره عن محاولة عثمان بـــن الحويرث أن يتراس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثـــل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ ـــ ٦٠) .

ويهتـــم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يـــوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ ـــ ٦ ، ٩٠٣ ـــ ٤) ، ويـــوم غيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويـــوم قحقح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ ـــ ٩٣٠) ، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ ـــ ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ ـــ ٥) ، ويـــوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ ـــ ١) ، ويـــوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ ـــ ٢) ويوم النسار ويـــوم الجفار (ق ٢ ص ٧٣٨) ، وأيـــام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويـــوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ ـــ ٢) ، ويـــوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ ـــ ٣ و ق ١ ص ٧٠٠) ، ويـــوم الحريرة أول أيـــام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويـــوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٥) ويـــوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ ـــ ٣ ، ٨٥٧) ويـــوم أوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ ـــ ٧) ويـــوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويـــوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويـــوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ ـــ ٢ ، ١٠٢٣) . هـــذا، وترد اشارات اكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

خـــوز(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٣) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويـــوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويـــوم سلمان (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـــو يورد مقتطفات في مواضع عـــدة من نقائض جرير والفرزدق (انظـــر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـــر من مصدر في أخبار الايـــام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفـــق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـــلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنـــه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشارة الى ابـــي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقـــد يأخذ عن راوية من البـــدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) أو يكتفي باشارة عابرة (مثل « قـــال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـــام توازي روايات محمـــد بن حبيب (عن ابـــي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصة .

ويتحـــدث البلاذري عن الشؤون المختلفة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـــي ثعلبة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ ــ ٦ ، وانظر ٩٣٠ ــ ٢) ، الى احلاف (مثـــل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧٢٢ ، ٧٢٨) ، أو محاولات ثـــأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يـــد بني اسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ ــ ١) أو شـــؤون أخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـــة الموسم والافاضة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ ــ ٢) ، بـــل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـــة الردف ، وامتيازاتـــه (ق ٢ ص ٩١٧ ــ ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـــة الاهمية عن الحياة الاقتصادية خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٣ ، ٩٨٨ ، ١٠٠٧) بما في ذلك اثـــر الجفاف في البادية على ميـــاه بعض القبائـــل

وحركتها ، كما يقـدّم معلومات ثمينة عن نظرة العرب للأرض، وعن تحوّل الاشراف الـى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في طليعـة المؤرخين الذين اهتموا بهـذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انـه يعطي معلومات غنيـة في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالهـا من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لهـا في الشمول والتفاصيل والدقة (وإنْ قارَبَها الطبري احيانا في السعـة) .

٩ ــ ويستنـد البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابـي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنـه عادة بعبارة : قـال ابـو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) أو « وفي رواية ابـي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكـد الاشارات الى اهميته ودوره فـي النسـب .

كمـا انـه يأخذ كثيرا عن ابـن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنـه) أو بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعـا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيـه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام،او بالاخذ عنـه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمـد بن السائب في الانساب ؛ وهـو يأخذ عنه احيانـا دون اشارة واضحة،مثل تعقيبه : وقـال غـير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبدي تفضيله لـه حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي اثبـت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كـان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية،فانـه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخبـاره على مصادر متعددة،فيبداها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدهـا) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحٰق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتلميذه محمد بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير-حوالي ٤٠ رواية) ، اما ابن اسحٰق فيرجع اليه بقدر متواضع-٤٣ رواية) . وكمثل لذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى أن صلب معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف »؛ فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول أن يكون موضوعيا ؛ ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ــ في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وأُلقيت بحوث ومحاضرات ، واشترك في هذا المضمار باحثون أجلاّء ، من العرب ومن غير العرب .

يبدو لي ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوىء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوى التعريب ، فغاية الامر عندي ان يقال له : فعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ واذا كنا قد أجزنا ان نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، أن نتجاهل حجج المعارضين ودعاواهم . وغنيّ عن البيان أن دعاوى المعارضين تجملها تساؤلاتهم : اين المصادر العربية ؟ واين المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم اين الدوريات العربية العلمية التي فيها ننشر ابحاثنا ؟ انهم ،بايجاز، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي أن نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكني أبادر الى القول بأن تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تخفي وراءها غير ما تظهر . وانسي ، وقد سبق أن خضت مع زملاء لي معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين ان ما لا يظهره المعارضون هو التهيّب والتحرّج : معلّمٌ تَعَلَّمَ بالانكليزية ، وهو الآن بها يعلّم ؛ فَهْمُه لها محدود ، وفهمُ طلابه له اقلّ القليل ؛ ولكن الامر مُستور ، فلماذا يخوض هذا المعلّم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها الصارمة ؟ انه يخشى أن يعلّم بلغة قد يتقنها طلّابه اكثر منه . ان دافع المعارضين الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى ان المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلميّة تحت متناول يد القارىء العربي أمر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ ــ ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها أن التعريب خطوة سياسية ينبغي أن تأتي بقرار سياسي من عُل . وفي يقيني ان هذا القرار يعطي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف من فشل التجربة الاولى، لمجرد أن الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لمثل هذا التحرّج الذي اشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يأمر بالتعريب ، نبقى بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، وترقب، من حيث تشعر أو لا تشعر، تنفيذه ؛ ونبقى أيضا بحاجة الى خطوات تهيّىء الاسباب للبدء به وللسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي أُلمحتُ اليها . ولأبدأ بثانية الخطوتين :

أقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كلّيته .

وسئل الرئيس : هل اقر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولـه ! ان للكلية الحق في ان تعلم بالعربيـة اذا هي ارادت .

ولما عرف اعضاء هيأة التدريس في كليـة العلـوم أن رئيس الجامعة يساند التعريب ويلحّ بطلبه ، ارتفعت أصوات الداعين لـه ، وخفتت أصوات المعارضين . وانّ كليـة العلوم في الجامعة الاردنيـة تتطلع الآن لأن تبـدأ التعليم بالعربية ، في العـام الدراسي القادم ، في السنة الجامعية الاولى ، على الاقـل .

ولا شـك أن خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا خطوة سبقتها ومهّدت لهـا السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمـع اللغـة العربية الإردني ، واكثرية أعضائه مـن رجالات الجامعة الاردنيـة . ذلك أن المجمـع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلـوم الاساسية ، اختارها أساتذة كليـة العلوم انفسهم على أمـل استعمالها في السنة الاولى الجامعية ، وبعض الثانيـة .

وقـد أُعْلِمَت الجامعات العربية والمجامـع اللغوية بهذه الخطوة التي خطاها مجمع اللغـة العربية الاردني ، وتوالت على المجمـع كتب التأييد والتشجيع من مختلـف الجامعات والجهـات .

٣ ــ ولكنْ غنيّ عن البيان أن أمـر ترجمة الكتب العلمية لا ينقضي بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا الف ؛ انه عملية متواصلة دائبة، لها بداية ، وليس لهـا نهاية .انها تمشي مع التعليم الجامعي جنبا الـى جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيـل الـذي يليـه .

في اوائـل هذا القرن ، قـام واحد من رواد ما يسمى بالنهضة العربية الحديثة ، بترجمة كتـاب انكليزي في الهندسة المستوية . ولعلّ اكثرنا يذكر الكتاب ، فقـد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب « هول واستيفنز » . ولقـد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن فـي

مدارس الشرق العربي . ولقد نفـد الاصل وتوقّف عن الطبـع ، وظلّت مـن بعده الترجمة تُطبَع المرة تلـو المـرة .

مثـل هذا لم يعـد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر يتطور فيـه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للنـاس ؛ فما من كتاب علمـي يصمد لرياح التطور أكثر من خمس سنـوات ، يُعَيِّدَها او قَبَّلَها يُطرَح علـى الرفّ ان لم يبادر المؤلـف الى تجديده على نحو يتّفق مع ما استجـدّ من معلومات وخبرات ومفاهيم وأذواق . لـذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق،ويزحم بعضها بعضا : فما كان يُعَـدّ كتابا موّفقا بالامس ، يَسقط اليوم في الميـزان .

وليس هـذا التغيّر المستمر نقصا في الفكـر العلمي ، ولكنه من طبعه وطبيعته ؛ فـاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطـوّر هدف العلم . والتطـوّر في مقاييس العلم هو الحياة ، والحياة هـي الخلود . نظرتان مختلفتان،ولكنهما تلتقيان في الافق البعيـد .

ممـا تقدم نَخْلص الى أن ترجمة الكتب التعليمية عمـل ينبغي أن يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهـذه ضرورة تزداد الحاحا كلّمـا مضينا قُدُمـا في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه أن نبقـى مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيّـار التطور العالمي .

فـاذا اضفنا الى هذا السيل من الكتـب التعليمية الذي تفرزه المطابع ، كتـب البحوث العلمية والدوريات وامهات المراجع ، نجـد اننا أمام امـر جلل يفوق كل وصف . قُدّر ما تخرجه مطابـع العالـم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، ما لـو جمع في مجلد واحد لبلغ هذا المجلـد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبـة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكـر العالمـي ، والقارىء العربي لـه علينا واجب تقريب هذا الفكر اليـه ؛ وهذا واجب لا بـد من الاضطلاع بـه اذا كنا نبغي ان تكون الاجيال العربية

على علـم بروح العصر ، وعلى فهـم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب يستلزم ترجمة دائبـة متصلة .

انني ارجـو الا يظن انـي في تحمسي للترجمة خلطـت بين مهمتين : ترجمـة الكتب التعليمية من أجـل التعريب ، وترجمة الفكر العالمي الذي يستهدف خلق أجيال عربيـة تضيف الى موروثهـا الفكري والحضاري، الذي نعتز بـه، فهما ووعيا لروح العصر الـذي نعيش فيه . صحيح أن هنالك فرقـا بين المهمتين ، ولكن يخطىء من يظن أن التعليم يمكـن أن يمضي سليما بمعزل عن الحيـاة ، او أن العلم في اي عصر يمكن أن يُفْهَم الفهـم الايجابي البناء بمعزل عن فكـر ذلك العصر . انـه يكون كثمرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلـوة فانها تطعم آكلا واحدا ، امـا الشجرة فتطعم الناس أجيالا واجيـالا، وتفيء بظلها على كل مستظل . اني اتمنى أن يكون تعليمنا ، لا ثمـارا يتخطفها الآكلون ، بـل أشجارا تؤتي أكلها الشهي وظلها الظليل ورونقها الغض النضير . لعل من نقائض نُظُمنا التربوية القائمة انها تقدم ثمارا شهية اكثر مما تغرس اشجارا نديـة .

٤ ــ نحـن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هـو واجب الترجمة . وامـر الترجمة لا يجوز أن يبقى فوضى بـلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة اقليمية ، وكيلا يهدر الوقت والجهـد بترجمة الكتاب الواحد اكثر مـن مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميـدان مصطلحات متضاربة تدخلنـا في دوامة المقابلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلـة .

المطلـوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعـات العربية ، وتباركها المجامـع اللغوية . والترجمة لا تتـمّ بمجرد أن تُنْقَل مـادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بـد من طباعة ، ثم لا بـد من نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامـع بالترجمة ، ثم تسلم أمرها الـى دور النشر التجاريـة ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهـو لا ينبغي أن يكون في الكتـب التعليمية التي نؤلفها او نترجمها لابنائنـا الطلبة وزملائنا المعلمـين .

اذن تُحْسن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتب للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ ــ أرجو الا يغيب عن البال ان الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن أجل التعريب جئت أطرح فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيّ عن البيان اننا لا ينبغي أن نؤجل التعريب الى أن نترجم وننشر ، ونُقيم في كل جامعة أو مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر . ان ما اقدَمَ عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة فيها كثير من المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن المعلم في الجامعة الاردنية من أن يمضي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك أن تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن أن يمضي بدونها ، ولو مرحليًّا .

اليس أمرا هيّنا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية المطاف نرجع الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول لطلابي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، أجدى واضمن لفهم الطالب من أن أحاضره بلغة لا يفهمها ، ثم اسلمه الى كتاب يُحَوّل درسَ العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني على يقين أن الرجوع الى كتب اجنبية أمر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت الكتب المترجمة ؛ وهو أمر سيتزايد كلما صعدنا في سلم التعليم الجامعي .

٦ ــ ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هيّنة ، وانما هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولذا فاني ، في سبيل التفكير فيها تفكيرا صافيا بَنّاء ، احلّلها الى عواملها الاولية . ومن عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعبارة أخرى : ابحث في امـر الكتب التي تترجم ، وامـر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمْـر نشر هذه الكتب .

أ ـ امـا بصدد الكتاب الذي يترجَم ، فبين البيروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عـام يقوم باختيار الكتب،فيوقعنا في بـطء الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبـادرات الفردية ، كأن يقوم كلّ مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو لـه ، ثم اذا بنا نجد للكتاب الواحد اكثر مـن ترجمة واحدة ، ارى ان نختـار طريق المركزيات المحلّية . ففي الاردن ، مثـلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يوصون بترجمتها من أجـل التدريس ، فيعرضون قائمة بأسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكليـة ؛ فاذا اقتنع المجلس بجـدوى الترجمة ، آخذا بعين الاعتبار عمـر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التأليف من ناحية اخرى ، يتقـدم بطلب الى مجمع اللغـة العربيـة الاردني ؛ فاذا اقـر المجمع الترجمة،يخبر بذلك الجامعات العربيـة والمجامـع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فـاذا انقضى سنتان ولم يظهر الكتاب ، تصبـح الجامعات والمجامع في حلّ من امـر ترجمته .

/ فمـا المشاكل المنظورة التي يمكن ان تقوم في وجـه هـذا الترتيـب البسيـط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجـد الى جوارها مجمعا مستعدا للاشراف على ترجمة مـا توصي بترجمته من كتب وعلى تمويلـه ، يمكـن أن تستعيض عنـه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كـي يتولى مهمة المجمـع هذه،مستمدا سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حـق الترجمة ، اذا امكن ، امـر ينبغي ان تسعى اليه المجامـع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنـا اننا لم نرتبط عالميـا باتفاقية حق المؤلف والناشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلـف او الناشر او كليهما اننـا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعـد ذلك مأخذ قانونـي .

ثالثا : ان النظرة الواقعيـــة قد تغاير توحيد الكتاب الجامعي فـــي جميع انحاء العالم العربي . ولعـــلّ في ان يُتَرْجَم في الموضوع الواحـــد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فأبناؤنا بحاجة الى كتـــب مقررة والى مراجع ؛ وإن مـــن الخطر ان يكون ثمـــة مرجع واحد يرجع اليـــه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر مـــا ينبغي ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استُعمِل كتـــاب مؤلَّف محلّيًّا،فينبغي أن يحرص مكتـــب الترجمة ان يكون هـــذا الكتاب من مستوى جيـــد متجدد ، فاذا لـــم يجدَّد وجب تغييره بدون تردد . ان لـــم يكن ما نؤلفه للجامعة في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيـــه .

خامسا : بالتأكيـــد : ما كل ترجمة مقبولة ، لا من حيث اللغـــة ، ولا من حيث المحتوى ؛ فكـــل كتاب يُترجَم او يُؤلَّف ينبغـــي ان يُعرَض على لجنـــة تقييم تشـهد بسلامة لغتـــه وصحة ترجمته .

ب ــ نأتـــي الآن الى اختيار المترجمين : فهؤلاء طبعا من اساتـــذة الجامعة ، كل في ميـــدان تخصصه . والاساتذة منهم قلّـــة يقدرون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرون . امـــا اولئك الذين يقدرون على الترجمـــة فقد اوتوا موهبة عالية،هي القدرة على فهـــم لغتين فهما صحيحـــا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صحيحـــا . مثل هؤلاء قادرون على ان يكتبـــوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت عالية . فان لم يكن المـــردود المادي للترجمة مجزيا ، فسيفضّل هؤلاء أن ينصرفوا الى كتابة المقـــالات ؛ وان هـــم لم يترجموا فكل ما ندعو اليه مآلُـــه الفشل . لذلك لا بـــد من حافز سخيّ يحفزهم للترجمة . واول مـــا يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمـــة الناجحة مبررا قويا للترقية . انـــي اقولها بكل ما املك من قـــوة : مهما بلغ ترحيبنا بالبحوث الجامعيـــة الاصيلة ، فـــان الترجمة الناجحة اكثر منهـــا فائدة وادعى للترحيب . ولـــذا فاني ادعو الى جعلها مميَّزا يُستَدعي الترقيـــة .

امـــا الذين لا يقدرون على الترجمة ، فـــلا ينبغي أن ندير لهـــم ظهرنا ؛ ذلك ان الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومـــن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولـــذا فعلى المسؤولين عن امـــر الترجمة اخـــذ هؤلاء بكثير من الصبر والحكمة والاناة،عساهم يغدون بعد حين أحســـن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة أن تساعد على تخريج أجيـــال ممـــن يتقنونهـــا .

وبصـــدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقـــوّة أن يكون من مساقات كل قسم مساق واحـــد على الاقل يقتضي أن يقوم فيـــه الطالب بترجمة كتاب ، أو فصل من كتـــاب ، أو بحث في ميدان تخصصه . ويمكـــن أن تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خُطِّط لمثـــل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبْذَل فيه من جهـــد مثمرا اكثر مما نتصور .

وأود أن اشير الى العـــدو الرابض في المحتـــل من أرضنـــا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغـــة بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغـــة اكثر الفكر العالمي الرصين،وكوّنوا لهـــم مكتبات تنافس اغنى المكتبـــات .

فـــاذا تصوَّرنا نشاطا في ترجمة الكتب العلمية مـــلء العين ، تنظّمه وتشرف عليه مكاتـــب متخصصة ، في رحاب مجمـــع لغوي أو جامعة ، وترجمة اخرى جـــادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ، لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل مـــن المصطلحات العلمية ، منهـــا المعرَّب ومنها المترجم ،ومنهـــا القديم ومنها المستحدث ، ومن هـــذا المستحدث ما قد يصمد وما قـــد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضـــه اللسان . ومع هذا السيل الـــذي يتدفق في كل قطر ، مَن ذا الذي يضمن الاّ نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالَ السياســـي ؟ !

الـــذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هـــذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على المجامـــع اللغوية ، كيما تساعـــد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلـــى رفض ما لا تراه مناسبـــا .

واذا كنـــا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطلب أن يمضوا قُدُما في ما يرونه مناسبا من تعريب أو ترجمـــة للمصطلحات المستحدثة ، واذا كنـــا ندرك أن مفاهيم بعض المصطلحـــات يعتريها ما يعتري العلـــوم ذاتها من تطور ، فينبغي الا نتردد قيـــد انملة في اشاعة ما تُقِرّه المجامـــع اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالحاح على الالتزام بـــه ريثما يأتي ما هو أحسن منـــه . ليست الغاية التي نستهدفها قطع الطريـــق على استحداث المصطلحات ، ولكـــن الغاية أن نعمل على توحيدهـــا في العالـــم العربـــي .

ومكتـــب التنسيق، الذي يقوم بهذه المهمة خـــير قيام، ينبغي ان يكون من العلميين المتخصصين الذيـــن يشاركون في الترجمة ذاتهـــا ، ويعرفون عـــمّا يتحدثون . لـــذا أرى أن يكون هو نفسه مكتب الترجمة : ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى المجامـــع .

جـ ـ وبعـــد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

أمـــا الطباعة فتتولّاها المطبعة ، والتكنولوجيا تولـــي الطباعـــة اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن احدث مطبعة نجده بعـــد سنتين قد فاته قطار التطور السريع . ومـــع تطور الطباعة يأتي التفنّن بالتلويـــن والاخراج وعرض الكتاب على نحـــو جذاب . ولقد اقنعتني الخبـــرة العملية والممارسة أن المطابع المحلية تجـــد اسهل عليها وأقل كلفـــة أن تلبي الطلبات المتزايدة : مـــن اخراج جذاب ذي الوان وتجليـــد ، باللجوء الى مطابع في اثينا أو روما . وهذا امـــر مؤسف ، ولكن لعـــلّ علاجه من شأن المطابع المحليـــة . علينا ان ندفع بها للحاق بالركـــب ، وهي عاجلا أو آجـــلا ستستجيب .

ولكـــن الطباعة غالية التكاليف ؛ انها تبلغ أربعـــة اضعاف ما تكلفه الترجمة . واذا كـــان الكتاب الذي يترجم سيعطى الى عـــدد كبير من الطلاب ، ضَمِنّا أن تُستَرَدّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلّمـــا يتوافر مثل هذا العـــدد في غير السنة الاولى الجامعية . امـــا في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا تتحمّله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزّات مبعثها التغيّرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يُسند بعضُها بعضا على نحو يُتّفق عليه وتُوقّع بصدده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تسند الدولُ العربيةُ الغنيةُ مكاتبَ الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع أعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزوّد كلُّ مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغيُّر السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، أن يكون بامكان كل مكتب أن يُقْدِم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف أن عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة أعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي بأسره .

اخلُص مما تقدّم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزّع فيها اعباء الترجمة ، وتُحدَّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل اني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات باكثر من لغة اجنبية واحدة . وانا أبيح لنفسي أن أنصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وانـــي انظر في هذا الامر نظرة واقعية ، توامها النقاط المحددة التالية :

١ ــ ان طلابنـــا ياتون الى الجامعة بعد سنوات عـــدة ظلوا فيها يدرسون اللغـــة الانكليزية مع موضوعات تعليمية أخرى . فهـــم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم أولا : لـــم تتح لهم فرصة التحدث بهـــا بالقدر الكافي ، ولا فرصة استعمالهـــا في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هـــم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلميـــة .

٢ ــ في تقديري أن اي مساق يعطى لهؤلاء الطلاب في اللغـــة الانكليزية لا يرفـــع من مستواهم بالقدر الملموس ، ســـوى مساقـــات تنصبّ على دراستهم والتحدث معهـــم في موضوعاتِ تخصصِهم العلمية . هذه المساقات تعرّفهـــم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنهـــا ، كالمساقات التقليدية التي سبق لهـــم أن درسوها في المرحلة السابقـــة ، لا تحسّن مستوى توظيفهم للغـــة في شؤون الحياة اليوميـــة .

٣ ــ ان مـــا يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حـــد ملموس باللغـــة الانكليزية،تحدّثًا وكتابة،هو ارسالهـــم للعيش في محيط انكليزي لمـــدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليـــوم للتعلم في بلـــد لا يعرفون من لغتـــه كلمة واحدة ، ثم هـــم بعد ستة أشهر يصبحون على علـــم بلغته يمكّنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ ــ وغنـــيّ عن البيان أننا نتمنى أن يحرص جميع ابنائنـــا على الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننـــا نعلم أن هذه أمنيـــة لا تتحقق الا بقدر محـــدود .

مـــن هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة اجدني مقتنعا بهـــا ، هي ان تعريب التعليـــم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق تمهيدي باللغـــة الانكليزية ، يعرّف الطالب باهـــم المصطلحات العلمية وبعض التعبيرات ؛ ثـــم مساقين او اكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية ايضـــا ، يراعى

فيهما الالحاح علـــى استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيهـــا ، يخرج لنـــا طلابا اكثر ممن نخرجهم الآن اتقانـــا لموضوعات تخصصهم، واقدر ايضا على استعمال المصـــادر الانكليزية العلمية . فمن شـــاء مزيدا من معرفـــة الانكليزية فليعش في جـــوّ يتيح له ان يتعلم المزيـــد من الانكليزية تحدثا وكتابـــة .

ولا ينبغـــي ان ننسى اننا اوصينا بان يكون من واجبات كل طالـــب في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغـــة الانكليزية،استكمالا لمتطلبات تخرجـــــه .

ارجـــو ان اكون قد وُفّقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض الحلـــــول .

د. أحمد سعيدان

تعريب العلوم الإنسانيّة

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود ابرهيم
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سِمَة من سمات التراث العربي كلّه . فمنذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية ، محور ما أُنتج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت . وحين أتت دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان ، فردا ، وعضوا في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . وقد كُرّم في النصوص القرآنية ، كما لم يُكرَّم في اي نص . فلا عجب اذن أن تكون الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام قد رُكّزت تركيزا خاصا على الانسان ، حتى ليصحّ القول إن من خصائصها الاولى اهتمامها بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والنواميس الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا أن يستعرض النتاج الغزير لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتغلغلَ العميق في أحاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى أن شأن الدراسات الانسانية عند أية امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات الانسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في حين أن الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، اذ هي نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولذا فان قِيَم الامم ومُثُلها وقواعد

اخلاقها ، انما تتراءى فيما يصدر عنهـا من دراسات انسانية ، قبـل اي نوع آخـر من الدراسات . ومعنى ذلك . أن العلـوم الانسانية لأية امـة ، ينبغي أن تكون منبثقة عن ذاتهـا ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الأمـة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتهـا حضاريا في امـم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلـق كلّ امـة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فـلا تطّلع على ما لدى الأمم الاخرى ، وانمـا المقصود أن يُكيَّف ما يؤخذ عن الآخريـن مما يُستَحْسَن ويُقتَبَس، حتى يصطبغ بصبغة الأمـة المقتَبِسة ، ويندمج في مُثلها وقيمها ، لكـي يكون عنصر إثراء واغناء ، لا عنصر تسلّـط وطغيـان .

ولقـد مـرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عنـد الآخرين ، حينما اختلطوا،زمـن العباسيين،بشعوب اخرى ذات تـراث حضاري عريق ، فترجموا عن كُتُـب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا عن كتـب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانـوا قادرين على أن يستوعبوا ما اخذوه عـن الفرس واليونان معـا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهـم كانوا في مرحلة ثقـة عارمة بالنفس جَعَلَتْهم قادرين على ان يطوّعوا مـا يأخذونه عن الآخريـن لعقيدتهم وقِيَمهـم ، بعد أن طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهـم اذ ذاك بأنهم كانوا يدينون بخير عقيـدة ، ويتكلمون خير لغـة .

ومـع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العـرب في تلك الحقبة عـن الآخرين في نطـاق العلوم الانسانية ، يرى انـه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امـر طبيعي متوقّع،لان ما كانـوا يفتقرون اليه من العلـوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسّ ،

كما ذكرنا آنفـا ، ذوات الأمم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين أن اعتزاز العـرب اذ ذاك بما لديهم من قيـم انسانية منبثقة عن عقيدتهـم ، كانت تشعرهم انهـم في غنى عما لدى الآخريـن ،

وانهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبهم أن ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي أن نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا ثقة اسلافنا بالنفس ؛ بل على النقيض من ذلك ، كنّا — وما نزال لسوء الحظ — نشعر بتفوّق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية ضمن ما نأخذ ، نتعرّض ، اذا لم نُحسن التنبُّه ، الى مخاطر إحلال قواعد محلَّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية اخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد أن كادت حضارة الغرب ، بما توافر لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد أن وُلِّدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالاحباط عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق عن هذا الشعور من هوانٍ على النفس ، ونقدٍ قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال أن القضية غير قائمة اصلا ، أو هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلح على تسميته ب « العلوم الانسانية » ، تُدَرَّس فعلا باللغة العربية في الاغلبية الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ؛ ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يصبح

بوسعنا القول بأن هذه العلوم معرّبة فعلا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ ــ ان اللغة التي تدرَّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات أجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها أبناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ ــ ان المصطلحات التي تُستَعمَل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى أخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بألفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تَلَقَّى فيه استاذ المادة ثقافته .

٣ ــ في كثير من الجامعات العربية ، لم تجر محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربيّ مقابل سَبَقَ أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن أن تتوافر في مفردة جديدة على الأذن العربية .

٤ ــ وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك الناقل للخلفيّة الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر أوروبي أو أمريكي ، ولا لمدى تواؤم هذه المادة مع المجتمع العربي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي أن يكون على علم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقَدَّم المادة الى الطلبة ، وهم على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، وبمدى تواؤمها مع مجتمعهم .

٥ ــ وقــد يحدث ان يكون الناقل ــ مترجمًا كان ام مدرِّســا ــ لا يتعاطف فكريا ووجدانيا مع المجتمــع العربي الذي ينتمي اليــه ؟ بــل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمــع ، وما ارتبط بــه من نُظُم وقواعد وقِيَم ، ومن التطورات التي مــر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هــم مدرسو العلوم الانسانية الذيــن كانت جميع دراساتهم التاليــة للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبيــة لا تُعنَى اساسا بالمجتمــع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط بــه وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي فــي هذه الجامعات وهــو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمــع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انــه يعرف بحكم دراسته اشيــاء كثيرة عن المجتمعــات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة ، الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلــده للعمل فــي جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمــه الى طلبته ، أن طبيعة المــادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بــل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

والخطــر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تداخل القيــم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيــم والقواعد احيانا ، يُحــدِث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوسٍ غضّة كنفوس الطلبــة ، تكون في دور التطلّع الى القيــم والمثل والانتماء التي تنبني عليها المواطنة الواحدة في البلــد الواحد ، او الانتماء الواحد في الأمــة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبــة العرب ، وامــة العرب .

التعريب في صورته الصحيحــة :

ايّ نــوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردنــاه تعريبا سليما بريئــا من الثغرات والمحذورات المذكــورة آنفــا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات،كما اوضحت آنفــا ، هي ، الى حــد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريــده للعلوم الانسانية التــي

تُدرَّس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، ينبغـــي أن يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب بمقتصر على أن تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة السليمة ، بل لا بـــد كذلك من أن تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، أن اللغـــة العربية يمكن أن تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يُنشَر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه أن يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من أي نوع أنـــه قادر على أن يجد المرجع الـــذي يقـــرأ فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما أنـــه قادر على أن يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرِّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

المـــــدرس :

كثـــيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في مـــواد دون أخرى ، هو أمنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غـــير قادر على أن يدرِّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد أن تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان،وما يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مُعَدّاً لان يُدَرِّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر أن يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول بعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثبت كثيرا للتمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ــ اذا افترضنا اولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية اطلاقا ، لانه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد مدرسي العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تضاءل الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ، ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بأن يستبدل به مدرسون عرب ، وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا باس من ان يدرِّس جزءا من المنهاج في اطار مادته باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرِّس اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية يلقيها مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مبادة النصوص الاستشراقية المكتوبة بتلك اللغة .

٢ ــ اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس بلغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتسق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الوحيدتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب بلغة البلد الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنـــا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعـــي على أن يدرس باللغـــة العربية ؛ ويُرَدّ على ذلك ما يلـــي :

ا ــ لا يمكـــن الادعاء بأن انسانا نشا في مجتمـــع عربي ، ودرس مـــدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العـــام باللغة العربية (هذا اذا لـــم يدرس بعد ذلك في ايـــة جامعة عربية) يمكن أن يكون اعجميـــا غير قادر على الابانة ، لمجرد انـــه قضى بضع سنوات من عمره في بلـــد اجنبي . وحتى ان تَعَثّر هـــذا المدرس في بداية تدريسه بلغتـــه القومية ، فان الممارسة والمـــران كفيلان بأن يزيلا هـــذا التعثّر تدريجيا ، الى حـــين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ مـــا ينبني على التعليم باللغة القومية من آثـــار ايجابية على المتعلمـــين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهـــم القومية أُضعاف تفاعلهم مع افكـــار تقدَّم اليهم بلغـــة اجنبيـــة .

٢ ــ وحتـــى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر ودقـــة في اللغة العربية ، يُقتَرَح مـــا يلـــي :

أ ــ استحثاث هؤلاء المدرسين علـــى مطالعة الكتب المكتوبـــة بالعربية ذات العلاقـــة بتخصصهم ، ولا سيما كتـــب التراث العربي ، التي تقدّم نثارئها افكارا ومـــادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بمـــا في ذلك المصطلح الفنـــي العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منـــه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس، بالطبع ، أن يستفيـــد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانســانيـــة .

ب ــ اتاحـــة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المـــواد في الجامعات العربيـــة ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهـــد باستعمال اللغـــة العربية في التدريس ، أن يشـهدوا تدريس هذه المـــواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسهـــا

باللغـــة العربية ، وان يشاركوا هـــم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبـــة الجامعات العربية حديثة العهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرّسيهم ، فرصـــة الاستماع الى مدرسين زائرين ألِفـــوا التدريس بالعربية ، وهـــم يحاضرون بهذه اللغـــة .

جـ ــ تنظيـــم دراسات للتقوية في اللغـــة العربية تُعَـــدّ خِصّيصا لمدرسي العلـــوم الانسانية ، ويُعْتَمَـــد فيها على نصوص مختارة من مـــواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثـــة ، فتكون هي المحـــور الذي يُنطَلَق منه في عمليّـــة التقويـــة ، وذلك بغرض اكتساب المهـــارات اللغوية ، بما في ذلـــك التعبير غير المتعثّر مشافهةً وكتابةً بالعربيـــة ، ومن أجل الالفة بالنص العربـــي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقـــد يُدخل في هـــذه الدراسات كذلك أعمال ترجمة من اللغـــة العربية واليها في نطاق تلك العلـــوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغـــة العربية .

د ــ وقـــد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، أن يحضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجـــودة في جامعاتهم ، للاستماع الـــى اساليب تدريس العلـــوم الانسانية التي تقـــع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان ثمـــة الكثير مـــن العناصر المشتركة في عمليـــة تدريس مـــواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيمـــا ونحن نركز هنا على اللغـــة التي يجري بهـــا التدريس .

/ المصطلـــــح :

ومـــن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريـــب التعليم الجامعي بشكل عـــام ، قضية المصطلح ، انطلاقا من فكـــرة صحيحة ،

مؤداها أن المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما أن مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا أمكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الأمة العربية ، أن تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا ان نتجاوز هذه الصعوبة كذلك اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخَطّطنا لايجاد حل لها ، على أساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف الكثيرين من اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والاكبار للغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، او على اكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبثقين عن الحياة المعاصرة .

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن أن نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخّصها فيما يلي :

١ ــ ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي، في الواقع ، أقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ ــ ان تراثنا العربي ، بَدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافلة بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات ،

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، كفيلة بأن تُمِدّ الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي يتلمّسها للدلالة على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ على غيرها ، انها قد اكتُسَبت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن أن تكون لالفاظ اخرى ، فضلا عن انها استُخدِمَت في ظل حضارة وقِيَم عربية ، وطرائق عربية في الحياة .

٣ ـ واذا عَزَّ اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الافضل ان يُنظَر في تلمُّس المصطلح العربي المقابل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تَمُتّ الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح ، فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يشذّب لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ان كانت له صبغة عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ـ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصّصه ، تُلتَمَس هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية المتخصّصة ، ومن ثم تُلتَمَس لها المقابلات العربية .

٥ ـ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُضَمّ مصطلحات كل فرع من فروع العلوم الانسانية كراسٌ خاص بها ، فان الهدف النهائي ينبغي أن يكون وضع معجم كبير لمصطلحات العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على السواء ، ويضمّ بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، اضافة الى المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم كأي معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، فـي فترات زمنية متّفق عليهـا .

٦ ــ وغنـيّ عن البيان ، أن جهودا كهذه لا يمكن أن تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد عن القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربـي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم الانسانية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي او اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـن العربـي كلّـه .

٧ ــ ولتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلّبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعَـدْ مجهولة لمـن شاركوا في اعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظّمهـا وتشرف عليها في العالـم العربي ؛ وهي كما يلـي :

أ ــ تقـوم الهياة المحلية في بلـد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه الهيـاة ، غالبا ما تكون مُجْمعا للغـة العربية ، إن وُجـد ، او جامعة ، او ايـة مؤسسة معنية بأعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب ــ تُرسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلـوم .

جـ ــ تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العـــامّ الذي ينعقد مرة كـــل ثلاث سنوات ، وتُناقَش مقترحات البـــلاد العربية المختلفة من خلال لجان تنبثـــق من المؤتمـــر ، وتختصّ كل منها بمادة من المـــواد .

د ــ يُمثّـــل ما اتفقت عليه هذه اللجان تَبنّيـــًا على مستوى العالم العربي لمصطلحات معينـــة . واذ تطبع هـــــذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلـــد عربي ، في جامعاته ومؤسساته المختلفة ، يكون ملتزما أدبيـــا بالاخذ بهـــــا واستعمالهـــــا .

هـ ــ وحـــين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مراحل التعليم المختلفة ، ينبغـــي أن تُجمَع في معجـــم فنّي يضمها جميعا .

ولا بـــدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذلـــه مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، في جمـــع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفـــــة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلا عـــن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلـــة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لـــو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلـــة على نطاق اعمق واوسع في البـــلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصّين ، لـــم يستفيدوا ، أو لم تتح لهـــم فرصة الاستفادة ، من محتوياتهـــا .

وممـــا يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات الانسانيـــة ، أن يُتّفَق على ان توضـــع في نهاية كل كتاب يُترجَم الى العربية من لغـــة اجنبية ، قائمة بالمصطلحات التـــي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتهـــا العربية التي استعملت في الترجمـــة ؛ لان في ذلك فائدة لقارىء الكتـــاب ، ولان حصيلة هـــذه القوائم ستكون من الروافد التي ترفـــد عمليـــة التعريـــب المستمـــرة .

المنهـــــاج :

قـد يبـدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـــوم الانسانية امـرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـا تعريب هذه العلوم بالمعنـى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـوم الترجمة ونقـل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريـب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـى السواء . ونحن اذا استعرضنـا مناهج التربية وعلـم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـل المثـال ، فاننا قلّما نجد في هذه المناهج مـادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـة،او اشكال تطبيقها ، أو عـن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أُنجـز في هذا الميدان من دراسات ، أو عـن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـن استخلاصه من النظرية والتطبيـق .

ثـم ان هذه المناهج ، قَـلَّ ان تُركِّز على المجتمـع العربـي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـه ، وتَلَمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـرد دراسات نظرية ، بـل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الطالب ، أو هكـذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـون في الجامعات العربية دراسة للمجتمـع العربي في حاضره وماضيـه ، قبل أن تكون دراسة لمجتمعـات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفْهَم منه ، ضمن مـا يُفْهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـي والمجتمع العربي ، من اجـل صياغة الفكر العربي،والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـوم ، دون غيرها ، هي التي تحـدد هويـات الأمـم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـي ينتسبون اليها : بتراثهـا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـا نحـو المستقبـل .

واذ ندعو الى ان تعالج في مناهج العلوم الانسانية قضايا الانسان والمجتمع العربيين ، لكي لا تكون هذه المناهج نُسَخًا عن مناهجَ وُضِعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوَصَّل اليه هذا العالَم من افكار ونظريات تتعلّق بهذه العلوم ، ومن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك ينبغي تناوله بالقدر الذي يمكن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ، حتى لا يُشْعِر طالب التربية،مثلا ، انه يعالج امور التربية في امريكا ، ولكي لا يشعر طالب الاقتصاد ان قضايا السوق الاوروبية المشتركة ، مثلا ، تطغى على القضايا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والبلد الذي يعيش فيه .

ولما كان مدرِّس المادة في الجامعة هو الذي يضع ، في المعتاد ، منهاج مادته ، فانه مدعوّ الى ان تكون هذه المادة عربية الاهتمامات بالدرجة الاولى ، مع ضرورة الالمام باية نظريات او تجارب عالمية نافعة يستفاد منها جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة يستخدمها الباحث للوصول الى الحقائق .

الترجمة :

عملية التعريب في العلوم الانسانية ، كما في اي نوع من علوم العصر ، تقتضي ترجمة كتب اجنبية كثيرة الى اللغة العربية .

وتلك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير أو تعليل . ولكن يبقى ان نتساءل عن نوعية الكتب التي تُتَرجَم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانه لا يمكن ان يُترَك امر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكي يختاروا ما يشاؤون منها ويترجموه كما يشاءون .

ولعل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة من التصورات في هذا الشأن :

أ ـ تتكوّن باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يُختَصّ كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضمّ اعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهات الكتب في الموضوع المعنيّ ، من أجل نقلها الى العربية .

ب ـ يوكل الى كل بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثّلة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانيات البلد البشرية والمالية ، واللغة الاجنبية الشائعة فيه .

جـ ـ تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حيثما وجدت ، ومع أية هيأة او افراد يمكن ان يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د ـ تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بأن تقتني منها في مكتباتها ، وبأن تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ ـ تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من أجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و ـ يُوصَى بأن يكون مثل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها اعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز ـ لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد أن تنشأ في كل جامعة عربية،كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الانفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ح ــ ايّــا ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعَمَّم خبرها على جميــع الجامعات ، ومجامع اللغــة العربية ، والمنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم ، ومكتــب تنسيق التعريب في الربــاط ، احترازا من ازدواج الجهد والنفقــات .

ويجــدر القول هنا إنّ لمجمع اللغــة العربية الاردني تجربــة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتــب العلمية ، اذ اختار المجمــع ، بمعرفة المختصّين في كليــة العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتــب التي تُدَرَّس للسنة الاولى في اقسام الكليــة المختلفة ، وكلّف مجموعــة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعــة اليرموك ترجمتها . وقــد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربيــة جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن اللــه ، قبل نهاية عام ١٩٧٩/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجــم ، تضم المصطلحات الواردة فــي الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقــد أُحيطت الجامعات العربيــة ومجامع اللغــة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلــوم علمــا بذلك . والمتوقّع الاّ تقتصر الاستفادة مــن هذه الكتب علــى جامعتي الاردن ، بــل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فــاذا استطاع المجمــع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يشرف علــى هذه الترجمات وينفّذها ، فــان الامكانيات المتضامنة للجامعات العربية ، كفيلة بان تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمــع . والامل وطيد في ان تساعد هذه الكتب المترجَمة على البــدء ، في اقرب وقت ممكن ، بالتدريس باللغــة العربية في كليــة العلوم في الجامعة الاردنيــة .

وبمــا ان تَتَبُّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُلْتَمَس عادةً فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جــدا أن تحيا توصيةٌ كانــت قد اتُّخِذَت في حلقــة الترجمة التي انعقدت في الكويت عــام ١٩٧٣ ، ومؤداها ان تَصْدُر عن المنظّمة مجلّــة علمية ، تُنشَر فيها ترجمــات البحوث التي تُتَخَيَّر لأهميتها ، ومثل هذه المجلــة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيهــا الاساتذة المختصون في ايــا جامعة من الجامعــات العربيــة .

وقـد يتبنى اتحاد الجامعات العربية نشر هذه المجلـة ، وتَضُمّ موضوعاتها ، وتوزيع مادتهـا الاصلية على الجامعات العربية للقيـام بترجمتها . ومثل هذا المشروع لـو خرج الى حيّز التنفيذ ، فانـه سيكون ذا فائدة مزدوجة ، لانـه يصل المختصين بالجديد من البحوث في ميادين اختصاصهم ، ويُهيّىء لهم الفرصة لنقل المـادة المكتوبة بلغـة اجنبية الى اللغـة العربية ، بما يحمله هذا النقل من استعمال للغـة العربية في التعبير عن هذه العلـوم في أحدث أوضاعها ومعطياتها ، ومن تعريب للمصطلحات التي تَـرِدُ في بحوثها . وهنـا يجدر ايضا أن تُتْبَع كلُّ ترجمة لبحـث من البحوث بقائمة تضمّ ما ورد فيه مـن مفردات اصطلاحية ، تُكْتَب بكلتـا اللغتين : العربية والاجنبيـة .

التأليـف والنشـر :

ايّمـا حديث عن التعريب لا بـد أن يُذْكَر فيه ، في معرض تعداد الصعوبات ، قلّـة المراجع باللغة العربية . وهـذا التهيُّب من التعريب، والتحدّث عن الصعوبات التـي تكتنفه،سيبقيان على الالسنة الـى أن يَدْخُل المسؤولون عن التعريب فِعـلاً في التجربة ؛ فمثل هذا التهيب كان قائما في السودان بالنسبة الى تعريب التعليـم الثانوي ، قبـل ان يصبح هذا التعريب حقيقة واقعة ؛ وهو ما يزال قائمـا بالنسبة الى بعض مراحل التعليم العـام في بعض من اقطار المغـرب الشقيـقة. والواقع انـه بالنسبة الى العلوم الانسانية ، تُمثِّل المراجع مشكلـة أخفّ بكثير مـن مشكلة المراجع في العلوم الطبيعية ، لان مـا أُلِّـف بالعربية في هذه العلوم ، اكبر بكثير مما أُلّف بهـا في العلوم الطبيعية . ولكننا نبقى مع ذلـك بحاجة الى مزيـد من المؤلفات من نمط معين ، هـو النمط الاكاديمي الذي يَحمل سِمَة البحث العلمـي .

وحـين يوضع أساتذة الجامعات العربية امـامَ مسؤولياتهم تجاه طلبتهم ، بعد التعريب العـامّ الشمولي للعلوم الانسانية ، فانهـم لا بـد أن يؤلفوا ويترجموا لكـي يؤمّنوا لطلبتهم المراجع التي لا بـد منها ، لان تعريبا بالمعنى الصحيح ، ينبنـي عليه الا تفي الكتب الاجنبيـة

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لـو كان الطلبة قادرين ، من الناحيـة اللغوية ، على استيعاب المـادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وهنـا أود ان اتحدث عن تجربة عمليـة في الجامعة الاردنية ، تُدِّر لكاتب هـذه السطور الاطلاع عليها عن كثب ، حين كـان يشغل منصب عميـد البحث العلمي والدراسات العليـا في الجامعة المذكورة . هذه التجربة ، تمثّلت في اتاحة الفرصة لاساتذة الجامعـة لأن يقدّموا بحوثا اصيلـة الى مجلـة علمية تصدر عن العمادة تحت اسـم (دراسـات) ، يُعْتَبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية . واُشتُرِط فيما يُقدَّم للنشر فيهـا في اطار العلوم الانسانية ، أن يكون باللغـة العربية دون غيرها ؛ كمـا تمثّلت في اتاحة الفرصة لاعضاء هيـأة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـم تدعمها العمادة ماديـا ، في اطار ميزانية دعـم البحوث العلمية .

وقـد يصل الدعم، بالنسبة الى الكتب المتميّزة ، الى حـدّ تغطيـةٍ كلّيّـةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلـف ، وذلك في اطـار دار النشر التي انشئت في العمـادة ، ورُصِدَت لهـا ميزانية خاصة . وغنـيّ عن البيان أن المؤلفات التي تدعمها العمـادة ، تكون هي الاخرى من سبـل الارتقاء في المراتـب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انـه عندما يواجَهُ استاذُ علـم من العلوم الانسانية بحاجته وحاجة طلبتـه الى المراجع العلمية ، في ظِـلِّ مناهج يخططها هو لتسدّ احتياجات المجتمـع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجـع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـة ، وحين يَجِدُ هذا الاستـاذ أن مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـي والنشر ، وتهيّيء لـه اسباب الترقية في جامعته ، فـان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـه الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعِـدّ ترجمات لنشرها في مجلـة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـادة اختصاصه وهـو مطمئـن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـد من متطلبات ، قد يعجز الفـرد عن تأمينها . والواقع أن المجلـة التي تصدر عن عمـادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد أن يُقوِّمها المختصّون .

ذكرتُ هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة قابلة لان تعمَّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتاليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر أن ما كان يصدر عن العمادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلِّها سيُغني اثراءً لمكتبات هذه الجامعات ، وتامينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلّمات ، أن الطالب العربي يفضّل أن تكون دراسته في العلوم الانسانية ، وايّة علوم أخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذَلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

ولذا فاننا لا نحتاج الى أن ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي أن نتلمّس الدور الذي يُمكن لهذا الطالب أن يضطلع به في عملية التعريب ؛ ولا سيما أن الطالب الجامعي الآن أصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، مثلما أن له دورا في العملية التعلُّمية ، ولم يُعُد مجرد مُتَلَقٍّ للمعارف عن اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع استاذ الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي أن يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

١ ــ قد يعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء أكانت كتبا تراثية ، أم كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة ، أو بأيـا مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقـد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المفـردات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتـب التراث العربي الخاصة بالعلـوم الانسانية ، ثـم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بدلالاتهـا .

جـ ـ وقـد يقوم الطالب، من ناحية أخرى، بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هـذه العلوم، بتجريدها من كتـب انجليزية أو فرنسية ، حسب اللغـة الاجنبية المستعملة في جامعتـه .

د ـ وقـد يُكلَّف ترجمة فصل او فصول من كتـاب أجنبي ، ليتمرَّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هـذه العلوم ، ويألف مصطلحاتـه في غيرها لغـة واحدة .

هـ ـ ويمكـن أن يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحـوث باللغـة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربيـة واجنبية ، ثـم يناقش هذه البحوث مع زملائـه تحت اشراف أستاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هـو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلـوم مشافهة ، مثلمـا يتدربون على معالجتها كتابـة .

و ـ وفي نطـاق الدراسات العليا التاليـة للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّـه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغـة العربية ـ كمـا يجري الآن فعلا في معظم الجامعات العربيـة ـ ويُحرَص على ان يهتموا، في مـادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالمجتمـع العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأن يبـرزوا ما أمكن النظريـة الاسلامية فيمـا يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعطيات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن مـا يعالجونه في دراساتهم ؛ مـع الاستفادة الكاملة من ايـة نظريات او دراسات أو ممارسـات موجودة في اي مجتمع من المجتمعات العالميـة .

وقـد يكون من المناسب ، ان أستفيد من ملاحظة وردت في ورقـة قدّمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمـر التاسـع لاتحاد المعلمين العـرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظـة ، انـه ينبغي الا نرى العالَم من حولنـا ، او نرى انفسنا بعيـون انجليزية او فرنسية . وهنـا قد نحتاج الى التذكير بأن اللغـة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانمـا هي كذلك طريقـة احسـاس وتفكـير .

ز ـ وفي البـلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغـة الاجنبية ، لا بـد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانـوي قبل أن ينتقل الطالب في تلك البـلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من المخالف لطبائع الاشياء أن نستعين بالطالب الجامعي الجديـد في عملية التعريب ، وهـو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافتـه .

القـرارات والتشريعـات :

مـن الممكن أن يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مـدّة نصف قرن حول تعريب هذا التعليـم ، وأن ينقسموا بين محبِّـذ ومعارض ، دون أن يُعْدَم اي من الفريقين حججـا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قـد احجمنا في هذه الكلمـة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيـدة للتعريب ، اعتقادا منـا بأن تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بـدّ من القول إنّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقـل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الـى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هـو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أَصَدَرَ هذا القـرار عن السلطة العليا في الدولـة العربية ، أم عن وزارة تعليمٍ عـال ، إن وُجِدت ، أم عن ادارة كـلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع اعضاء هيـأة التدريس أمام الامر الواقع ، فانهـم سوف يواجهون متطلباته ، ويُمِدّون لـه ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونهـا ، ستعالَج من خلال التكيّف بعـد ممارسة التجربة،لا قبلها ؛ فنحـن لا

نستطيع ان نتكيف مع اوضاع لـم نمارسْها اطلاقا ، ولا يمكن لتَهَيُّبٍ من شيء ان يزول الا بعد ان يُمارَس ذلـك الشيء فعلا ، وغالبا مـا يُتَبَيَّن ان ما تَهَيَّبْنا منه كـان مبالغا فيه . واذا كانت النقلـة الـى اللغـة القومية قد نجحت في عـدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا يوجـد سبب يحول دون نجاحهـا في الجامعات العربية . وقد يبـدو من باب المتناقضات أن عالَمًا كالعالَم العربـي ، بموقعه الفريد ، وامكانياتـه الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغتـه الحضارية العريضة العريقة ، وبما لـه من دور في شؤون العالم المعاصر ، مـا يزال يتهيّب الدخول في تجربة التعريب ، مـع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الأمـم انما تبدع بلغاتها القومية ، وان الذي يكـون عالة على لغـة أجنبية فيما ينطق بـه ويكتبه ، يكون كذلك عالـة على الناطقين بتلك اللغـة فيما يحتاجه ، بل فيما يفكر فيـه .

خاتمـــة :

وفي النهايـة ، اسمح لنفسي بأن استفيـد مباشَرَةً من فكرتين اوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدّمـه الى مؤتمر تعريـب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقِـد في بغداد في آذار عـام ١٩٧٨ ؛ وأُولى تلك الفكرتين تتعلّـق بالدعوة الى القيام بعمل جماعـي متكامل ، يَرصُد مراحل تطوّر امتنا دون اهواء او تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديـم النظريات العامة لحضارة اليـوم الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعـدم ترك الساحة الفكرية للترجمـات التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيتـه ، وتعريبِهِ وتشكيكِهِ في أرضيّتـه .

والهـدف من الفكرتين واضح،فهو يتمثل في استبانة المعالـم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت بـه امتنـا ، حتى تتراءى تلك المعالـم بصورة موضوعية في احجامهـا الحقيقية ، وفي ركائزها الاساسيـة ، كيـلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلـك في استبانة

الاسس والمفاهيم التي تقـــوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيـــلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّـــب المزالـــق ، فياخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعـــه دون ضرره ، ممـــا يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة مـــن اقتداء جاهل او تبعية غـــير مبصرة .

الدكتور محمود ابرٰهيـــم

اللغة والأسلوب في شعر (عرار)

للدكتور محمود السمرة
(نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاما توفي مصطفى وهبي التل ، وقبل خمسة وعشرين عاما صدرت الطبعة الاولى من ديوانه « عشيات وادي اليابس » في عمان .

ورغم أن عرارا مشهور معروف في الاردن ، وهو شاعر الاردن دون منازع ، يحفظ شعره المثقفون ، ويردده حتى من نالوا حظا قليلا من الثقافة ، الا انه لا يكاد يعرفه أحد خارج الأردن .

لماذا ؟

لعلّ من اسباب ذلك أن ديوانه الاول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الاردن محدودة جدا : فالحروف صغيرة ، والاخطاء كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثم : ان شعر عرار مُخَلّي ، مغرق في مخلّيته : مخلّي في موضوعاته ، واشاراته ، وكثير من تعبيراته . وما لم يتمثل القارىء هذه كلها تمثلا واضحا ، فان تجاوبه مع هذا الشعر يبقى محدودا . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهدا طيبا في شرح ما يحتاج الى شرح ، لتقريب هذا الشعر الى أذواق القراء العرب . واذكر انه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مع اخوة عرب ، وقدّمت لهذا الشعر بما يُعين على ادراكه وتمثّله ، الا وجدت عندهم استجابة له ، ودهشة لان مثل هذا الشاعر غير معروف عندهم .

ثـم : هناك لوم يقع على ادبـاء الاردن : فهم لم يعنوا انفسهم بالتعريف بالشاعر وتقديـم الدراسات عنه ، الا في نطاق محـدود .

* * *

لكـلّ هذا وجدتُ ان الحاجة اصبحت ملحّة لاصدار طبعة ثانية مـن الديوان ، وخاصة عندما وُضعت بين يـدي أوراق الشاعـر ، فوجدتُ فيها شعرا يستحق أن ينشر ، ولـم ينشر .

وهكـذا ، في سنة ١٩٧٣ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس » في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم فـن الطباعة في الاردن الحديث ، وتضع بين أيدي القـراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليـق بجمال هذا الشعر ؛ وقد زينتـه رسومات الفنان الموهوب مُهنّا الدرة ، آملين من ذلك أن نستطيع ايصال الديوان الى أيدي محبي الشعـر الجيـد ، لا في الاردن فحسب ، بـل في اكثر عدد ممكن من البـلاد العربيـة الشقيقـة .

ولكـن ما ا ردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو افتقارنا الـى مؤسسة ، أو شركة ، لتوزيع الكتـاب الاردني وتسويقه . وبقيـت هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجـدّ في السعي ، من يجـد الرغبة في ذلك .

* * *

وفي رأيي انـه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديـدة من الديوان ، يقـوم المحقق فيها بايراد الروايات المختلفـة للأبيات ، وترتيبها في القصائد ؛ فقـد خلصتُ من اطلاعي علـى أوراق الشاعر الى أن الصورة التي بين أيدينـا للقصائد والابيات ، ليست الا صـورة واحدة من صور عـدة : ففي كثير من القصائد نجـد ترتيب الابيـات مختلفا ، والتغيير في الفـاظ الابيات كثيرا . ويحضرني هنـا التحقيق الامثل الذي قـام بـه المستشرق Ritter لكتاب « أسرار البلاغة »

للامام عبد القاهر الجرجاني ، وتحقيق الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد لديوان قيس بن الخطيم ، وتحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس لديوان لبيد . على هذه الصورة نريده . وقد شغلتني شواغل كثيرة عن النهوض بهذا العمل الذي يستغرق وقتا طويلا .

وفي رايي ان اوراق الشاعر التي بين ايدينا ، تغري الناقد ايضا بالقيام بدراسة نقدية نفسية : تدرس حياته ، وظروفه ، ومجتمعه ، باستقصاء . ثم تنظر في زمن نظمه لكل قصيدة ، والاسباب النفسية التي دعته لهذا التقديم ، وذاك التاخير ، وشطب هذه الكلمة او تلك ، ولماذا استبدل بها غيرها . إن قام بهذه الدراسة ناقد بارع موهوب ، فربما حصلنا على دراسة نقدية ممتعة ، على غرار الدراسة التي وضعها John Middleton Murray عن الشاعر Keats بعد ان حصل على اصول قصائد الشاعر بخط يده .

* * *

وبعد ، فان لي على شعر عرار الملاحظات التالية :

١ ــ شعر عرار بسيط في مضمونه وشكله ، يقترب كثيرا من كلام الناس الذين هو منهم : عاش بينهم ، يشاركهم أفراحهم ، وأحلامهم ، وآمالهم ، ويأسى لاحزانهم ، وتدميه آلامهم؛ ومع هذا فلشعره فعل السحر في نفوسهم .

لماذا ؟

في رايي ان السر في قوّة تاثير شعر عرار في النفوس انه شعر يعبّر عن تجربة محلية وانسانية ، معا ... تجربة عميقة ، فيها قدر طاغٍ من حدة الاحساس . وهو يعبّر عن هذه التجربة بالفاظ مشحونة بهذا الاحساس . وحالة الانفعال الحاد ، حالة تميّز الشعر الجيد عن غيره من الفنون الادبية الاخرى ؛ وهي حالة تصاحب الشاعر في اثناء عملية الابداع الفني ؛ ذلك لان الشاعر

الحق انسان يتمتع بحساسية غير عادية ، تجعله يتعاطف مع احداث الحياة الانسانية بدرجة عالية .

واللغة التي يستعملها عرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء اللغوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمرّ بها دون ان نحسّ بها ، واذا احسسنا بها ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية ، تنبه العقل ، والنفس ، والاعصاب .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف أن الشعر ذاتي ، والشعراء يعبّرون عن احاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بها في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، أما البحث عن الحقيقة فغاية العالِم .

ان الشاعر لا يعرض لنا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرها بفضل ملكة الخيال التي وُهِبَها ، ويكوّن منها كُلاً فنيا موحَّدا . ومنذ أن كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر أن يرى ويرصد المظاهر المختلفة لهذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبّر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء اقُلْنا بعد قراءة الشعر إننا نوافق الكاتب في رأيه ، أم لا نوافقه ، لان الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم أن قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة ، قد تكون أعمق وأنضج ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صفحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

وانت في شعر عرار تدخل دائرة التأثير ، وتبقى فيها الى أن تصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء

الكبار ، الذيـــن يجمعون احيانا بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ، ويجمعون بين صورتين متنافرتين في بيتـــين متتاليين .

واذا كنـــا قد بدانا القول بان من صفات شعر عـــرار انـــه شعر مَحَلّي ، بالمفهوم الذي حدّدناه ، فمـــا موقف الجماليين ، والنقاد الجـــدد (The New Critics) ، الذين يسيطرون على دنيـــا الادب في ايامنـــا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ انهم يرون أن القصيدة الجيدة مكتفية بذاتهـــا ، لا تحتاج للكشف عن اسرار الجمـــال فيها الى أن نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من نظمها . وفي رايـــي أن هذا القول صحيح ، ولكن في حـــدود . وانا لست من المؤمنـــين ايمانا مطلقا بمـــا يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهـــج التكاملي الذي يرى الاستفادة من كـــل النظريات النقدية ، لانهـــا متكاملة ، غير متناقضـــة . والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤيـــة .

٢ ــ شعر عـــرار شعر ملتزم .

وقـــد كان عرار شاعرا ملتزما ، بكل ما في هـــذا المصطلـــح من دلالة وابعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئـــة : فقد وقف الى جانب الفقراء ، والمعوزين ، وهاجـــم المستغلّين ، ودعا الى المســـاواة ، ونـــادى بالعدالـــة .

وهـــذا موقف سيبقي عرارا مذكورا دومـــا كشاعر صاحب رسالة ، اجاد التعبير عنها في شعـــره .

وهـــذا يجعلنا نقف أمام قضية مهمـــة في الفن : فنحن كلما تناقشنا في الفـــن عامة ، وفي الشعر خاصة (وساقصر حديثي هنا على الشـــعر) ، تساءلنا : مـــا غاية الشعر ؟

يـــرى البعض أن غاية الشـــعر هي المتعـــة ، وان القصيدة الجيدة هي التي تولـــد اكبر قدر منها . وفي رايي أن المتعـــة نتيجة ، لا غايـــة ، وان غاية الشعر عرض التجربـــة الانسانية عرضا يُرَسِّخ في نفوسنـــا

قيمـا ومواقف ، واذا كانت غاية العلـم تفسير الوجود ، فان غايـة الفـن تقييم الوجود . وهذا ما فعلـه عـرار في شعره .

وهذا ما عناه كولردج في كتابه القيم « سيرة ادبية »
Biographia Literaria

عندما قال : ان الشعـر ليس مجرد انفعالات واحاسيس ، فارخص انواع الادب قادر على اثارتها . انـه رؤيا ، وكشف عن اسرار الوجود .

* * *

ورغـم التزام عرار العميق الحاد ، فانه كان في الوقت نفسه رومانسيا ، مغرقا في رومانسيته . واذا كـان الرومانسيون الغربيون قد عبّروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة عن ثورتهم ، وهربوا الـى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما ادركوا عجزهم عـن التغيير ، فقد فعل عرار مثلهم : هرب الـى مضارب النَوَر ، والى حياة الريـف ، حيث البساطة ، وراحة البـال ، والمساواة التامة :

الكـل زُطّ ، مساواةٌ محقّقة تنفي الفوارق بين الجار والجارِ

* * *

٣ ــ شعر عـرار شعر للرمز فيه دور كبـير .

والحديث عن الرمز في شعر عـرار حديث قد يطول ؛ ولهـذا سأقصر حديثي عن الرمـز عنده على ثلاثة جوانب بـارزة :

اولهـا : شخصية الهبر : وهي شخصية حقيقية ، ورمزية ، فـي آن واحـد .

وقـد وصف المرحوم الاستاذ يعقوب العودات الهبر ، فقال :

« شخصية نَوَريّة ، دميمة الخَلْق ، مستقبَحة القـوام ، اختارها عرار لزراية شكلها ، وحقارة شانها ، هدفا لسهام نقـده ، ومخاطبتها عندما يحلو لـه خطاب ذوي الشأن ، واستفزازهم » . (عـرار شاعر الاردن ، ص ١٣٨) .

ويقـــول المرحوم الاستاذ محمود المطلق :

« رأى عـــرار في هذه الشخصية انموذجا كاملا لشخصية النَوَريّ ، ومثالا معبّرا عن كل ما في النَوَر من خير وشر ، وسمو وانحطاط . ولهـــذا فقد اتخذ منه رمزا للنَوَر، واداةً ادبيـــة يستعين بها على التعبير عـــن آرائه ومقاصده ». (المقدمة ، ص ٢٣) .

وتقـــول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي :

« لعـــل عرارًا كان أول شاعر عربـــي حديثٍ اخترع نماذج عليا في الشعر ، وجعلها رموزا لقضايـــا حيوية . جعل من الهبر رمـــزا للانسان البسيط المنبـــوذ المضطهد » . (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني).

وحقيقـــةُ الامر ان الهبر في شعر عـــرار رمز لاكثر من هـــذا :

انـــه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانســـان البسيـــط ، المنبـــوذ ، المضطهد ، والانسان المشرد الضائـــع .

وهـــو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيـــه الانسان الذي فَقَد كل احساس بالكرامـــة .

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثانيا ، في شخصية الشيخ عبّود النجار . وهي شخصية تُناقِض الشخصية الاولى تمامـــا : فهي رمز لفئة متزمتة منتفعة : فِئَتُها :« في الجنة الخلودُ » ، ومبداها انها : « حِصَّةُ مَن فـــي جيبـــه نقـــودُ » .

وسخريته منهـــا ، ورفضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقـــاء الشعب على حالـــه من الجهل والتخلّف .

* * *

ويبـــدو الرمز عند عرار ، ثالثا ، في كل امـــراة تغزّل بها ، وكلّ قرية ذكرها ، وكـــلّ وادٍ تَغَنّى بـــه . انها كلها رموز لهذا الوطـــن ، الذي أَحَبَّ كلَّ من فيه ، وما فيـــه .

٤ ــ شعر عــرار شعر عمودي ، منظوم على أوزان الخليل ، ما عدا قصيدتين همــا :

« متــى ؟ » و « يــا حلوة النظرة » .

ومــن الخطأ الشائع ما نردده من أن كل قصيدة نظمت علــى وزن من أوزان الخليل فهــي قصيدة عمودية ، مع أن الوزن (أو البحر) ليس سوى شرط واحــد من سبعة شروط حَدَّدها النقّــاد العــرب القدامــى ، وجعلوها المبادىء التي يجــب أن يقتفيها الشعــراء .

وكــان المرزوقيّ خير من حدّد مفهوم عمــود الشعر ، وذلك في مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قولــه : « انهم (القدماء) كانــوا يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفــظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار لــه ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهــذه سبعة أبواب هي عمــود الشعر ، ولكل باب منها عيار (أي مقياس) » . وجــاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

وشِعر عــرار عموديّ بهذا المفهوم للشعر العمودي الجيــد .

ولــو تأملنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعــر الذي يُعْرَف بأنه عمودي ، ليس عموديــا .

* * *

هــذه ملاحظات نقدية عامة على شعر عــرار ، لعلها تصلح مخططا لدراسة موسعــة .

ويبقــى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عناية الدارســين مــا يستحقــه .

ومــا زال مجال القول فيــه واسعــا .

الدكتور محمــود السمرة

قضايا تعريب الكيمياء ومشاكله

للدكتور عادل أحمد جرار
(الجامعة الاردنية)

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة اكبر، هي مسألة تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل الجامعية . وقد شَغَلَت هذه القضية اهلَ العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، فهم بين مناصرين لتطبيق فكرة التعريب ومعارضين لها ، ولكل فريق حججه التي يدعم بها وجهة نظره .

وفي رايي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول أو الحلول الجزئية ، فهي إما أن تكون تعريبا كاملا شاملا ينتظم جميع مراحل التعليم والدرس ، ويمتدّ ليشمل جميع الاقطار التي تتخذ العربية لغة ، او ان تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربّما ادت الى ضرر ان كانت تنحصر في اقليم دون آخر ، أو كانت تتناول فروعا معيّنة من العلوم،او مراحل محددة في سلّم التعليم .

واقوى الحجج التي تساق تاييدا لفكرة تعريب العلوم هي :

١ ــ من الناحية التربوية المطلقة،يكون استيعاب الدارس اقوى واشد فعالية ان كانت دراسته بلغته الأم ، فهو بذلك ينصرف بكامل جهده الذهني لفهم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل أن يصرف جانبا غير يسير من جهده ووقته لفهم معمّيات اللغة الاجنبية التي يدرس بها ، الى ان يتوصل الى فهم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته له . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب،احداهما تدرس موضوعا علميا باللغة العربية، واخرى تتلقاه بلغة انجليزية او فرنسية .

ولكـــن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهـــان ؛ فانك اذا قدمت موضوعـــا علميا لطالب عربي بلغـــة عربية سليمة ، وكانـــت لديك الوسائل والقدرات على ان تعبّـــر عن هذا الموضوع بشكل يخلـــو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصـــف ، فمما لا شك فيه عندئذ ان هـــذا الطالب سيفهم الموضوع بصـــورة اسرع واكمل مما لو قُدِّم لـــه بلغة اجنبية .

اذاً فلُبّ الامر هـــو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقـــة تخلـــو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امـــر مهـــم سأعود اليه حين احلّل القضايا والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيميـــاء .

٢ ــ امـــا الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجـــة لهـــا وجاهتها ، فهي أن الاعتزاز القومي باللغـــة العربية يفرض علينـــا أن نعرّب العلوم . وكثير من المحتجين بهـــذا يذهبون الى أن تدريس العلوم بالعربية عامل مهـــم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الأمـــة تفتقر الى عوامل الوحدة ؟ وايـــن عامل الوحدة هذا من الديـــن الذي ننضوي تحت لوائـــه ، حيث تقف الملايين كل يـــوم تعبد ربّهـــا في صلوات واحدة ، تقرأ قرآنـــا واحدا ، وتهتف باسم الـــه واحد من أعلى مآذن مساجدها وفي محاريبها . وان كانت هذه الأمـــة ستتوحد ، فهذا جمهور وحدتها ؛ وايـــن من ذلك جمهور الجامعات،وهـــم قلّـــة ؟

علـــى اننـــا،وبسبب ذلك،لا بـــد أن نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننـــا وسُنّتنا ، وادبنا وشعرنا،وخوالج نفوسنا ، وهي الوعـــاء الذي اتسع يومـــا ليكون قادرا على استيعاب نشاطنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلاميـــة ، حين كانت اللغة العربية لغـــة العلم العالمية الاولى مـــدة تقارب القرنين .

وعلينـــا أن نؤمن بأن هذه اللغة التي قامت بهـــذا الدور قادرة على القيام بـــه مرة اخرى،شريطة أن نجلـــو عن صفحتها الناصعة غبار التخلّف والاهمال بجهودنـــا ونشاطنا العلمي في العصر الحديـــث .

ويحضرني هنا قـــول شاعرنا حافظ ابرهيم متحدثا باسم اللغـــة العربية :

وسعتُ كتاب اللـــه لفظا وغاية وما ضِقتُ عن آيٍ بـــه وعظاتِ

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسمـــاءٍ لمخترعاتِ

بيـــد انـــه يضيف الى ذلـــك :

انا البحر في احشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

نحـــن بحاجة، ليس فقط الى الغوص في بحر اللغـــة العربيـــة لاستخراج مكنونه من الدرّ ، ولكننـــا بحاجة الى ثاقبين لهذا الـــدرّ ، لجعله قلائـــد تزين صدر اللغـــة العربية في ميادين العلوم ؛ فـــلا نريدها أن تقتحم ميدانـــا تخلّفت عنه فترة طويلة دون استعداد وافٍ يزيـــد من جمالها ويُغْنِيها بالممارسة . لا نريـــد أن تكون تجربتنا فـــي التعليم والنشر بالعربية عائقـــا يحول بيننا وبين السير في تيـــار العلـــم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا أن نذكـــر أن ما تـــمّ حتى اليـــوم من محاولات تعريب في عـــدد من الاقطار العربية ليس على المستـــوى المطلوب ، فهي تقصّر بنـــا عن مواكبة اهل العلم في مسيرتهم الظافـــرة ، دون اعتماد كبير على اللغـــات ذات الانتشار العالمي . فممـــا لا شك فيه أن للعلم المعاصر بضع لغـــات دولية ؛ ولتوضيح ذلك تَنـــاوَلْ موضوعا علميا من المواضيـــع المطروقة كثيرا هذه الايـــام ، وأحْصِ المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عـــام معين ، فاذا فعلت ذلـــك ستخرج دون ريـــب بنتيجة مفادها أن معظـــم البحوث ذات القيمة نشرت ضمن عـــدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنـــت قادرا على قراءة هذه اللغات وفهمهـــا خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال المعين .

وستجـــد حتما انك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدوليـــة، ستصل الى مـــا لا يقلّ عن (٧٠٪) مما نشر عـــن الموضوع . ومع انك ربمـــا تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغـــة لقراءة كل ما كتـــب عنه، الا أن ذلك أمـــر لا يستحق العناء ، لانك ان قَيَّمت المنشورات علـــى انفراد ستجـــد القيّمة منها منشورة باحدى اللغـــات الدولية . ذلك

انـــه ان توصّل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همّـــه الاول سيكون أن يصل بـــه الى جمهـــرة المشتغلين بـــه ، فنجده يلجأ الى نشره باللغـــة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشـهرة العالميـــة .

مـــن واجبنا،والحالة هذه،ان نعمل على دفع لغتنـــا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهـــي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امـــر لـــن يتسنى لنـــا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولـــن يتسنى لنا الوصول اليه بين يـــوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في أغلـــب الاحيان الحماسـة والنيّـــة الطيبة . لكن ، كما قيـــل في الامثال الصينية ، فـــان رحلة الالف ميل تبـــدأ بخطوة واحدة ، فلا بـــد لنا أن نخطو الخطوة الاولى ، ولكننا نريدها خطوة واثقـــة لا تراجُع ولا نكوص بعدهـــا . ولهذا فان من واجبنـــا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الـــى الوسائل التي تضمن لنـــا التغلب على المصاعب وتخطّي العقبـــات ، حتى نضع بين أيدي أجيالنـــا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من الســـير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلـــي سأمر على بعض القضايـــا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيميـــاء .

المصطلح الكيميائي : ان جهـــود التعريب لا تثمر دون مؤلفـــات كيميائية قيّمة باللغـــة العربية . ومن الطبيعي أن المحاولات الاولـــى كانت ترجمات من اللغـــات الاوروبية ــ سأعود الى الترجمة كقضيـــة منفصلة بعد حين ــ وقد تلت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الآن محصورة ضمن القطـــر العربي الذي بدأت فيـــه ، وفي اغلب الاحيان نتكلم لغـــات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الآن اجتهادا فرديا ، او كان يتـــمّ بالمشاورة مع أقرب محيـــط للمترجم او المؤلف ؛ ولذلك نجـــد اختلافات كبيرة بين مـــا يُستَخْدَم في قطر عربي وما يُستَخْدَم في قطر آخـــر . وان استمر الحال على ذلـــك سنصل الى وضـع يشبه برج بابل ، حين لم يكن احـــد يفهم أحدا غيره . كل ذلك رغـــم جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغـــم المعاجـــم التي

أوردت سلسلة من المصطلحات ؛ فهذه لا تكاد تفي بحاجة مناهج المدارس الثانوية . وكثيرا ما يوضع المصطلح الكيميائي بطريقة متسرعة ، فلا يفي بالغرض الذي وضع من أجله ، لكنّ تأثير قطر عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، فنرى هذا المصطلح ينشر ويغرس جذوره رغم عدم صلاحيته .

نخلص من هذا الى أن جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة ومعزولة وتؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :
(Isomerism, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

اين العلاج ؟ لا شك ان في عقد ندوة لهذا الغرض جهدا ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع اسس للعمل على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتاليف . ولكن يجب ان اذكر ان الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للّغة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالِم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول أن النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة بسد حاجات اهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضمّ جهده في ذلك الى جهد الكيميائي او غيره من اهل العلم . ولا يظنَّنَّ احد ان هذه المهمة ذات بداية ونهاية ؛ كلاّ ، فهي مهمة مستمرّة متجددة ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديدا ، ويسمّونه ويصفونه بكلام جديد ، سواء اكان هؤلاء العلماء عربا أم غير عرب .

لذا فان المطلوب هو أن يقوم علماء الكيمياء واللغة في البلاد العربية بعملية منظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوحيدها ، كما أن المطلوب أن يتحوّل مكتب تنسيق التعريب الى المبادرة بتشجيع هذا الجهد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، الا أن هناك مئات الآلاف من المركّبات الكيميائية التي

تحتاج الى ان نضع لهـا اسماء ، كما ان آلافا جديدة منهـا تضـاف للمعترك الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلـة التي يخلقها هذا السيـل العـرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقـد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طـرق التسمية بصورة مستمرة . فماذا نفعـل نحـن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربيـة ، ام نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجـاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجـادل احـد في انـه الاسهل ، هو الاول ، مـع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالـة للاسترشاد بـه ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك أن هـذه الطريقة ستؤدي بالدارس الـى أن يقـرأ وأن يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هـذه الاسماء يتوقف على فهـم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلٌ بنفسه ؛ فلـو كتبنـا الاسماء باللفظ العربي وحده،فاننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلـك الاسماء بأصولها ، لتصبح كنباتٍ اجتُثَّ من جذوره ، يتيما مالـه من قرار .

لقـد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طـلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهـم الاجابة على الاسئلة التاليـة :

ارجـو ان تجيب على الاسئلة التاليـة بوضع دائرة حـول الجواب الذي تختـاره :

١ ــ كلمـة (٢ ــ ميثيل سايكلوهكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتهـا او سمعتها ، فما هي الطريقة التـي تنتقل فيها الى ادراك المركّـب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغتـه او كتابتهـا ؟

١ ــ هـل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لـدى سماع الكلمة أو رؤيتها مكتوبـة ؟

٢ ــ هل تعود بذهنك للأصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone
وتستفيد من مقاطعها للدلالة على معناهـا ؟

٣ ــ هــل يتعذر عليك فهــم دلالة الكلمة كليــا ؟

٤ ــ هــل تعتقد ان فهمك لهــا سيكون سهلا لــو كانت مقاطعها قد فُسِّرت لك اولا ، كما جرى في حالــة الاسم الانجليــزي للمركّب ، رغــم ان لفظ كل مقطع بالعربية لا يدل على ما يــدل عليه مقابله بالانجليزيــة ؟

٢ ــ القضية التي عرضتُ في السؤال الاول ستثار لــدى تسمية اي من مئات الآلاف من المركّبــات الكيميائية . في ضوء تقديرك الشخصي للموقــف :

١ ــ هــل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالانجليزيــة ؟

٢ ــ هــل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع اخذ الاسماء بألفاظها ؟

٣ ــ هــل تحبذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصــة بالتسميــة ؟

٣ ــ اذا عُرِّبَت الكيميــاء وأُخِذَت المصطلحات والاسماء كما تُلْفَظ باللغة الاجنبية،وكُتِبَت بحروف عربية ، هــل تعتقد ان كتابتها غير مشكولة ستخلق مشاكل ، كأنْ تقــرأ الكلمة على وجوه عديــد ؟

١ ــ نعــم

٢ ــ لا

وقــد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجــة التاليــة :

السؤال الاول :

الجــواب	١	٢	٣	٤
النسبة المئوية	١٨٪	٧١٪	٢٪	٩٪

السؤال الثاني :

الجــواب	١	٢	٣
النسبة المئوية	٥١ر٣٪	١٩ر٦٪	٢٩٪

السؤال الثالث :

الجـــواب	نعـــم	لا
النسبة المئوية	٨٤٪	١٦٪

مـــن جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لمـــا قلناه من ان الطالب مضطرّ للعودة بذهنه الى الاسم بلغتـــه الاصلية ؛ فالعملية الذهنيـــة هذه ضرورية للفهـــم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقـــم ٣ أو ٤ منخفضـة ، الا ان ذلـــك يُعزَى الى ان المركّب المختار مألوف للطلاب . ولا شك لديّ ان مشكلةً ستواجه الطالب في فهـــم اسم جديد ، فهو يجد هذه المشكلة حتى لـــو كان يدرس باللغـــة الاجنبية ، فبالاحرى سيجدها، وبشكل أحـــدّ، اذا عُرِض لـــه الاسم مجرّدًا عن نظيره الاجنبي .

ومـــن اجابة السؤال الثاني نجـــد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين المحبّذين للدرس باللغـــة العربية ومن يفضلون الدراســـة باللغـــة الانجليزية (٥١ر٣ ، ٤٨ر٦ على التوالي) . الا ان الملاحظ انـــه، ضمن من حبذوا الدرس بالعربية،هنـــاك اغلبية تفضّل وضع الاسمـــاء بطريقة عربية خاصة ، وان كنت لا أجـــد دليلا على ماهيّة هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علمـــاء الكيمياء ، فهي مسالة فُضِّـــلَ الجميع عـــدم طَرْقها،كما اسلفنا .

مـــن الاجابة على السؤال الثالث تتّضح اهمية المشكلة التي تجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظـــه،نتيجة قراءة الاســـم العربي على وجوه مختلفة،ان لم يكـــن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتنـــاول المصطلح المأخوذ بلفظـــه عن اللغات الاجنبية ايضا ؛ وهي مشكلة لـــن يتخطاها الدارس الاّ بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعـــد سماعهما صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقَل ان تُصْرَف الجهـــود الاضافية في الطباعة لشكل كلٍّ من هذه الكلمـــات .

الرمـــوز والاعـــداد :

هنـــاك خلط كبير في الرموز المستخدمة في الكتـــب التي تُرجمت الى العربية او كُتِبَت بهـــا ؛ وليس من الضروري ان يوجد الخلـــط في الكتاب الواحد ، بل انـــه يظهر على شكل اختلافات بين الكتـــب ذات الموضوع الواحـــد، والتي تظهر في القطر نفسه، أو في اقطـــار اخرى .. فالامر هنـــا فيه اختلاف لا يقـــلّ عن الاختلاف في المصطلح ؛ ذلك ان اللغـــات الاجنبية تقدّم مجالا اوسع لاختيـــار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحـــرف نفسه بصور مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عاديّ او مائل) ؛ ورغم ذلك نجـــد أحيانا اختلاطا في الرموز . وفي العربية يضيق المجـــال اذا اقتصرنا علـــى استخدام شكل واحـــد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام أشكال مختلفة لتقدم مـــادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على أن لا تكون النقـــط المصاحِبَة لبعض الحروف مصـــدرا للتشويش .

وهنـــاك مصدر آخـــر للاختلاف والخلط، ويصحبه العديد مـــن المشاكل التي لا تظهر لنـــا لأول وهلة ؛ ذلك ان هنـــاك اتجاهـــات لوضع رموز عربيـــة للعناصر ، واستخدام الاعـــداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... معهـــا . وفي الحقيقة ان هذه الاعداد ذات أصل هنـــدي ، وأمـــا الاعداد ... 4 ، 3 ، 2 ، 1 فهي الأَعداد العربية ؛ ولا بـــد انها كانت تُستخدَم من قِبَـــل العرب ، وقد اخذت بهـــا اقطار عربية كثيرة فـــي الوقـــت الحاضـــر .

الرمـــز الكيميائي لعنصر في اللغات الاجنبية لـــم يُبْنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم لـــه في تلك اللغة ، وانما هو، كما نعرف، مستمَدّ من اسم قد يكون من اللاتينيـــة او اليونانية او احدى اللغات الاجنبيـــة الحديثة، بأخـــذ الحرف الأول ، أو هـــذا مع حرف آخر . اذا كنـــا نقبل ان نكتب الكلمـــة الاجنبية بحروف عربيـــة، ونطمع عندئذ بـــأن نتعرّف على المسمى مـــن التسمية ، فكيف نضيق بالرمـــز الاجنبـــي O، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا سيما أنها ستظهر

في المركّبات ، وقد يظهر الواحد منها عدة مرات ؛ فكيف اذا كان رمزا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة أو النقطتين مع الكترون،او زوج من الالكترونيات،كما يُرمَز لها عادة ؟

ثم اليس من مبادىء التعرف على مركّبٍ النظر الى صورته او صيغته ؟ فهل نساعد على ذلك ان غيَّرنا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية للرموز ؟ والدارس منا مضطرّ للاطلاع على هذه الصيغ ، سواء اكانت بنائية أم جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات عنها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون من الافضل الابقاء على هذه الرموز بدل أن نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كخطوة أولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وَجَدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الأول من التعريب ، وباتفاقنا ، هو تسهيل فهم المادة العلمية انطلاقا من المبدأ القائل بأن الاستيعاب باللغة الأم اقوى ، فان أي عامل يساعد على الاستيعاب يجب أن يُبْقَى عليه ، وايّ عامل يقف حجر عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يُجدر بنا التمسك به .

وفي ذهني يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي عالَميّة الاستخدام ، بقرنها باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انها (الرموز والاعداد) تُكتب من اليسار الى اليمين ، فهذا أمر شكلي لن يضرّ باللغة العربية،ولن يعيق من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم الا تُكتَب بعض الارقام الهندية من اليسار الى اليمين ؟ ٦ ، ٩،الى حد ما ، وبعض الارقام العربية الا تُكتَب من اليمين الى اليسار 9, 6, 5, 4 أي أن اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغة دون اخرى .

الترجمـــــة :

مـن الحجج التي يتذرع بهـا خصوم التعريب عدم توافـــر المـادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُفيض بـه المحيط العلمي من كتب دراسية ، وكتـب متخصصة ، وسلاسل كتـب ، ونشرات ودوريـــات .

وهي حقيقة نجـد انفسنا مضطرين للاعتراف بهـا ، ليس على مستوى الكَـمّ فقط ، ولكن على مستوى النوع ايضـا . لذلك فـان هناك بعض التضحية في مدى الاختيـار، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطرّ الى اعتمـاد كتاب معين ، بينما يكون المجـال الاوسـع مفتوحا أمامنا للاختيار لـو درسنا بلغـة اجنبية . ذلك لانه لا بـدّ لنـا ان نعترف انـه قبل ان تتّضح معالم الطريق أمامنـا للتاليف على نطاق واسع ، فـلا بـد ان نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب ونقلهـا للعربية . ولا بـدّ ان نلاحظ أن هذه الحركة في الوقت الحاضر ضيقة الى ابعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابَهُ بِقلّـة الكتب المترجمة ، ونجـد اننـا نُقَصِّر في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديـد .

ومنـذ مـدة طويلة، مثلا، قامت اكثر من محاولة لترجمة كتـاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتـا طويلا ؛ وحين وضع الكتاب بين ايدي الطلاب، كان قد عفى عليه الدهـر في مصدره ، وحلّت محلـه كتب جديدة ذات مستويات افضل ؛ فهـل كان بامكاننا متابعة الجديـد بجهد جديد ؟ كلاّ . لمـاذا ؟

عمليـة الترجمة بحاجة الى عوامـل عديـدة :

اولهـا : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتب بالاستعانة بأهل الاختصاص ، ثـم يُجري الاتفاقات بشأن ترجمتها ونشرها بشكل لائـق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الاصلي . وهـذا الجهاز يجب ان

يكون شاملا للاداريين والرسامين والمصورين ، وأن تكون لديه مطبعة ، أو أن يكون بامكانه الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثانيها : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة،والتعبير عن المادة العلمية بلغة عربية جيّدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح،وطريقة التسمية،واسلوب الكتابة الجيّد . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال المبعوثين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد أن الكثير من اعضاء الهيئات التدريسية إمّا عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاما او كتابة ، وإمّا غير مكترثين للأمر، فليس لديهم حماس له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تَحوَّل انتماؤهم فكريا وعقائديا نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تَشدَّقوا بالانجليزية ، واذا عُرِّضتَ فكرة التعريب هزوا رؤوسهم ونأوا بجانبهم ، وكأن الامر اثم او سبّة .

وكثيرا ما يتساءل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية الفصحى،أم أن اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات المحاضرات ؟ واذا كان الامر كذلك،فاي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة أن اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات المختلفة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسة والعاملين في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان أضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعريب نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطلاب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وصاروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا يتقنون لغتهم ولا يحسنون التحدث بها .

وثالثها : التمويل : اذا وُجِدَتْ المترجمين الصالحين ، فيجب ان تجد المال الكافي لمكافاتهم بشكل مُجْزٍ على عملهم كي يتقنوه .

وكذلك يجب توفير المال الكافي لجميع الفنيين اللازمة جهودهم للخروج بالكتاب الى حيّز الوجود ، كما يجب توفير تكاليف الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول، من تجربتي مع بعض الهيئات التي تصدّت لعملية الترجمة، إن هذا العائق كان حتى الآن العقبة الكاداء التي تحول دون توسّع العملية وانتشارها .

ومن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصوره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية قومية تقوم بها ؛ فهي بذلك تكفل انصباب موارد الخبرات والمال من جميع الاقطار العربية، فتُولَد حركة الترجمة ولادة صحيحة قوية ، ويشتدّ عودها، وتنهض على اقدامها بثبات .

التاليف :

رغم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية كصورة من صور نقل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا ، فاننا بعد فترة يجب ان يصدر عنا، وان نطوّر ما يناسبنا سواء اكان تكنولوجيًا مناسِبَةً لبيئتنا ، او كتبًا علمية يضعها علماؤنا ، تاخذ بعين الاعتبار عقلية طلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون ان اعود من حيث بدات ، اقول إن متطلبات التاليف لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي اسلفت ذكرها .

على انه في كلا الحالتين — الترجمة والتاليف — لا بد ان يجريا على نطاق واسع ، وبسرعة توازي ما يحصل من تطور في

العالم العلمي المتقـدم ، حتى لا نجابُه بقلة التنوع في المصـادر ، وبان تصبح بعض المصادر قديمة قبـل ان يتداولها الدارسون ؛ وهـذا لا شك كائن إن كانت الترجمة او التاليف جهـودا فردية ، او تقوم بهـا هيئات ضعيفة المـوارد ، ونكون بذلك عرضة لعُزلة كليـة او جزئية عن تيّار العلـم .

ولا يفوتني أن اذكر انـه ، لإحكام الصلات بين العلماء العـرب والاجانب ، لا بـد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، ان تسـيرا في اتجاهين : فننقل احيانا ما يصدر عن علمائنـا من مؤلفات ومنشورات عربية الى لغـة اجنبية ، ان كان لدينا ما نَفْخُر بان يطّلع العالم عليـه .

اللغـات الاجنبيـة :

أشرنـا في ثنايا هذا الحديث الى ان هناك بضع لغـات علميـة دُوليّة تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلـك ، وعلى افتراض العمل الجاد والسير بحركـة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بـد لنـا من التوسّع في تعلّـم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنـا عن الاطلاع علـى المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتهـا ، كما انهم لا بـد مضطرون للرجوع لمصادر الدراسة الاجنبية استـزادة للمعرفة . كما انهـم يجب أن يكونوا قادرين على فهـم المحاضرين من الزوار الاجانب الذيـن تُعتَبَر زياراتهم ضمن برامج التبـادل أمـرا جوهريا في النشـاط العلمـي .

زد على ذلك انـه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفـز العلماء على تعلـم العربية لقراءة ما ننشر من ابحاث ، فلا مناص لنـا بين حين وآخـر من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعـد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هـذا الحـد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدّي للمهمـة . لكن الاصالة وعلـو الهمة في ان لا نتخاذل امـام المشاكل ، ووعورة المسالـك .

وطبيعة هذه المشاكل والقضايا تتطلب ان تنال الدعم من الساسة واهل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرث في البحر ؛ فالحلول الماثلة امامنا تتطلب المال والتنظيم والتعاون ، والا لن نتقدم قيد انملة نحو تعريب التعليم والنشر .

انني رغم ذلك لا ادعي أن مجرّد التغلب على هذه المشكلات سيؤدي الى فيض من الابداع العلمي ، فهناك الكثير مما يعوق ذلك مما لا صلة تربطه بموضوع اللغة ، لكن ازالة بعض العقبات من الطريق حافز لنا للسعي نحو ازالة غيرها من العوائق والعقبات .

الدكتور عادل جرار

مع "ديوان الأدب" لأبي ابراهيم الفارابي

للدكتور ابراهيم السامرّائي
(كلية الآداب/ جامعة بغداد)

كنتُ قد كتبت شيئا مما بدا لي وانا اقرأ الجزء الاول، ثم عقبت على ذلك بملاحظات عرضت للجزء الثاني ؛ وهاانا اتصدى للجزاين الثالث والرابع، فاخص مجلّة المجمع اللغوي الاردني بهذه الاثارة .

اقول : اراد الفارابي ان يُعرض لابنية العربية كما جاءت في المعجمات المطولة ، وان يصنّف من ذلك معجما مرتبا لهذه الابنية؛ فهل تراه صنع معجما كسائر معجمات المعاني ؟

الجواب : ان "ديوان الادب" معجم فريد في منهجه ؛ وفرادته هذه جعلته صعب المنال، لا يمكنك ان ترجع اليه بيسر : فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة أصواتها، ومن حيث كونها فعلا او مصدرا او اسما مهموزا او معتلا او صحيحا . وانت ممتَحَن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريد من ذلك . ثم انك محتاج الى فهارس تستوفي هذا القدر الكبير من الأبنية وموادها ؛ واظن ان المحقّق بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب، سيعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وبعد الطريق .

لقد قلتُ في الكلام على الجزاين الاول والثاني إن المحقق قد ادرك في تحقيقه ما يصبو اليه الباحث الجادّ في اخراج النص سليما مبرءا ، مجلوّا بفوائد نافعة .

غير انـــي تناولت مـــادة الكتاب وطريقة عرضها، فوقفت علـــى ذلك وقفات طويلة. وهاانا أُتـــمّ هذه المسيرة في هذين الجزاين، الثالث والرابع من الكتاب، فأقـــول :

١ ــ لـــم يكن عمل الفارابي في "ديوان الادب" عملا معجميا يتّصف بالاستقراء الوافي للأبنية، ومـــا يندرج في كل بنـــاء من الكلم . لقد خصّ هذا الجزء بالمضاعف، مبـــدأ بالأسماء، فكان بنـــاء « فَعْل »، بفتح الفاء وسكون العين، فاتحة هذا الجـــزء، مرتّبًا الكلم على حروف المعجم، فجـــاء بـــ « الحَبّ جمع حبة ، والخَبّ من الرمل ... والرَّبّ معرّفا ... وهكذا في سائر الحـــروف » .

اقـــول : وفاته أن يذكر في حكـــم هذا الترتيب « الأَبّ » .

والأبّ : الكلأ ؛ وقالوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهةً وأبًّـــا ».

وفاتـــه أن يذكر « الخَبّ » ومعانيه، واكتفى بقولـــه : « الخَبّ من الرمل »، وهو في تمام معنـــاه : حبل من الرمل لاطىء بالارض . ولـــم يذكر أن « الخَبّ » الخَدّاع، وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد .

وفاتـــه أن يذكر « البَبّ »: الغلام السمين .

وفاتـــه أن يذكر « اللَّبّ » وهو اللبيب ؛ وهو أيضا اللطيف القريب مـــن النـــاس .

ويقـــال : رجل لَبّ طَبّ، اي لازم للأمر ؛ وانشد ابـــو عمـــرو :

لَبًّا بأعجـــاز المطـــيّ لاحقًـــا

وفاتـــه « الجُتّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجُتّ هو الجَسّ للكبش لتنظر أَسَمِـــينٌ ام لا .

وفاتـــه أيضا « الثَّجّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحَجّ العَجّ والثَجّ . والعَجّ العجيج في الدعـــاء . والثَجّ : سفك دمـــاء البُدن وغيرها .

ولـم يشر الى « الدُخّ »،وفي لغـة « الدُخّ » بالضم،وهو الدخان ؛ قـال الشاعـر :

وصار وصلُ الغانيات أَخَّـا

عند سعار النار يغشى الدُخّا

وفاتـه أن يشير الى « الزَخّ »،فهـو السير العنيف .

وقـال في « النَخّ » : أن تُناخ الابـل قريبا من المصدِّق ليُصَدِّقها » .

أقـول : ولمـا كان الباب معقودا للأسماء دون الافعال،فعبـارة « الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جـاء في « الصحاح » : النَخّ:الابل التي تناخ عنـد المصدِّق ليصدِّقها » .

وفاتـه أن يذكر « الصَّخّ »،« وهو الضرب بالحديد على الحديـد، والعصا الصلبة على شيء مصمـت » .

وتخصيص الضرب بهـذه الخصوصية المعنوية يُخرج الكلمة عن المصدر،وهو « الصَّخّ » . والمصادر ممـا ادرجها الفارابي في بـاب الافعـال .

ومـن المهـم ان اشير الى ان المصنِّف حين يذكر الكلمة يُكتفي منهـا في كثير من الاحيان بمعنى واحـد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفـه الخاصة والعامة . ومـن ذلك قوله في « الخَـدَ » :

« وهو الخـد »،وسكت .

جـاء في « اللسان » : والخَـدّ والاخدود:شقّان في الارض غامضان مستطيلان . والخَـدّ:الجدول .

وقـد يختلط الامر على المصنِّف فيُدرِج المصدر مع الاسماء ويحسبه اسماء،كما قـال في « الشَدّ »،اي ارتفاع النهار . وعندي انـه مصدر، لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهار » ارتفـع .

وفاتـــه ان يذكر « الصُدّ » ؛ و « الصَدّ » و « الصِدّ » بفتح وضم ؛ الجبل ؛ قالت ليلـــى الاخيلية :

أَنابِغَ لم تنبَغ ولم تك اولاً وكنت صُنيًّا بين صُدَّين مجهلا

و « الصدّان » ناحيتا الشعب أو الجبل أو الوادي والواحد « صُدّ » .

وقـــد يثبت من المعاني أحدها وقد يكون الاغرب كما قـــد يكون الاشهر كما بيّنّـــا ؛ ومن ذِكرِه اغربَ المعاني واهمال المعاني الاخـــرى قوله في « القَـــدّ » :

و « القَـــدّ » : مَسْك السخلة ؛ يقال في المثل « مـــا يجعل قَدَّك مـــن اديمـــك » . وشيء حسن القَـــدّ ، اي حسن التقطيع .

اقـــول : وفاته ان يذكر أن « القَـــدّ » القامة ، وقدر الشيء ؛ وغلام حسن القـــد اي الاعتدال والجسم .

واما اثبات المصنّف في قوله « حسن القـــدّ اي حسن التقطيع » فهو أعلق بالافعال لانـــه يذكّر بالمصادر .

وقال في « النَـــدّ » : وهو « النَـــدّ » ، واكتفى بذلك والذي جـــاء في كتب اللغـــة : أن « النَـــدّ » التلّ المرتفع ونوع من الطيب ، كما في « الصحـــاح » .

وقـــد يُتجنّب المصنّف الخلاف وما فيه من اقوال قـــد تحمل على التضاد أو غيره ومن ذلك ما جـــاء في « الهُدّ » . قال المصنف : ويقـــال : اني غير هَـــدٍّ اي غير ضعيف .

اقـــول : وقال ابن الاعرابي « الهُـــدّ » من الرجال : الجـــواد الكريم واما الجبان الضعيف فهو « الهِـــدّ » بكسر الهاء لا فتحها .

وفـــات المصنف ان يذكر « وَدّ » وتعني الكلمة اسم جبل معروف . و « الوَدّ » : الوَتِد بلغـــة تميم .

واكتفى المصنف بقولـه : ان « الجرَّ » اصل الجبل ، وهو جمـع « جُـرّة » .

اقـول : وفاته أن يذكر انـه الحبل الذي في وسطه اللُّؤمـة الـى المضمـدَة .

وفاتـه ان يذكر « العَـرّ » بمعنى الجرب،وهو العُرّ والعُرّة بالضم .

وذكر أن « المـرّ » هو الحبل،وفاته أن يذكر انـه المسحاة ايضا ، وقيـل : مِقبَضهـا .

ومـا اريـد أن اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف فـي بنـاء « فَعْل » من المضاعف،فأنتقل الى بنـاء « فَعْلَة » بفتح فسكون من المضاعف ايضا فأقـول :

٢ ــ بـدأ المصنف بـ « حَبّة القلب » بمعنى ثمرته،وفاته ان يذكر : « بَبَّـة » وهي حكاية صوت صبيّ . قالت هنـد بنت ابي سفيان تُرَقّص ابنهـا عبد الله بن الحارث :

لأُنكِحَـنّ بَبَـهْ

جارِيَـةً خِدَبّـهْ

وفي « الصحاح » : « بَبَّـةُ » : اسم جارية . و « البُبَّة » السمين ؛ وقيل : الشابُّ الممتلىء البدن نعمةً ، وقـد حكاه أبو عبيد في « الغريبين » .

وفاتـه أن يذكر في « حَبَّة » انها واحدة الحَبّ ؛ وانها اسم امراة .

وفاتـه أن يذكر « الخَبَّة » بفتح وكسر؛الطريقة من الرمل والسحاب ، وهي من الثوب شبه الطُـرّة .

وفاتـه أن يذكر « الدَبَّـة » وهي التي يُجْعَل فيها الزيت والبزر والدهن،وجمعها « دِبـاب » .

واذا كـان المصنف قد ذكر « الرَّبّ » معرِّفًا بانـه الخالـق ، وربّ الدار، صاحبها؛فلِمَ لم يذكر « ربَّـة الدار » صاحبتها !

وفاتـــه أن يذكر « « السَّجَّة » وهو صنم كان يُعبَد من دون اللـــه . وبـــه فسّر قوله ــ صلى اللـــه وعليه وسلم ــ : اخرجوا صدقاتكم فان اللـــه قد اراحكم من « السَّجَّة » و « البَجَّة » .

و « البُجّة »،الفصيد الذي كانت العـــرب تاكله في الأُزْمة .

وقالـــوا : و « زخَّةُ الانسان ومَزَخَّتُه ومِزَخَّتُه »،امراتـــه ؛ ولـــم يشر الى ذلك المصنـــف .

وفاتـــه أن يذكر « القَلّة » وهي النهضة من علّة أو فقر . وفاتـــه أن يذكر « العَمّة » مؤنث العَـــمّ .

واكتفـــي بهذا القدر، وانتقل الى بنـــاء « فُعْل » بضم فسكون، من المضاعف، فاقـــول :

٣ ــ لقـــد فات المصنف أن يدرج « الخُبّ » وهو الغامض من الارض .

وفاتـــه أيضا أن يذكر « الأُسّ » وهو الاساس،اي أصل البنـــاء .

وفاتـــه كذلك أن يذكر « الأُصّ » وهـــو الاصـــل .

وفاتـــه أن يدرج « السُّلّ »،وهو الـــداء،وفيه ثلاث لغات،الضمّ والفتح ثـــم السُّلال .

وفاته أن يذكر « القُـــلّ »،هو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :

ومـــا كنتُ قُـــلًّا قبل ذلك ازْيَبـــا

وننتقل الى بنـــاء « فُعْلَة »،بضم الفاء وسكون العين،من المضاعف، فنجـــد « الجُبَّـــة » .

اقـــول : واجتزأ المصنف من معاني « الخُبَّـــة » فذكر الخرقةَ تُخرِجُهـــا من الثوب فتعصب بهـــا يـــدك .

وفاتـــه أن يقول أيضا : أن « الخُبَّة » الخـــدّ في الارض . « والخُبّة » طريقة لينـــة ميثاء،ليست بحزنة ولا سهلة،وهي الى السهولة ادنى .

وأغفل ذكر « الدُبَّـة » انثى الدب .

وفاتـه « المُجّة » لضرب من الطعام اختلفوا في مادتـه وأجزائه، فقالوا: الدقيق بالسمن، وقالوا شيئا آخـر .

وقـد تجـد عبارة المصنف معوزة، فهو يقول في « الكُرَّة »: البعـر العفن ؛ قال النابغـة يصف الدروع :

عُلِينَ بكذْيونٍ وأُبطِنَّ كُـرَّةً فَهُنَّ وضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

أقـول : وقد تعجب من مجيء الشاهـد في الدلالة على المعنى الذي أثبته المصنف، وهو البعر العفـن . ولكن الحقيقة تنجلي بعبـارة « الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بقولـه : « تُجْلَى بـه الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قـول النابغة .

ومـن ذلك ايضا قوله : « والحُزَّة لغـة في الحُجزة » .

أقـول : واذا راينا عبارة « الصحاح » : ان حُـزّة السراويل، وحُجزتها التي فيها التكّة ، ادركنا تقصير الفارابي في ايجازه المُخِـلّ .

ومـن ذلك قوله في : « المُـزّة »، الخمر . وهي في « الصحاح » : الخمر التي فيها طعـم حموضة .

وقـد يأتي بشيء من المناكير مما لا نجده في اي من كتب اللغـة ؛ ومن ذلك قولـه : « وهي اللُطَّة » .

أقـول : وليس في « اللسان » أو « القاموس » أو « الصحاح » أو « الجمهرة » شيء من ذلـك .

واذا كان الكلام على بنـاء « فُعْلَة » وما جاء منه في العربيـة ، فاين « الأُمَّـة » وهي كلمة شهيرة تنصرف الى دلالات عـدة ؟

ثـم اين « الحُمَّة » وتعني معظم الحرّ ؟ وايـن « السُمّة » وهي حصير يتخـذ من خوص الفَضَف ؟

وفي « التهذيب » : والسُّمَّة شبه سُفرة عريضة تُسَفُّ من الخوص وتُبْسَط تحت النخلة اذا صرمت ليسقط مـا تناثر من الرطب والتمر عليها .

ثـم أين « القُمّة » وهي المزبلة ؟

واذا انتقلنا الى بنـاء « فُعْلي » بضم الفاء من المنسوب المضاعـف، وَجَدْنا المصنّف يذكـر اربعة الفاظ هي عدة ما جاء على هذا البنـاء .

٤ ــ اقـول : وليس فيها « العُمّيّ » وهو العـام، يقابل القُصْرِيّ، وهـو الخـاص .

واذا تجاوزنا هذا البنـاء المنسوب المضموم الفـاء الى نظيره المكسور الفاء، نجـد ثلاثة الفاظ ليس غـير .

٥ ــ اقـول، وفاته « عِلّيّ » وجمعها « عِلّيّون » كما في قوله تعالـى : « ان الأبرار لفـي عِلّيّين » .

٦ ــ وفاتـه أن يذكر « الحُمَم والصُّمم »، وليس لـه أن يحتج بالمصدرية، فقد ذَكَرَ البُلَل والمُلَل والزُلَل والقُصَص وغيرها، وكلّهـا من المصادر . وايـن « الدُبُبُ » وهو الشعر على وجـه المـرأة ؟

٧ ــ ويعمـد المؤلف كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البنـاء الذي يشير اليـه، من غير أن يذكر شيئا من دلالته، مع انـه يستحق ذلك؛ كقوله في « الحُظَظ » : انـه لغـة في « الحُظُظ » بضم ففتح وبضمتـين .

اقـول : وقد وردت بضادين وبظاءين، وبضاد بعدها ظاء، كما في كتب اللغـة الاخرى . والحُضُض دواء من ادوية العـين ...

٨ ــ وناتي الى بنـاء « فُعَلَة » فنجد ستة الفاظ، وليس بينهـا « هُمَزَة » و « لُمَزَة » و « ضُحَكَة » و « هُزَوَة » وكثير غيرهـا .

٩ ــ ولـم يذكر في بنـاء « أُفْعول » الا « الأُخْدُود »، فايـن « الأُنْبُـوب » ؟

١٠ ــ وفاتــه ان يذكر « الإرزيز » على بنــاء « إفعيل » وهــو الرعدة ؛ و « إزميم » وهو ليلــة من ليالي المحاق .

١١ ــ وفاتــه ان يذكر « المَدَبّ » وهو مكان جريان السيــل . و « المَحَــلّ » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثــير .

١٢ ــ قلــت : انــه يوجز والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام، فقد قالوا : البلاغة الايجاز . غــير أن الايجاز يصبح مأخذاً على صاحبه اذا لم يُــفِ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « المِــدَكّ » على « مِفْعَل » مثل « مِبْرَد » : انــه شديد الوطء إنّ قوله « شديد الوطء » معوز، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عــدة ؛ فاذا قرانا « الصحاح » ووجدنــا فيه : انــه قوي شديد الوطء للأرض ، انتفى اللبس وزال الغموض .

١٣ ــ ومــن ايجاز المصنّف المُخِلّ قوله : « وهو المخطاط » . ولا يعرف القارىء مــا المخطاط، فيستشير مصادر اللغــة، فيجد الجوهريّ يدرجه في « الصحاح » قائلا : انــه عود يُسوّى عليه الخطوط .

١٤ ــ وفاتــه ان يذكر في بنــاء « فَعّال » المضاعف « الدَقّــاق » و « السَلّال » من اسماء الرجــال، وكذلك السَفّاح والسَفّاك من القابهــم . ومن اعلامهم « زَبّان » وبــه سمي ابو عمرو بن العلاء، ومن هذا كثير .

١٥ ــ وفاتــه ان يدرج « الدَبّابَة » في بنــاء « فَعّالَة » من المضاعف .

و « الدَبّابَــة » التي تُتّخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثــم تُدفَع في اصل حِصن ، فينقبون ، وهــم في جوفها ؛ سميت بذلك لانهــا تُدفَــع فَتَــدِبّ .

و « حَبّابَة » من اعــلام النساء المشهورة .

١٦ ــ وذكر في بنــاء « فُعّال »، بضم الفاء مع تشديد العين، ثلاثة اسمــاء، أولهــا :

« رجال سُحّاح » اي سمــان .

اقـــول : والضبط في « الصحاح » بكسر السين مـــع التخفيف ، وفي « القاموس » بكسر السين وبضمّها مـــع التخفيف ، ومثله في اللسان . ولم يرد في اي منها تشديد الحاء . والذي اراه ان قـــول المصنف « رجال سُحّاح » وهو جمع « ساحّ » لان « فُعّال » مما يطّرد في جمع « فاعـــل » .

ولـــم يذكر « الدُبّاء » وهو القرع،واحدته « دُبّاءة » ولا « المُكّـــاء » لجنس من الطير، وغـــير ذلك .

١٧ ــ وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكـــر المصنف اربعة الفاظ بداهـــا بـــ « ماجوج » .

اقـــول : والرواية فيه الهمز "ماجوج"،وقُرِىء « ماجوج » بتسهيل الهمزة ايضا ؛ فاذا ذَكَر « ماجوج » فما بالـــه لم يذكر « ياجوج »،وهـــو مثله ويسبقه في الآيـــة الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكـــر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »،وهو مثله وقريب منه في الدلالـــة .

١٨ ــ وفي بـــاب « فَعال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقتـــه الزيادة من حروف المـــدّ بين حرفي تضعيفه،فاتـــه ان يذكر « اليَباب » وهو الارض القفر ، و « الحَزاز » من الرجال،وكذلك الحزيز،الشديد على السَّوق والقتال والعمـــل .

١٩ ــ وفي باب « فَعول » من المضاعف قال المصنف : « وهو الذَرور » .

اقـــول : وجاء في القاموس : ما يُذَرّ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ ــ وذكـــر المصنف : « سنة حسوس،اي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة المَحْـــل .

٢١ ــ وجـــاء في « الزَفوف » : انهـــا فرس كان للنعمان بن المنذر .

اقـــول : قد يكون هذا ثابتا،غير أن في « اللســان » : ان « الزُفوف » هي النعامة . وقـــد اغفل ذكرها صاحب « الصحـــاح » .

٢٢ ــ وذكـــر المصنف ان « السَّموم » شدّة الحر . والـــذي في « الصحاح » انهـــا الريح الحارة . وقال في « الهُموم » مـــن البحـــار ؛ الكثـــير المـــاء .

اقـــول : وجاء في اللســان : أن « الهَموم » البئر الكثيرة المـــاء . وسحابة هموم،صبوب للمطـــر .

وقـــال ابو عمرو : « الهُموم » الناقة الحسنة المشية ، والقرواح التي تعاف الشرب مع الكبـــار ، فاذا جاءت الدَّهداهُ شُرِبَت معهنّ ، وهـــي الصِغار . والهَموم : الناقة تهمم بفيها الارض وتَرْتَع ادنى شيء تجـــده ؛ قال : ومنه قول ابنـــة الخس : خير النوق الهموم الرموم التي كـــان عينيها عينا محمـــوم .

اقول : وقول ابنـــة الخسّ : خير النوق الهَموم الرَموم ، التي كأنّ عينيها عينا محموم . اقول : وقول ابنـــة الخسّ يشير الى « الرَموم » التي ندَّت عـــن الفارابي فلم يذكرهـــا .

٢٣ ــ لقـــد افرد المؤلف باباً لبناء « فعيل » المضاعف،واغلبـــه من الصفات التي كـــان من منهج المصنف ان تندرج في باب الافعال؛نحـــو : الحبيب ،والربيب، واللبيب، والشحيح، والجديد، واللذيذ، والضرير، والعزيـــز، والخسيس، والخفيف، والدقيق، والجليل، والدميم،والضنين؛ومثل هذا كثـــير في هذا البـــاب .

٢٤ ــ وجـــاء في هذا الباب « اللطيطة » فقـــال المصنف : وهي اللطيطـــــة .

وليس اللطيطة في « الصحاح » او « اللسان » او « القاموس » . وقـــد وُجِـــد في هذه المظانّ : لَطَطتُ الشيء : الصقته ؛ ولططتُ حقَّـــه : جحدتُه ؛ ولطَّ الستر : أرخاه ؛ ولطّت الناقة بذنبها،اذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ ــ وقــال المصنف : « هي البُليلة » .واكتفى بذلك . وهي ريح باردة مع ندى أو مطرة ضعيفة،كمــا في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ ــ وجــاء الكثير من بنــاء « فُعال »،بضم الفاء المضاعــف، صفاتٍ ونعوتا،ممّا يجــب أن يندرج في قسم الافعال .

٢٧ ــ وفــات المصنّف أن يدرج « الطُّفاف » في عــدة هــذه الالفاظ التي جــاءت على هذا البنــاء .

٢٨ ــ وفــات المصنّف في بنــاء « فُعالَة »،بضم الفاء مع التضعيف، « الطُفانة » ، وهي مــا فوق المكيال،ومثلها « الطُفاف » الذي أشرنا اليه .

٢٩ ــ وجــاء من المنسوب على بنــاء « فُعال »،بضم الفاء،لفظ واحد هو « القُساسيّ »،وذَكَــرَ المصنّف انــه السيف .

اقــول : وفي « الصحاح » أن القُساس معدن الحديد بارمينية ، و « القُساسيّ » منسوب اليــه .

٣٠ ــ وجاء في بناء « فِعال »،مكسور الفــاء من المضاعف،« الجِداد »؛ فذكر المصنّف انــه لغــة في « الجُداد »،بفتح الجيــم .

اقــول : والجِداد والجُداد مثل الصِرام والقِطاف،كما في « الصحاح ».

٣١ ــ ومــن ايجاز المصنّف انــه ذكر « الصِرار »،بكسر الصاد، وقــال : الخيط الذي يُشدّ بــه ضرع الناقة .

اقــول : وزاد في « الصحاح »،لئــلا يَرْضَعها ولدها ؛ وهــذه الزيادة مفيدة وواجبــة .

٣٢ ــ وفي مــادة « تِمام »،بكسر التاء،ذكر المصنف : وَلَــدٌ تِمــام وتَمام (بالكسر والفتح) ، وقَمَــرٌ تِمام وتَمام .

اقــول : والذي في « اللسان » الكسر وحده،ليل تِمام وليل لِتمام وليــلٌ تِمامــي .

٣٣ ــ وفاته في بنـــاء « فِعالة »، بكسر الفاء من المضاعف، « الكِمامة » وهي ما يجعل على مِنخَر الدابّة لئـــلا يؤذيها الذباب، كما في « اللسان » . و « الكِمامة » ايضا وعـــاء الطلع، وغِطاء النَّور، كما في « الصحاح » .

٣٤ ــ وفاتـــه ايضا « الدِلالة »، بكسر الدال، وهو ما يعطـــى للدَلّال أو الدليـــل .

٣٥ ــ وجـــاء في بناء « فُعْلَى » المضموم الفـــاء والمضاعف، ثلاثة الفـــاظ هي : « الرُبَّى » ، و « الحُمَّى » و « الغُمَّى » .

أقـــول : وفاته شيء كثير، منه : « الحُبَّى » من أعلام الاناث ، و « الدُبَّى » : موضع بالدهناء ليّن يالفه الجراد فيبيض فيـــه ، و « الجُلَّى » للأمـــر العظيـــم .

٣٦ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلاء »، بضم فسكون مـــن المضاعف : « الدُبّاء » وهو القرع، واحدته دُبَّـــاءة .

٣٧ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلان » من المضاعف : « زُبّان » من أعلام الرجـــال ، وكذلك « بُلّان » .

٣٨ ــ وفـــات المصنف أن يذكر « الحَبْحَبَة » على بنـــاء « فَعْلَلَة »، بفتح الفاء، وتعني جري المـــاء قليلا .

كمـــا فاتـــه « الخَبْخَبَة »، وهي رخاوة الشيء المضطـــرب .

ومثـــل هذا « الدَبْدَبَة » وهي العُجروف من النمـــل . و « الدُبْدُبَة » كلّ صوت اشبهَ صوت الحافر على الارض الصلبة . ومثل هذا « الذَبْذَبَة » وهي تردد الشيء المعلّق في الهـــواء . ومن ذلك « الجَلْجَلَة » للصـــوت عامّـــة . وهذا قليل من كثير مما قَصَّر فيه المصنـــف .

٣٩ ــ وفـــات المصنف « الصُرْصُر »، بضم الصاد من مضاعـــف الرباعي . والصَّرْصُر، بالضم والفتح، والصُّرصور مثل الجُرجور، وهـــي العظام من الابـــل .

٤٠ ــ وقد فاته في بناء « فُعْلُلَة »، بضم الفاء واللام: « البُلْبُلَة » لضرب من الكيزان في جنبه بُلبُل يَنْصَبّ منه الماء .

٤١ ــ وذكر في بناء « فِعْلِل »، بكسر فسكون من المضاعف : ورجل صِمْصِم اي غليظ .

اقول وزاد صاحب « الصحاح » : ويقال الجريء الماضي .

٤٢ ــ وقد قصّر المصنّف في بناء « فُعالِل »، بضم الفاء وكسر اللام، وقد فاته « البُسابِس » و « الكُباكِب » و « الدُبادِب » و « الجُباجِب » للكثير الصِيَاح ، وغير ذلك كثير .

٤٣ ــ وقد فاته كثير مما جاء على « فُعْلال »، بفتح الفاء من المضاعف، ومنه « الدُبْداب » و « الرُحْراح »، وشيء رحراح اي فيه سَعة، وغير هذا كثير .

٤٤ ــ وقد فاته في بناء « فُعْلالَة »، بالفتح، « الطُبْطَابَة » وهي خشبة يُلعَب بها في الكرة .

ومن هذا ايضا « البُسباسَة » وهي بُقْلَة ، وهي ايضا من اعلام الاناث .

٤٥ ــ وفاته في بناء « فُعْلول » « الطُرْطور » وهو الوغد من الرجال .

وينتهي المصنف من باب الاسماء من المضاعف ويعود الى باب الافعال من المضاعف، فيبدأ بـ « فَعَلَ يَفْعُل »، بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع . ويعقبه بـ « فَعَلَ يَفْعِلُ »، بفتح ثم كسر، ثم « فَعَلَ يَفْعَل »، بفتحتين، ثم « فَعِلَ يَفْعَل »، بكسر ففتح. وهو في مجموع هذا يذكر المصادر . ولا تحسبنّ انه يستوفي الكلم او يستوفي الدلالات، فقد فاته الشيء الكثير . وهو يوجز في كثير من الاحيان ايجازا مُخِلاً .

وهـــو حين يذكر « فَعِلَ يَفْعَل »، بكسر ففتح، يعرض للنعوت التي وردت على "افعل" من الافعال المضاعف، نحـــو: الأَحَصّ والأَشَمّ وغيرهما .

ثـــم يدخل في باب الزيادات، فبدأ بـــ « أَفْعَلَ » من المضاعف، نحـــو: أَحَبَّ وأَلَحَّ . ثـــم يعقب ذلك بـــ « فَعَّل » المزيد، ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة وغيرهـــا ، وينتهي من المضاعف فيعود الى الافعال غـــير المضاعفة، ويتبسـع منهجه نفسه ، في المجرد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقـــات .

ولا بـــد من القول ان المصنّف مقصّر غير مستوف لمادتـــه في هذه الجمهرة الكبيرة من المـــواد .

وهـــا نحن نبدأ الكلام على الجزء الرابع، والمنشور منـــه القسم الاول ؛ ولعلّ القسمَ الثاني خاص بالفهـــارس .

ـ يبـــدأ هذا الجزء بـــ « كتاب ذوات الاربعة » ؛ وقد يخيّل اليك أن « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي. فأقول، ليس الامر على هـــذا النحو، فهو يأتي بباب « فَعْل »، بفتح فسكون، ممـــا آخره واو، كالرَّبْو والنَّحْو والفَرْو والدَلْو، وغير ذلك . والمصنف على نهجـــه لا يستوفي عدّة الكَلِم ولا يستوفي دِلالاتها ؛ وقد يوجز ايجازا يحمل الضيم على المعاني . ثـــم انـــه يخلط الاسماء بالمصادر، مع أن البـــاب مخصوص بالاسماء دون المصادر، التي يَعدّها من بـــاب الافعال .

فـــاذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها، عـــاد الـــى الباب نفسه مما آخره يـــاء .

ثـــم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالبَوّ والحَيّ . ويستمر في ابنيـــة الاسماء المنتهية بأحد الحرفين الواو والياء، كبناء « فَعْلَة » بالفتح، و « فِعْلَة » بالكسر و « فُعْلَة » بالضـــم ، و« فُعَل » بالضـــم، و « فِعْل » بالكسر، و « فَعَل » بفتحتين، و « فَعَلَة »

بفتحتين، و « فِعْل » بكسر ففتح، و « أَفْعُل » و « أَفْعُلَة » و « أُفْعول » بالضم، و « أُفْعُولة »، و « أُفْعُلان » بضم الهمزة والعين . و « مَفْعَل » و « مَفْعَلة » بفتح العين، و « مُفْعَل » و « مُفْعَلَة » بضم الميم، و « مِفْعَل » بكسر الميم، و « مِفْعَلَة » بكسر الميم . وهكذا في سائر المشتقات من الاصل المجرد او المزيد ، وكل ذلك مما آخره واو او ياء . ثم عرض للمهموز في الافعال ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه .

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع، والدارس لهذا الكتاب ممتَحَنٌ اشدّ الامتحان في معرفة الغرض الذي رمى اليه المصنّف، اهو معجم للأبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الالفاظ ؛ أم هو معجم للأبنية والكَلِم ؟ واذا كان هذا ، فأين جمهرة من الكلم التي فاتت المصنّف ؟

ولم أُرد ان آتي على ما فات الفارابي من الكَلِم المندرج في ابنيته المختلفة، فيكون للمستدرك الذي اتيت به صفة الاستقراء الوافي ؛ بل اردت ان آتي بنماذج واضحة مما فات المصنف، ومما اخلّ به او قصّر او اخطأ، لأقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجمية العلمية الدقيقة .

على أن من الحق ان اقول في الختام إن المحقّق قد قدّم من الفوائد ما اغنى الكتاب، فيَسَّره واجزل عائدته . ولا يضير هذا العمل الجادّ هفوات عرضتُ لها في الكلام على الجزء الاول ؛ وهل تعدم الحسناء ذاما ؟

د. ابراهيم السامرائي

تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبد الحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي اريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا اخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبْت الاسم الاعجمي واعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم اطلق اللغويون « المعرَّب » — زنة المظفر — على الدخيل في العربية . اما اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بها على الاغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. أي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتاخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، او عرَّبه فلان ، اي ترجمه من لغة أعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب الاجنبي الى العربية ، أن يسمى العمل (تعريبا) اذا عبَّر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وان يسمى (ترجمة) اذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلب (التعريب) قلبة أخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم)، مثلا، بمعنى ترك اللغة الاجنبية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولـو سمعها احـد العرب القدامى لتساءل متعجبا : هل المقصود هو التعليم باللغـة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليـم) تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمعنـاه الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربـي ، الى طرد اللغـة الاجنبية واحلال العربية محلّهـا .

وبمـا أن هذا المعنى الاخير المستحدث هـو الشائع الدائر على الالسنة والاقلام اليوم ، وهـو الذي يعرفه ابنـاء الجيل الجديد ، فلستُ اجـد مناصا من الاخذ بـه في حديثي هذا ، ولا اجـد مناصا كذلك من أن استبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمـة اخرى ترفع اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انهـا (الاقتباس) .

* * *

كثـيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هـي، بدلا من صوغ الفـاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أَجِلّـة العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربيـة وإكبارهم لشأنها . ومـن حُجَجهم ان العلـم صار يتطوّر بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثـر، فكلّ يـوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلـوم والصنايع في مختلف اقطار العالـم . ومن حججهم ايضا أن اقتباس المصطلحـات الاعجمية يساعد الدارس العربـي على فهمها حين يقرؤها في لغـة اجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديـد . وثالثـة هي أن العرب قد اكثروا من الاقتباس قديمـا، ولا سيما في عصر الازدهـار الحضاري على العهـد العباسي ، وعَـدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهـم .

وجوابنـا على كثرة المولود يوميا مـن المصطلحات عند الفرنجة، أن معظمه لا شأن لـه بنـا من العلوم التقنية الحديثة التـي لا نعرف عنها شيئا ، أو لا نعرف عنهـا الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتـاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن، لعلّه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عند مختلف الامم، مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغة الاغريقية أو اللاتينية، لكيلا تختلط — ولا سيما أسماء المخترعات الحديثة — بالفاظ لغتهم اليومية من قبيل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزية اي : صوت من بعيد ، و telegraph بدل script afar اي : كتابة من بعيد .

بل صاروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغة قومه : احيانا يصوغ اسمها الطبيب المشتغل بها، واحيانا المهندس، او حتى العامل . في معجم النفط — مثلا — الذي عُمِلْتُ فى وضع مصطلحات عربية للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على اجهزة القسم الاعلى من البئر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِد) ؟ انا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت له كلمة (الهامة) لانني وجدتها اوفى بالمرام .

واحدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبدو ان هذه لم تكن من وضع عالم او مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احد العمال، وَجَدَ راس الاداة او ذيلها او شكلها العام يشبه العنزة في تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كوت : goat) ثم ننطقها — على منهاج العرب (قوت) بالفتح ، او (جوت) بالنطق المصري ؟ (نسيت الاسم العربي الذي وضعته لها) .

واذا كانت اللغات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغة من الاغريقية أو اللاتينية، كالذي المحنا اليه ، فان بعضها يتغاير حتى في هذه ، كالالمانية التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير من هذه المصطلحات المشتركة . فاما المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغة قومه فلا يمكن بحال أن نقتبس واحدة منها من لغة الا لنخالف الاخريات .

هـذا الإشكال الذي يبتغي أنصار الاقتباس أن يُجلّوه للعربيـة قد أخذت تعاني منه جميع لغـات الارض ؛ حتى الفرنجـة لم يبق لهـم محيـد عن الترجمة ، كل الى لغتـه : الفرنسيون يترجمون الـى لغتهـم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانيـة والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهـم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانيـة والايطالية ، الـخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، أي الترجمة ، بـل التعريب ـ وان بين الكلمتين لَفَرْقـًا نَوَّهْنـا بشيء منه آنفـا ، وسيعود الينا نموذج منه بعـد ـ

وبالاضافـة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكـر أن اللغـة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلهـا ؛ فشركات النفـط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامـر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منهـا المصطلح الذي يعنّ لهـا للآلـة الواحدة، أو الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفيـة أو غير ذلـك .

فـاذا نحن أردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغـة نتبع ، ولكلّ لغـة ، واحيانا لكلّ شركة معجمهـا ؟

أمـا الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسـوا الالفـاظ والمصطلحات ، فمن بـاب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الـذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكـاء . فالاقتباس سجيّة جميـع اللغـات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منهـا ؛ فكلّما زادت اللغـة إملاقًا وقلّت مقدرةٌ علـى التعبير، كَثُر اقتباسها من اللغـات الاخرى التي تحتكّ بهـا . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقـة اللغوية ، لا محلّ لها هنـا).

وقـد تكاثرت المقتبسات في عهـد الترجمة العباسي حقا ، لكـن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغـة المترجمين، وضآلة بضاعتهم مـن

العربية ــ وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، فشاعت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) أو لم يَهْتَدِ الى الكلمة العربية المقابلة لها ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربية .

لكن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعد ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بدل الجغرافية ، والحساب بدل الارتماطيقا ...

ولامرٍ ما ثَبَتَ بعض المصطلحات الاعجمية بدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربية التي لا تحصى في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرها .

ولو قد اخذ العلماء العرب عهدئذ كل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهندية .. لضاع علينا من لغتنا هذه العربية خير كثير .

ولئن كنت اعاضد (التعريب) واعارض (الاقتباس) فلست اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفاظ اعجمية تبحث لنفسها عن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربية ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعد زمن طويل .

عُمِلْتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ــ في الرباط ــ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت أن العقبة الكبرى في طريقي هي انني احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرها . أما الكلمات المعجمية التي أعلم انني لا أعرفها فما أوفرها عددا ! وما مرّت بي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنا الماسّة الى معجم للمعاني الى جانب هاته المعاجم الكثيرة للألفاظ . فعندما كتبتُ (في مجلة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدني) ، مثلا ، عَرَضَتْ لي أنواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، أعلم أن أسماءها موجودة في العربية،لكني لا أعلم كيف أجدها . كذلك كتبتُ عن المعجم العسكري الموحّد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثناء تحبيرها لو كان تحت يدي معجم للمعاني يتناول كل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافل والكراديس ، وكل ما يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقال عن معجم النفط ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه المعرّبون في علم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغة العربية الشديد الغنى . لكن كيف نعثر عليها ؟

من فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصَّص) ابن سيدة . انه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضرير عبقري حقا ــ لكنه قديم، لم تكن اشتات اللغة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؛ فقد ظهرت بعده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همُّه ان يستعرض الالفاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخول في تشعّبات اشتقاقاتها ومختلف معانيها . يضاف الى ذلك ان (المخصص) لا يستوعب كل المواضيع ، فضلا عن أن تبويبه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقة ولا واضحة .

ولـو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـا يتعلق بالاحلام في مكان آخـر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـق بالدرس والحصاد في رابـع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات أن نجـد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـة احيانا ، مما سبق للعـرب أن استعملوه وأودعوه معاجمهـم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـه .

أزجـي بعض الامثلة من معجم صغير ترجُمْته عـن الانكليزيـة والفرنسية باسم « معجـم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـوم في فصحانا مقابلاتها العربية . نذكـر منهـا falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحهـا المعجم بقوله إنهـا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا أردنـا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـذا، ولكل لغـة أوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـى . أفليس الامثل ان نؤثر كلمتنـا العربية التي استعملها العرب قديمـا بالفعل لهذا المعنـي وهي (التَصقُّر) ؟

ثـم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعَرِّفه المعجم بأنـه « نوع أو سلالة من نباتات او حيوانات متخلفـة من فصيلة سالفة اكبـر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الأمـة الباقية بعد الأمـة السالفـة » ؟

كذلـك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـا العرب مقابلها (عاصفـة ترابيـة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـى هـي (السافية) أي « الريح التي تحمل التـراب » .

---

(١) نشر المعجم بلغته الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة « اللسان العربي » . العـدد (١٢ ـ ج ١ ـ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثم mass mortality (بالفرنسية mortalité massive)
.. بأية صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيا بكلمتي (الموت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين أو التسمم) . ومعنى هذا انه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى لهم . فما الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنب ــ الروسي أو غيره ــ أو ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَوَاف) ــ زنة الطَوَاف ــ اي : « الموت يقع في الابل او الماشية » ؟

ما علينا الا أن نبحث في لغتنا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبّرة عما نروم بالدقة او بما يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيان اغنى حتى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . من ذلك مثلا eulitteral (بالفرنسية Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تُغْرَق دوريًّا لوقوعها بين حدود تَغَيُّر مستوى الماء »،اي تقع بين مستوى صعود المدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هي تعني لغويا عندهم (الساحلي) فحسب . وما كل أرض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحو ، لكنهم استعملوها لانهم لم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى الطويل . فهنا لم (اترجم) لفظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمة (الساحلي) أو ما يماثلها ، بل (عَرَّبته)،اي وضعت مقابله الكلمة العربية التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَقَّة) ــ زنة البَطّة ــ ومن معانيها : « الارض يغمرها الماء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على أن ثمة مفردات عربية كثيرة أعرفها لكني لا اتذكرها عند الحاجة اليها . واكثر مما اتذكر أو لا اتذكر من المفردات التي أعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفها . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجم

للمعاني ، عصري ، يُتِمُّ فيه جَرْد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المعتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به أو القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، اية مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى امام والى اعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم ــ حَلّال المشاكل التعريبية ــ موجود ، لكنه غير مطبوع ، كان قد أَلّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل فيه أكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أَحَبَّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات ــ ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية ــ قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording, ... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد امامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعني الكتابة بمختلف انواعها ، وبضمنها الكلمات الآنفة (٢) .

• • •

لكني لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة في المصطلحات العلمية إبّان ازدهارها حضارةً وثقافةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالميّ ، أيضا .

ذلك بأني صرت اعتقد ــ بعد طول تأمل في هذه العربية ومقارنة لها مع غيرها ــ انها هي أم اللغات الآريات ، بالاضافة الى الساميّات والحاميّات ، كما اعلنتُ مرارا ؛ بل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت في الانكليزية مثلا ان كلمة river (نهر) يعود رسّها (= جذرها الصوتي) الى قول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هذا على الانكليزية طبعا،فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات اخريات كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا ان اللغويين الاوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات لغاتهم ؛ لانها ــ اي العربية ــ ما زالت نقية تحتفظ وحدها بين

---

(٢) من حسن الحظ ان وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت على عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـــات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـــة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّـــات .

والمصطلحـــات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهمر علينـــا ـــ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـــا ـــ افسدت نقـــاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـــل .

الاقتبـــاس أسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـــة ، لكـــنْ لتضييع اصالتها ايضـــا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـــات الارض،لانها دابت على اختطاف كـــل مصطلح أو لفـــظ اجنبي يعرض لهـــا ، دون أن تحاول اشتقاق صيغة لهـــا من مفرداتها ، حتى غدت أوفـــر اللغات ثروة،واوفاها بحاجـــة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ـــ كلفـــة ـــ من افقـــر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـــة . وليس ثمة لغـــة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـــة المحلية (الولزية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـــات اوروبيات اخريات . ثـــم جاء عهد الاقتباس ـــ الاستعماري ـــ مـــن كل لغـــات الناس .

* * *

المصطلحـــات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـــي . اذكر من امثالها ما يأتـــي :

تلفزيـــون :

وهـــي اهـــم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـــا الآن ، لشيوعها في كـــل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـــة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـــاز (television) المركب من vision (رؤيـــة) و tele (من بعيد) . أمـــا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـــه ؛ و (الشَّواف) من الناس : الحديد البصر ، والشَّيفة (زنَـــة السيدة) والشيفان (زنـــة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشناف) لهـم ، اي يستطلع حركات العـدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون)،اي الرؤيـة من بعيد ، او بالاحرى اداة الرؤية من بعيـد ، وهي ادق واصوب . وقـد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في اكاتيبهم ، لكنهـم غير كثيرين ايضـا .

غـير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كـل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منهـا ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهـاز، و (التلفزة) على فـن البث منه ، و (تُلفِزْت) المسرحية : اعددتهـا للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَـزَة) .

ويرجـع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لـي، الى اثل عربي قديم . امـا tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتـلا بعد قومه : تأخر وبقي .. واتلاه : سبقه او اخّره . واصل المعنى تـلاه : تبعه . وهذا ينـمّ عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيهـا ، شأن الكثير من الالفاظ العربية . ثـم ان كثرة ما نجده من الالفـاظ العربية متسربةً من اللغات الاعجمية،تدعونا الـى البحث في العربية عن اثول الالفاظ الآريـة التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريـات . لهذا لا نستبعـد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعـد ، منحدرة من فعل (تلـى) بمعنى التخلّف والتاخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهـم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتبـاع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) ــ المناقض للاتباع ــ فـي العربيـة نفسهـا .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاثلها من اللاتينية . وهـي من (viso) اي وجـه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطـق (فاچـه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجـه) العربية اوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجـــه نجدها في العربية ايضـــا ، حيث اشتقوا من الوجـــه (المواجهة) بمعنى الملاقاة،والزيارة عنـــد المحدثين . اما المعجـــم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجـــه . و وجّـــه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليـــه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحـــــال) .

فعلـــى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية أثـــلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبهـــا العربي العريق ، ام نعرّبها .. بالشّواف او غـــيره ؟

سوناتـــــا :

لهـــا معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجـــع رسّهـــــا (جذرها الصوتي) الـــى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الـــذي منه قال العرب صأى الفرخ : اي صات . ومنـــه اشتقوا : صاء ، ثـــم صاح ، ثـــم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزيـــة shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصـــورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيـــــا :

هـــي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : gé) (أرض) و logia (كـــلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنـــا هذا : (علـــم الارض) ، وقد عرّبوه بـــ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا اطلقت على هـــذا العلم اسم (الأرْضانيّات) قياسا علـــى (الأحيائيّات) بمعنى علـــم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المســـح الارضاني، والعهود الارضانية،بمعنى المســـح الجيولوجي والعهود الجيولوجيـــة ،، ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : logia) اي الكلام ، ترجع بأثلها العربي الى (لغـــة) .

واما gé فتعني بالاغريقية الارض ، كما تقدم . وتقول المعاجم التأثيلية ان الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضا ، بالنطق البدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربة (الجزيرة العربية) بوجه عام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو معجميًّا : الارض السهلة المستوية ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات العربية يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) اقرب الى الاغريقية (gé) ، وقد وردت في الآية « كسراب بقيْعة يحسبه الظمآن ماء » اي كسراب بأرض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغة جمع فقط للقاع ، بينما وردت في هذه الآية بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآية : « كسراب (باراضٍ) يحسبه الظمآن ماء » .

ثم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانت تعني الارض بعامة ايضا،فيما ارى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكر ، مثل مرادفة الماءة للماء،او النجمة للنجم، والليلة لليل .

لهذا يغلب على الظن ان (gé) اثلها (قيعة) و (gaia) اثلها (قاعة) — بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيها .

واما نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقد جاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيا،كما لا تزال تنطقه بعض الدارجات متخلفا من القبائل القرشية ومن تأثيرها . اما سائر القبائل العربية فكانت وما زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همزة) ..

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology (المؤلفة اثلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قدمى) اثيلة بمادتها، اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى اجدني مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات مثل (تلغراف : telegraph) الذي صار يدعى (برقية) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حاكٍ .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عرّبت (التلفون) باسم (الهاتف) بقيت اقطار اخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت منه (تَلْفَنَ يَتَلْفِن) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه أن يدعى (مهتوفا به) ، أما (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب أن تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتَف ، مِهْتَفة ، هاتوف ! . .

لكن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاها الاكثرون، حتى في العراق الذي بقي حينا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : telephon) مركب، كما هو معلوم، من (tele) التي سبق لنا تأثيلها و (phon) : صوت ، التي يخيل لنا أن اثلها الاعربي (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي الفم، الذي تنطقه الدارجة المغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عادة

المغاربة في مـد بعض الحركات : (فوم) .. وهي ظاهرة نطقيـة متخلّفة من عـادة اعربية لبعض القبائل القُدْمى . وقد استعملت العرب (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم،فـاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهُ القـوم : تكلّموا . وليس بمستبعد ان تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـم ، او (الفَوه) بالفتح : مصدر فعل "فـاه يفوه" ، اي ينطق .

تكنولوجيـا :

technology .. امـا (لوجي logy) فقد تحدثنا عنها ، وامـا (تكنـو : techno) فأصلها الاغريقي (تخنـه : techné) اي الفـن . واصلها العربي هو (التِّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ تِقْنِـه»،اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ــ اي الموهبة او ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (التِّقِن) زنـة الشَّرِس ، هو « المتقن للأشياء،الحاذق فـي العمـل » .

اذن فـ (التكنولوجيا) ايضا عربية اصـلا . ولكن اذا اخذنا بها فـلا ينبغي ان نفرّط بصيغة (التِّقْنِيّات) و (التِّقْن) وانمـا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المُواطـن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـن .

بنزيـن :

هـذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اصـل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا صلة لمعناها الحالـي بمعناها الاصلي . فهي من مولّدات العهـد الاسلامي اولاً،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاثل هو (لبان جاوة) وهـو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العـرب من (جاوة) الى أوروبا ، ولا علاقة لـه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات ونحوها . لكـن

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم فيما يظهر، انـه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثـم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثـم تطور معناه ايضا حتى صـار (بنزين : benzin) .

جغرافيـــا :

امـا هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفـاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفـظ عربي مبين ، لانها شاعت وفرضت نفسهـا بالرغم من ان العـرب سبق أن عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثـم اختصروها الى بلدانيـات .

وهـي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) أي علـم الكتابة عن الارض .

امـا (كيه : gé) فقد اتلناها عند كلامنا عـن (الجيولوجيا) ، وامـا (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنـا انها من العربيـة ايضـا .

ذلـك بأن العرب قالت خرفش شيئا : خَلَّطه (بالتشديد) ،وهي من قولهم خربش الكتـاب (أي المكتوب) : افسده . وهذا المعنـى مستحدث في الكلمة،سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينهـا تَطَلُّبًا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المضاع من الكلمة نجـده في قولهم:قَرْمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالـوا:قَرْمَط الكتاب . ومـن هذه الفصيلة قولهم،حَرْفَصَ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هـو الافساد ، في لفظ (خربش) المشتق مـن (خَرَّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعنـي التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعـا من الافساد . وليس ببعيد أن

فكـون graph الاغريقية بمعنى الكتابة تحريفا تطوريا لكلمـة (خرفش) أو (خرَّب)،بمعنى الكتابة المتقاربة أولا،ثـم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبـر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخـل العربيـة الأم .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ فـي المدونـات العربية ، لم يعـد في الامكان تعريبه،أي استبدال لفظـة عربية بـه ، حتى لو قرّرنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التـي يرجع نسبها البعيد الى العربيـة .

فونوغـراف :

وقـد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophon) ، وكلتاهما تتألف من مادتـي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تقدّم تأثيلهما ـ بمعنى تسجيل الصوت . أمـا هذا المصطلح فقد انقرض مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعـد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)،كمـا انقرض (التلغـراف : telegraph) الذي حَلّت محلّـه (البرقية) . ولم يعـد بالامكان احياؤه حتى لـو اردنا ؛ اي انـه اصبح (معرَّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشانـه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا ـ المعرّبة بالمعنى القديـم .

علـى أن الانكليزية ايضا اهملت المصطلح بصيغتيه،وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغـات أخرى .

مترٌ :

مَتَرْتُ الحبل : مددتـه . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحـات الاراضي بالحبـل ، ومن هنا نشأ (المتـر : meter) وفعـل (measure) اي يقيس طولا او ثقـلا أو حجما أو اي شيء ـ في الفرنسية والانكليزية عن طريق اللاتينيـة .

و (المتـــر) ايضا أصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعـــد بالامكان الاستبدال بها ، لـــو اردنا .

* * *

لا حاجة بـــي ــ بعد الذي تَقَدَّم ــ الى اعادة القول إنـــي من أنصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هـــذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنـــا التأثيل عن محتـــدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضهـــا ؟

أم نقبلهـــا ، لا أقول مباهاة بها بين الأمـــم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربـــي ، وتدليلا علميًّا على أمومة العربية لكثير مـــن اللغـــــات ؟

فهـــذا الامر الذي لا ازال ارانـــي مترددا فيـــه .

عبد الحق فاضل

من مزالق الترجمة بين العربيّة والفارسيّة

للدكتور يوسف حسين بكّار

(جامعة اليرموك / الأردن)

- ١ -

الترجمـــة بين العربية والفارسية قديمة جـــدا ، اذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى) ، ثـــم الفارسية الاسلامية (الدريّة الحديثة) من اكبر منابع الترجمـــة ومصادرها الى العربيـــة . وقد اثبت ابن النديم ــ فيما اثبت من فهارس ــ « فهرسا » ، بأسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نوبخت (١) . ونشط الدكتور محمـــد محمدي ، في الستينات ، ايـــام كان مستشارا ثقافيا لايران ببيروت ورئيسا لقسم اللغـــة الفارسية وآدابها بجامعتهـــا اللبنانيـــة ، في جمع « ما نُقِل من الآثار الادبية الفارسية الى اللغـــة العربيـــة في القرون الاسلاميـــة الاولى ، وخاصـــة في أوائل العصر العباسي ، مما امتزج بالادب العربي حتى أصبح جزءا منه » (٢) ، وأصدر الجـــزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية ــ في القرون الاسلامية الاولى » الذي افـــرده لكتب « التـــاج » و « الآيين » (٣) بعد أن جمـــع

---

(١) الفهرست ، ص ٣٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

(٢) محمد محمدي : الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بـــيروت ١٩٦٤ .

(٣) هكذا تتناقلها المصادر العربية ، وقد كانـــت تعرف باسم « آيين نامه » في الادب الفارسي الساساني . و « آيين » لفظة فارسية بهلوية معناها : القاعدة ، أو الطريقة ، أو القانون ؛ قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » : « تفسير آيين نامه : كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتاباتهم بشكلها الفارسي .

(محمد محمدي : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ وما بعدها) .

ما تناثر منها في المصـــادر العربية الاسلامية بشتى انواعهـــا .

وأخـــذت حركة النقل والترجمة تقوى في الاعصر الاسلامية التالية ، ولم تعـــد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها الى العربيـــــة ، انما امتدت جهود المترجمين الى ترجمـــة بعض الآثار العربية الـــى الفارسية ، مـــن مثل : « تفسير الطبري » و « تقويـــم الصحـــة » ، و« الشاهنامة » و « تاريخ بخـــارى » .

وامـــا في الاعصر الحديثة ، فاتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعا كبيرا ؛ اذ ترجـــم العرب عددا من امهات كتب تراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانة » ، و « ديـــوان حافـــظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « مثنـــوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شاهنامة » الفردوسي ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامة » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لهـــا اكثر من عشرين ترجمة عربيـــة بالفصحى والعامية) ، و « قابوس نامـــة » (كتاب النصيحة) ، و « سياست نامـــة » (كتاب السياسة) ، و « عطار نامـــة » ، و « سندباد نامـــة » ، و « بختيار نامة » ، و « تاريخ البيهقـــي » ، و « جامـــع التواريـــخ » .

وترجمـــوا عددا لا يستهان بـــه من مؤلفات الايرانيين المعاصرين وآثارهم . وممن تُرجِم لهـــم مثلا : الدكتور زادة شفق ، علـــي دشتي ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعي ، رشيد ياسمي ، ابـــو القاسم حالت ، ايرج ميرزا ، بروين اعتصامي ، والدكتور غلامحسين يوسفي (٤) .

---

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة عن الفارسية ، راجع :

١ ــ يوسف بكار : جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي ، مجموعة سخنرانيهاي دومـــين كنكره تحقيقات ايراني ، جلسد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٣ م) ، ص ٤٢٧ ــ ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبيات فارسي در كشورهاي عربي ، للدكتور جعفر شعار .

سخن ، دوره ٢٣ ، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٣ شمسي .

اما الايرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنا العربي ، وعددا آخر من آثارنا المعاصرة ؛ وهو — على اية حال — اكثر مما ترجمنا لهم من اعمال معاصرة . ومن كتب تراثنا التي تُرجمت الى الفارسية في العصر الحاضر : تاريخ الطبري ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبي ، الاخبار الطوال ، سني ملوك الارض والانبياء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابن خلدون ، رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن فضلان .

ومن المعاصرين العرب الذين تُرجم لهم شيء او اشياء من آثارهم واعمالهم الى الفارسية (٥) : قاسم امين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طه حسين ، احمد امين ، زكي محمد حسن ، بنت الشاطىء ، محمد ابو زهرة ، محمد عبد الغني حسن ، جورج جرداق ، سيد قطب ، محمد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البياتي ، محمد الفيتوري ، غسان كنفاني ، ندوى طوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم ، وتوفيق زياد .

=

٢ — يوسف بكار : الفارسية وآدابها في البلاد العربية ، نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامي دانشكاه مشهد ، شمارهٔ ١٢ ، پائيز ١٣٥٣ شمسي (١٩٧٤ م) ، وترجمته الفارسية : زبان وادبيات فارسى در كشورهاى عربى ، للآنسة مليحة شريفي .

سخن ، دوره ٢٦ ، شمارهاى ٩ و ١٠ ، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

٣ — الدكتور طلعت ابو فرحة : اضواء على الدراسات الفارسية في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٩٦ — ٢٢٦) ، القاهرة ١٩٧٥ .

٤ — نصر الله مبشر الطرازي : الكتاب الايراني في مصر ، في الكتاب السابق اعلاه (ص ١٤٥ — ١٨٤) .

(٥) راجع ايضا : مرتضى آيت الله الشيرازي ، جولة حول الروابط المعنوية بين ايران ومصر والكتاب المصري في ايران ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٨٥ — ١٩٧) .

— ٢ —

ليس عبثـــا ان يُعنَى العلماء والباحثون ، من هوراس * الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لهـــا ، وتقعيد قواعدها ، وتبيين اهميتها ودواعيها ، ووضـــع الشروط لمـــن يتصدون لها على انها « فـــن » كغيرها من الفنون . غير انـــه بات معروفا ايضا ، ان الترجمة لم تعـــد تنحصر ، فقط ، في دائرة « الفـــن » الدقيق الذي لا يستطيعه الا اولـــو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، انما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغويـــة ، الى دائرة « العلوم الوصفية » لوضـــوح الجانب « الوصفي » فيها .ومن هنـــا انبثقت الدعوة وجـــاء التخطيط الى « علـــم للترجمة » ، من غير انكار لمـــا فيها من عناصر فنيـــة ، على يـــد يوجين . أ. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحـــو « علـــم للترجمة » * . وبهذا أضحت الترجمة ، كالنقد تماما ، تجمـــع بـــين « الفنيـــة » و « العلميـــة » .

ان حركـــة الترجمة الحديثة النشطة من العربيـــة الى الفارسية وبالعكس ليست بدعـــا بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليهـــا ؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطهـــا ، كما ان زُمَـــر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض لـــه غيرهم من المترجمين من صعوبـــات ومشاق ومزالق . وقد تكون مزالـــق الترجمة ومشكلاتها بين العربيـــة والفارسية اكثر من غيرها ، لمـــا بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرض ، وان لـــم تجمعهما اسرة لغويـــة واحدة،فيما هو معروف .

ولقـــد قُيّض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهـــد الايرانيـــة (١٩٧٠ — ١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابهـــا في جامعتها ، ان اتعلـــم الفارسية ، ثـــم ازاول تدريس الترجمة،واجرب حظي فيها عمليـــا من الفارسية الى العربيـــة،بترجمة « سياست نامـــة »،لنظام الملـــك

(*) Horace.

(*) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربيـــة ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى * ومن العربية الى الفارسية (مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفي) بترجمة « قِصّتي مع الشعر » ** لنزار قباني، و « مختارات من الشعر العربي الحديث » *** كما قيض لي ان اطلع على كثير من ترجمات الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ، يَسّر لي ان اكتشف ، من كثب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعترض المترجمين من العرب والايرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها .

— ٣ —

لعل من اهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء بسواء . فقديما أوجب « جاحظنا » على الترجمان « ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٦) . ويزيد وديع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذّها وشواردها . ولا بد قبل النقل من اجادة اللغة التي يُنقَل اليها النصّ » (٧) .

---

* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي » و « سمات الادب الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفي ، و « الخيام الشاعر » لعلي دشتي .

** — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

*** — الكتاب معد للطبع .

(٦) الحيوان ١ : ٣٨ ، المطبعة الحميدية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٧ نقلا عن : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

وقد اكّد « اتين دوليه Etienne Dolet » (١٥٠٩ ــ ١٥٤٦) ، الذي يُعَدّ واضع اول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازب في بحثه عن مبادىء الترجمة ، وجعله واحدا من مبادىء خمسة اساسية للترجمة ، فقال:« لا بد ان يكون المترجِم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ، وان يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم اليها » (٨) .

هذا الشرط من ابرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرس معا ، فضلا عن عدم تمكّن اغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة ؛ فان جمهرة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها واتخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الاولى ، او اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة ، قد اضحت لبعض المترجمين الايرانيين حقائق مسلّمة ، صَرَفَتْهم حتى عن استشارة « معجمات » اللغة، مع انها من واجبات المترجم في احسن الاحوال . يقول يوجين نيدا : « يتمثل اول واوضح مستلزم يحتاجه اي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؛ فلا يكفي ان يكون المترجم قادرا على فهم (المغزى العام) للمعنى،او ان يكون ماهرا في استشارة القواميس (فمن المفروض انه سيفعل ذلك حتى في احسن الاحوال) ... ان ما هو اهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي ... ، التضلّع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل . ان اغلب الاخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون،تنشأ في المقام الاول من افتقارهم الى المعرفة الشاملة بلغة المتلقّي » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابُه بسيل من الفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معاني غير معانيها في لغتها

---

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٤٥ ، ثم انظر ايضا : ٢٨٥ ــ ٤٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ .

الأم . وليس مبالغة ان يقـــال إن النصب والمعاناة المتأتيين عنها أكثر مما يتأتى من جانـــب مفردات الفارسية نفسهـــا .

ان مـــا اشار اليه هؤلاء الثلاثة يُصْدُق على ما نجده عنـــد بعض المترجمين الفرس والعـــرب من أخطاء وأوهام . وهـــذه بعض النماذج :

١ ـــ كـــان المرحوم محمد رضا تجدد آخـــر من حقّق « الفهرست » لابن النديـــم (طهران ١٩٧١) ، وهو الذي ترجمـــه الى الفارسية ايضا ؛ وطُبعت الترجمة مرتين الى الآن ، وهي لا تخلـــو من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربـــي من أخطاء كثيرة » (١٠) . فلقد اعتاد ابن النديم ان يصف الكتـــاب الذي كان يراه بنفسه بانه « **كبـــير** » او « **لطيـــف** » اي « صغير » وفقـــا لحجمه . يقول في الكلام على ابـــن سعـــدان « ... ولـــه من الكتب : كتاب الخيل ؛ رايتـــه . **لطيـــف** » (ص ٨٧) ، ويقول في أخبار محمـــد بن داود الجراح : « ولـــه من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء) . **لطيـــف** » (ص ١٤٢) ، ويقول في اخبار جعفـــر ابـــن حمدان الموصلي : « فأما كتبـــه الادبية ، فهي : ... كتـــاب محاسن اشعار المحدثين، **لطيـــف** » (ص ١٦٦) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن أبـــي منصور الموصلي : « ولـــه من الكتب : ... كتاب الطبيخ . **لطيـــف** » (ص ١٦٦) .

لكـــن ، ما الذي فعله المرحوم تجدّد حين ترجـــم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجـــم لفظة « **لطيـــف** » في كل الموارد السابقة، بمعناها المعروف في الفارسية : « خوب » أو « نازك » * ، والاكثر شيوعا فـــي العربية : جميل ، أنيق ، جيـــد . فكانت ترجمة المثال الاول : « ازكتابهاي

(١٠) راجع في نقد الكتاب : يوسف بكـــار ، نظرات في فهرست ابن النديـــم ، مجلة كلية الالهيات والمعارف الاسلامية ـــ جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣ م) .

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحليـــة بالمعنى نفسه . ومـــن الطريف ان المحقق فسرها بالعربية بقوله « ونزك كلمة فارسية بمعنى الناعـــم » (ص ٢٨٤، الحاشية) .

اوست : كتاب الخيل كـــه **بسيار خوب است** » (١١) ، وترجمة الثانـــي « وايـــن كتابها ازاوست : ... كتاب (الشعـــر والشعـــراء) . **نازك اســـت** » (١٢) ، وترجمة الثالث « وكتابهاي ادبـــي او بدينقرار است : ... كتاب محاسن اشعـــار المحدثين . **نازكست** » (١٣) ، وترجمة الاخير « وايـــن كتابها ازاوست : ... ، كتاب الطبيخ . **نازك است** » (١٤) .

فلـــو استشار المحقق ــ المترجم المعجمات العربية واستنجد بهـــا ، على الاقل ــ لوجـــد ان لفظة « صغير » من معاني كلمة « لطيف » (١٥) ، وهو ما كان يعنيه ابـــن النديم مقابل لفظة « كبـــير » ، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « ولـــه من الكتب : كتاب أخبـــار خلفاء بني العباس . **كبـــير** » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنهـــا السابقة وغيرها بلفظة « كوجـــاك » الفارسية ، ليس غير .

ولربمـــا ان لفظة « ملطّفة » التـــي تلقانا بكثرة في المصـــادر الفارسية التاريخية،من مثـــل « سياست نامـــة » و « تاريخ البيهقي » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتـــب في الحالات الفوريـــة ، أُخِذَت من الاصل العربي « لَطُـــف » نفسه ، لان المعجمات العربية لا تذكرها .

٢ ــ في ترجمـــة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهـــود عربية معاصرة في خدمـــة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة « **نفـــر** » فـــي هذه العبارة،« قـــام **(نفـــر) من اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعـــة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)،الذي كتـــب فصوله اساتذة مـــن المستشرقين** » بشخص واحـــد ، وهو معناها في الفارسيـــة وفي بعض

---

(١١) الفهرست ، ص ١٣٣ (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسي.

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفســـه ٢٤٧ .

(١٥) أنظر مثلا : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطـــف) ، والدكتور حسين نصار : المعجم العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهجاتنا المحليـــة . قال « **يكي ازاستادان** (معهـــد اللغات الشرقية) در دانشگاه قاهره بـــه ترجمه كتاب (تراث فارس) برداخته است » ، بيـــد ان المعنى اللغوي الصحيح للّفظة هو:جماعـــة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٦) . فالترجمة الصحيحة اذن « **جندتن ازاستادان** ... » .

والحـــق ان مترجمي القـــرآن الكريم الى الفارسية ترجموا اللفظة عينها في قولـــه تعالى « قـــل اوحي الي انـــه استمع نفر من الجن ، فقالوا : انـــا سمعنا قرآنا عجبا » (١٧) ترجمة صحيحة . وهذه ترجمـــة الآية الكريمة « بگـــو : وحى آمده كـــه گروهي ازبريان استماع (قرائت مـــن) كردند وگفتند : مـــا قرآن شگفت آور شنيديم » (١٨) .

٣ ــ يستعمـــل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات : « أغراض الشعر » و « موضوعات الشعـــر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه اكثر الايرانيين ، ان لم يكونوا كلهـــم . من هنا وُهـــمَ الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في ترجمة لفظة « أغراض » بمعناها المعجمي « اهـــداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتـــور محمـــد مصطفى بـــدوي « مختارات من الشعر العربـــي الحديث » .

جـــاء في مقدمة الدكتور بدوي « ومـــا زالت موضوعات هؤلاء الشعراء هي **الاغراض** التقليديـــة من مديح للحكام ، وتقريظ للاخوان ، وتاريـــخ للمناسبـــات ... » (١٩) .

---

(١٦) لسان العرب ، مادة (نفر) .

(١٧) سورة الجن ، آية (١) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة ابي القاسم پاينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسي ، وترجمة المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٢٦ شمسي (١٣٧٧ هـ) .

(١٩) مختارات مـــن الشعر العربـــي الحديث ــ المقدمة ، ص ج . دار الثقـــافة ، بيروت ١٩٦٩ .

وترجـــم الدكتور كدكني العبارة كالتالي « موضوعات شعرى اين گروه نيز ، همان **هدفهـــاي** كلاسيك بود ، از قبيل مديح حاكمان ، وتقريظ براى دوستان ، وتاريـــخ مناسبات » (٢٠) .

٤ ــ لســـت ادري لماذا ترجـــم صديقنا الدكتور ابرهيم الدسوقي شتا لفظة « **لحـــاف** » في قول صادق هدايت « **لحاف** را جلو چشم نگـــه ميدارم » (٢١) بلفظة ((**غطـــاء**)) : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ، مـــع أن اللفظة من الالفاظ العربيـــة التي دخلت الفارسية ، وهـــي أخصّ من « الغطاء » ؟ فاللحاف غطاء ، ولكـــن ليس كل غطاء لحافـــا .

٥ ــ وردت في فصل « خيام شاعر » (الخيام الشاعر) مـــن كتاب « دمى باخيام » ، وهـــو الفصل الذي ترجَمْتُه الى العربيـــة ، الجملة التاليـــة ،« كشيدن رباعيات أصيل خيام از ايـــن (**بازار مكاره**) كارآسانى نيست » (٢٣) . وقـــد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعيات الخيـــام الاصيلة من (**سوق المكارة**) هذه ، ليس بالامر الهـــين » .

أقـــول ، لقد أغرتني لفظة ((**مكـــارة**)) العربية في هذا الاصطـــلاح الفارسي المركـــب ((**بازار مكاره**)) ، فترجمته كما اثبتُّه اعلاه ، وهـــي ترجمة مفهومة ولا غبـــار عليها لدى القارىء العربـــي . غير ان معناه الدقيق ، الذي اطلعت عليه فيما بعـــد في المجمعات الفارسية المعتبرة، يوحي ، فيما يبدو لـــي ، بترجمته بلفظة « معرض » ؟ لان معنـــى (بازار مكاره) : « السوق التي تقام عدة أيـــام مرة في السنة ، وتجلب اليها البضائع من اقطـــار مختلفة للعرض والبيـــع ايضـــا » (٢٤) .

---

(٢٠) ذكر كونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ١٨ ــ ٣٨ .

(٢١) زندهٔ بگور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهـران ١٣٤٤ .

(٢٢) قصص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهـــرة ١٩٧٥ .

(٢٣) دمى باخيام ، ص ٧ . امير كبير ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٤) انظر مثلا : محمد معين ، فرهنگ فارسي ــ بازار ، ودهخدا : لغتنامه دهخدا ــ مادة ((بازار)) ايضـــا .

ومما يندرج في موضوع اللغة ، ما يعرف بالتراكيب اللغوية التي يُعَدّ التغلب عليها في اي لغتين من اهم وظائف المترجم (٢٥) الذي يُشْتَرط فيه « ان يكون ملمّا الماما كاملا بمعاني تراكيب الجمل . ففي هذا المجال الخاص ، غالبا ما يُظْهِر المترجمون ضعفهم الكبير . ومع انهم يمكن ان يفهموا بشكل جيد تماما معاني الكلمات والعبارات منفردة ، فغالبا ما يفتقرون بشكل شنيع الى التقييم الاساسي للمعاني والابنية اللغوية » (٢٦) .

هذا الامر ، من اهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة ، لكثرة ما بينهما من فروق في الخصائص الاصيلة؛من حيث التراكيب والمجازات ، والتذكير والتانيث ، والإفراد والتثنية ؛ وكلها تدخل في دقائق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم أن يتيقّظ لها ؛ ولكن ما اكثر ما ينزلق فيها المترجمون !

ومن امثلة هذا المزلق ، ما وقع فيه الدكتور محمد شفيعي كدكني ايضا في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مصطفى بدوي : « **لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر الا** وقد ظهر ضرب جديد من الشعر، يتميز بشيء من التعارض والتوتر بين الشكل والمضمون » (٢٧) ، اذ اختلط عليه معنى « **لم يكد ينصرم** » ، فكانت ترجمته « **هنوز قرن نوزدهم به بايان نرسيده بود** كه نوع تازه اى از شعر به ظهور بيوست . . » (٢٨) . والصحيح « **مدتي از قرن نوزدهم نگذشت بود كه نوعي جديد در شعر** عربي پديد آمد ... » .

---

(٢٥) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٣١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص و .

(٢٨) دگر گونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، ص ٢٧ .

ومن اخطر المزالق التي قد يساق اليها المترجم غفلته عن « لغة عصر » ما يترجم . وبديهي أن ما يُتَوَخّى من لغة واسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل : « تاريخ البيهقي » و « الشاهنامة » و « سفرنامة ناصر خسرو » و « سياست نامه » و « رحلة ابن بطوطة » غير ما يُتَوَخّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الايام » و « قلمرو ادب سعدى » (آفاق ادب سعدى) و « دمى باخيام » (وقفة مع الخيام) لعلي دشتي .

مراعاة روح العصر في لغته واساليبه واصطلاحاته ومفرداته واجبة اذن ؛ لذا ابقيتُ الالفاظ والمصطلحات العربية التي افاد منها صاحب « سياست نامه » كما هي لتناسب الفترة التي أُلِّف فيها الكتاب ، ولم أحاول أن استعيض عنها بألفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هُجِر كثير من تلك الالفاظ وترك منذ زمن بعيد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفي ، الشحنة ، العسس ، وخريطة * . وقد راعى مترجما « تاريخ البيهقي » هذا الصنيع ، فقال احدهما « وقد تعمدنا أن نترك الالفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي كُتبت فيه » (٢٩) . بيد انهما جانبا هذا الشرط في ترجمة اصطلاح « گشادنامه » (نامه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٣٠) . وقد ترجمتُه بـ « رسالة مفتوحة » في « سياست نامه » .

واذكر اننا حين ترجمنا (الدكتور يوسفي وانا) المقطع التالي من قصيدة (عيد ميلادها) لنزار قباني (٣١) :

(*) الخريطة : كيس من قماش . وما زالت تستعمل في انحاء من الاردن وفلسطين .

(٢٩) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي ، ص ٣٩ . الانجلو المصرية (دون تاريخ) .

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشات : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، ص ١٢٨ .

(٣١) مختارات من الشعر العربي الجديد ، ص ١٤٩ .

باي شيء أَمِـدُ

اذا يَهِلُّ الأَحَـدُ

بخاتـــم ؟

بباتـــة ؟

على النحـو التالي اولاً :

با چه هديه اى بروم ؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى ؟

بادسته گُلـي ؟

راى الدكتور يوسفي انـه من الافضل ان نترجم « بخاتم » الى « **با انگشتر** » بدلا من « **با انگشترى** » لان الاول هو المستعمل في الوقت الحاضر . وهكذا كـان .

ـ ٦ ـ /

لـم يكن اعتباطا ان تقسم الترجمة ، مـن حيث الطريقة والكيفية ، الى انواع من اهمهـا الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنوية) . ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كـل الاحيان ، خاصة في ترجمـة المصطلحات والامثال والمجازات ؛ وهنـا تكمن الحيرة ويكون المزلـق : الحيرة في ترجمة هذه الاشياء كما هي من اللغـة الاجنبية ، مهما يكـن وقعها في الذوق العربـي ، او وضع ما يقابلها في العربيـة مما يؤدي معناها الاصلي دون تقيّـد بحرفية ما يترجم (٣٢) . ومن الشق الاول ـ اي الترجمة الحرفية ـ تنبعث المزالـق التي يدعو اكثرها الى الضحك ،

---

(٣٢) انظر ايضا : محمد عبد الغني حسن ، فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٠٦ و ٥٩ . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهـرة ١٩٦٦ .

وتقود في احيان كثيرة الى البتر والتشويه والحذف الـذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهلـه .

اقـول هذا ، لان للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينـا كل الغرابة ، وربما لا نجـد مثلها في اللغات الاخرى . ولقـد سُئلتُ مـرة أن اترجم المثل الفارسي « **گُل پشت ورو ندارد** » ، فاحترت فـي امري : اترجمه ترجمة حرفية لا مـاء فيها ولا رونق ، فاقول « **ليس للورد ظهر ولا بطـن** » !! ، ام ابحث عن معادلة لـه في عربيتنا ؟ وكان مـن الطبيعي أن ابحث عـن المعادل ، غير انني لم اجده في تراثنا الضخـم من الامثال الفصيحة . ومن يدري ، فربما انني انـا الذي لم استطع الاهتداء اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنـا الشعبية ، فاهتديت الـى المعـادل الدقيق ، وهو المثل « **كُلّك وَجْه** » الذي يستعمل في الحـالات عينها التي يستعمل فيها المثـل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضـا على المثـل الفارسي « **كبوتر باكبوتر بازبا باز** » اذا ما ترجمناه ترجمـة حرفية سقيمة « **الحمامة مع الحمامة ، والبازي مـع البازي** »وتركنـا المثـل الرائع « **ان الطيور على اشكالها تقـع** »الذي لا يعدو المثـل الفارسي قيـد انملة . هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفي وانـا) بالمثل العربي نفسه الذي ضَمّنه عبد الوهاب البياتي المقطـع الآتي من قصيدته « سـوق القريـة » (٣٣) :

وبنادق سود ، ومحراث ، ونـار

تخبـو ، وحدّاد يراود جفنه الدامي النعاس :

« **ابـدا على اشكالها تقع الطيور**

والبحر لا يقوى على غسل الخطايـا والدموع

اذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق « **كبوتر باكبوتر ، باز با باز** » .

ومـن المترجمين العرب الذين انساقوا في حماة التيار الحرفي في

---

(٣٣) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦ .

ترجمة الامثال ، المرحوم الدكتور ابرهيم الشواربي ، الذي اثبت في احد كتبه (٣٤) طائفة من الامثال الفارسية ، وترجم اكثرها ترجمة حرفية مع ان لها في العربية نظائر واشباها تكاد تكون ترجمة لها . فقد ترجم المثل « **صبر مفتاح كارها است** » بـ « **الصبر مفتاح الامور** » وعزف عن المثل العربي « **الصبر مفتاح الفرج** » ؛ كما ترجم المثل « **صدا از يكدست بر نيايد** » بقوله : « **اليد لا تصفق وحدها** » وترك مقابله الدقيق « **يد واحدة لا تصفق** » .

اما مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعو اليه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيرا ، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل « **صدقهم سنّ بكره** » (٣٥) في نص ابن بطوطة : « ثم ان النَّوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، فعقد التوبة ليلة النوبة ، وعزم اصلاح حاله مع ربه ، وقال في نفسه : ان قلت لاصحابي اني قد تُبْتُ قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤونتهم . فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب وجعل الخمر في الزقاق . وحضر أصحابه ، فلما أرادوا الشرب فتحوا زقا ، فذاقه احدهم فوجده حلوا . ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ، ثم ثالثا فوجدوه كذلك . فكلموا الشيخ في ذلك ، فخرج لهم عن حقيقة أمره ، **وصدقهم سن بكره ...** » « رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٨٧ » .

فترجمه ، وما أحسن ما ترجمه ، بقوله « شهاب الدين **راز خود بر آنان فاش ساخت ...** » (٣٦) . اي خرج لهم شهاب الدين عن سرّه .

---

(٣٤) القواعد الاساسية لدراسة الفارسية ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

(٣٥) راجع قصة هذا المثل مفصلة في : لسان العرب ، مادة (صدق) .

(٣٦) سفرنامه ابن بطوطة ، ص ٣٩٥ . ترجمة محمد علي موحد ، طهران ١٣٣٧ شمسي (١٩٥٨) .

ومن المشكلات التي تعترض المترجم عن الفارسية ، مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية الى أصولها الاولى . ففي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واقوال الصحابة والخلفاء المشهورة ، والشعر والكلم المعروف . واحسب ان الدقة والامانة معا توجبان على من يترجم أثرا فارسيا فيه اشياء مما ذكر ، ان يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى، وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة ، وهو ما قد يضطر اليه اذا ما اعيته الحيلة ، واضناه التقصي والاستقراء والتنقيب دون جدوى .

واعترف صادقا انني بذلت جهدا كبيرا في استنطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها ، والبحث في معجماتها ، وخاصة « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف » للاهتداء الى نص ترجمة الحديث : **« داد كنندگان را اندر بهشت سراها باشد از روشنايي ، با اهل خويش ، با آن كسها كه زير دست ايشان باشند »** (٣٧) الذي استشهد به نظام الملك مَرْوِيًّا عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصعت بآخرة الى ترجمته بلغتي الخاصة : **« للمقسطين و ذوي قرباهم ومن هم تحت أيديهم قصور من نور في الجنة »** . وليست هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انما تلقانا في كل لغة اجنبية استشهد بها صاحب الاثر بنصوص عربية وترجمها الى لغته دون أن يثبتها . ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب ، فتغلب عليها بعضهم ، وأخفق آخرون احيانا . يقول الدكتور ابراهيم امين الشواربي، مترجم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الانجليزي ادوارد براون (A. G. Browne)

« اعتمد براون في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد ، بالطبيعة ، بالتأليفات العربية والفارسية والتركية ، ولكنه

---

(٣٧) سياست نامه ، ص ٨٧ . تحقيق الدكتور جعفر شعار ، طهران ١٣٤٨ شمسي .

لـم يستطع ، في الغالب الاعم ، أن يورد لنـا شواهده في نصوصهـا الاصلية في هذه اللغـات ، واكتفى بايراد ترجمتها الـى الانجليزية . ولم يكن من المستساغ عقـلا أو المقبول فنـا أن أعود فأترجم هـذه المترجمات الى العربيـة ، لان الترجمة عن ترجمة ـ لا شـك ـ تُضلّل المترجـم ، وتبعده عن الاصل . ومن أجـل ذلك الزمت نفسي باثبـات الشواهد العربية بنصّهـا الذي وردت بـه في الكتب العربية ، اللهـم الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، ولبست لـه نسخة في دُوْر كتبنـا » (٣٨) .

وكـان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العـرب يواجُـه بمثل هذا . يقول في مقدمة ترجمتـه لكتاب « ابن رشـد » لارنست رينان الفرنسي : « وهنا ننبّـه القاريء الى أن العلامة رينان اقتطف كثـيرا من العبارات العربيـة الموجودة ، فأعدنا معظمه الى أصله العربـي . وأمـا الذي لم نتوصل الى نصـه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ، فقـد ترجمناه من الفرنسية ... » (٣٩) .

وابتُلـي محمد عبد الغني حسن بكثير من هـذا في ترجمة كتاب « المـرأة والدولة في فجـر الاسلام »للباحثة العربية المتأمركة « نابية أبوت » (نابية عبود) الذي نشره عـام ١٩٤٣ (٤٠) . وهو يرى أن هـذا الامر ناحية واحدة من نواحـي صعوبات الترجمة من غير العربية الى العربيـة ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بـل هي صعوبة فيما حول النص المترجـم ومحاولة ارجاعه الى أصلـه (٤١) .

ومن مزالـق ما حول النص التي تعترض المترجـم عن الفارسية أيضا ، كثرة التحريفـات والتصحيفات والاخطاء في الاصول العربيـة

---

(٣٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الـى السعدي ـ المقدمة ، ص ص . مطبعة السعادة ، القاهـرة ١٩٥٤ .

(٣٩) ابن رشد والرشديـة ، ص ٧ . القاهـرة ١٩٥٧ .

(٤٠) فن الترجمـة في الادب العربـي ، ص ٨ .

(٤١) المرجع السابـق ، ص ٩ .

في المؤلفـــات الفارسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والامثـــال المأثورة ، والاعلام والاماكن والكتـــب ، لاسباب قد يعود اكثرها الـــى تلاعب النُسّاخ وجهلهم ــ او جهل اكثرهم ــ ، والى توانـــي المحققين وتقصيرهم، وعـــدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثهـــا .

وكتـــاب « سياست نامـــه » اكبر شاهد ودليل على ما أقول ، لان فيه تحريفات وتصحيفات واوهاما كثيرة ، غـــام معظمها عن أعين المحققين والمصححين ، والمترجمين غير العـــرب ايضا ، مع انـــه طُبع اكثر من خمس طبعات مختلفة في ايـــران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفـــر شعار التي تَرجَمْتُها الى لغـــة الضاد ؟ فقد حُرِّفَت فيه لفظـــة « **الحـــق** » في قوله تعالى :« يـــا داود انـــا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكـــم بين الناس بالحـــق » (٤٢) الى « **العـــدل** » (٤٣) ، وصُحِّفَـــت « **وتصدق** » في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (٤٤) الى « **فتصدق** » (٤٥) ، واضحى اسم زعيـــم الديالمة « **اسفار بن شيرويه ورداوندى** » ، فيما اثبتـــه المسعودي (٤٦) وابـــن الاثير مثلا (٤٧) ، اضحى « **سيّـــار شيروى ورداوندى** » (٤٨) ، وحُرِّف اسم كتـــاب الاسماعيلية « **البلاغات السبعة** » الذي نص عليه ابـــن النديـــم (٤٩) الى « **بلاغـــة**

---

(٤٢) سورة ص ، آيـــة ٢٥ .

(٤٣) سياست نامه ، ص ٣٧٦ .

(٤٤) سورة يوسف ، آيـــة ٨٨ .

(٤٥) سياست نامـــه ، ص ٩٠ .

(٤٦) مروج الذهـــب ٤ : ٣٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبـــد الحميد ، الطبعة الثانيـــة ، القاهـــرة ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ــ ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ .طبعة صادر ، بـــيروت ٦ ١٩٦ .

(٤٨) سياست نامـــه ، ص ٣٢٨ .

(٤٩) الفهرســـت ، ص ٢٤٠ .

السابـــع » (٥٠) . وغير هذا كثير في اشيـــاء شتى لا حاجة لذكرها (٥١) .

انيجـــوز للمترجم ، والحال هذه ، ان يسكت ـــ اذا ما عرف ـــ عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والاوهام انى وجدت ، فيزيـــد الطين بلـــة ويشارك المحققين فيما انزلقوا اليه ولـــم يكتشفوه ؟ ! وهل كان عبثا أن يحتدم الجدال بين المهتمين بالترجمة حـــول « تخصص » المترجـــم فيما يترجم ، أو « معرفته » بـــه ؟ أحسب أنّ لا ، لان قـــدرة المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبـــرز واضحة هنـــا ؛ وهو ما يدل على أن الترجمة ليست نقـــلا وحسب ، فيما يتصور الكثيرون ، بل هي ، فيما يذهب صاحب « المقتطـــف » الدكتور يعقوب صروف ،« صعبـــــة واصعب من التاليـــف » .

* * *

وبعـــــد ،

افـــلا تستحق مقولـــة الايطاليين « الترجمة خيانة » او « المترجـــم خائـــن » (٥٢) مزيدا من التفكير والتقديـــر ؟

اوليس يوجين نيـــدا محقا في قولـــه (٥٣) :« فان مهمة المترجـــم مهمـــة صعبة في الاساس ، ومهمـــة لا يشكر عليها في اغلب الاحيـــان . فاذا ما ارتكب غلطة انتُقِـــد بشدة ، ولكنه لا يُمتَدَح سوى امتداح تافـــه عندما ينجح في عمليـــة ... » ؟ ! .

د. يوسف بكّار

---

(٥٠) سياست نامه ، ص ٣٥٢ .

(٥١) راجع التفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياست نامه ، نشريه دانشكد الهيات ومعارف اسلامي مشهد ، العـــدد (٢٤) ، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨) .

(٥٢) Tarduttore Traditore نقـــلا عـــن :

الدكتور محمد عوض محمد : فن الترجمة ، ص ٢٩ . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٥٣) نحو علم للترجمـــة ، ص ٣٠٢ .

دراسات في النظم والعقائد الأباضية

للدكتور عوض خليفات
(الجامعة الاردنية)

١ — تمهيد *

الولاية كلمة مشتقة من الفعل "وَلِيَ"، ولها معان مختلفة (١) ، منها المحبة ، والمناصرة ، والمؤازرة ، والقرب . والبراءة تعني ضد هذه المعاني ، أي الجفوة والبغض ، والعداوة ؛ وهذه المعاني هي التي تعنينا في هذه الدراسة الاولية لنظام الولاية والبراءة عند اتباع المذهب الاباضي . وقد استعمل العرب الكلمتين لتدلاّ على المعاني الآنفة الذكر منذ الفترة الجاهلية ، واكتسبتا مع مرور الزمن دلالات اجتماعية وسياسية ودينية . وسنحاول في هذه اللمحة ان نوضح هذين المصطلحين حتى أصبحا — بمدلولهما الفقهي — من اهم الدعامات التي ارتكز عليها المذهب الاباضي في مسيرته منذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هذا .

كانت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمع العربي البدوي ، وأفرادها متكافلون ، متآزرون ، يتولى بعضهم بعضا ، وعلى كل فرد منهم نصرة أخيه ظالما كان أو مظلوما ؛ فاذا وقع لاحدهم سوء سارع الجميع لمد يد العون والمساعدة له بحكم هذه الولاية العصبية . ويصف أحد الشعراء هذا الحال فيقول :

(*) أشكر الاستاذ محمد المغربي الذي أعارني بعض المخطوطات ، والذي أشار علي بكتابة التمهيد لهذا البحث . كما أتوجه بالشكر الجزيل للاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري لما أسداه لي من آراء وملاحظات قيمة .

لا يسألون اخاهم حين يَنْدُبُهم في النائبات على ما قال برهانا (٢)

ويقول شاعر آخر :

اذا استُنْجِدوا لم يسألوا من دعاهُمُ لأيّة حرب أم بأي مكانِ (٣)

كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بعادات القبيلة وتقاليدها واعرافها ومعتقداتها ، أما اذا ظهر من الفرد خلاف ذلك ، فان قبيلته تنبذه ، وتتبرأ منه، فيصبح طريدا أو مخلوعا ، وقد يصبح صعلوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخلعه لاسباب متنوعة ؛ كأن يخرج على إجماع القبيلة ، أو يَقْتُل احد افرادها، ولا يقبل ذوي المغدور الدية ؛ أو ان يقتل شخصا ينتمي الى قبيلة أخرى بينها وبين قبيلته حِلف أو عهد أو جوار ؛ أو يصبح سيّىء الخُلُق، مذموم السمعة والسيرة ، أو يضحي مبذّرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما يقدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبدو أن معاملة القبائل العربية لافرادها المنبوذين كانت الاساس الذي تَطوَّر عنه هذا المبدأ الذي عرف بـ « البراءة » (٤) .

ولما بُعِث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استُخْدِمَت قبيلتُه ، قريش، هذا المبدأ ضدّه ، اذ وجدت في دعوته خروجا عن أعرافها وتقاليدها ومعتقداتها، فدعت الى نبذه والبراءة منه . وتعرّض الرسول، عليه السلام — تبعا لذلك — لكثير من الاذى والاضطهاد ، ولم تلبث قريش أن قاطعت الرسول وبني هاشم الذين حموه طبقا لمبدأ الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهدا فيما بينهم علّقوا نصوصه في جوف الكعبة، لتأكيد قداسته ووجوب التقيّد به . وقد تعاهد القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم، وعدم التعامل معهم ، فلا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلّمونهم ؛ وبقوا على هذه الحالة قرابة ثلاث سنوات (٥) .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدأ الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الاسلامية ، فكوّن الجماعة الاسلامية

التي عرفت باسم الأمـــة وجعل افرادها اوليـــاء بعضهم من دون الناس ؛ وبذلك احلّ رابطة الديـــن والعقيدة محل رابطة الـــدم والنسب . واصبح المسلم اخـــا المسلم ووليّه . واوجب الاسلام على كل فـــرد ان يُحبّ اخاه في اللـــه ويناصره ويساعده ، كما اوجب على كل فـــرد من الأمـــة البراءة من اعداء اللـــه ورسوله . وبهذه الوسيلة اصبـــح جميع افراد الأمـــة وحدة متجانسة متكافلة متضامنة ، وبذلك استطاعـــوا ان يصمدوا امـــام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم،ويحرزوا النصر المبين . امـــا اذا احدث احـــد افراد الأمـــة الاسلامية حدثا يضرّ بالاسلام واصحابه ، او قصّر في آداء واجباته الدينيـــة الاساسية، فان الرسول، عليـــه السلام،لم يتردد في الدعوة الى البراءة منـــــه وبغضـــه ومقاطعتـــه (٦) .

مثـــال ذلك ما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن الجهـــاد في غزوة تبوك ، وهـــم،كعب بن مالك،وهلال بن امية ، ومرارة بن الربيع ؛ فقـــد امر الرسـول المسلمين بـــأن يقاطعوهم ولا يتكلموا معهم حتـــى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ؛ ثم انزل اللـــه كلمته فيهم بالتوبة عنهم،فعـــاد المسلمون الى ولايتهـــم وموادعتهم (٧) .

وقـــد اتخذت الفرق الاسلامية فيما بعد ــ على اختلافها وتنوّعها ــ من هذا المبـــدأ وسيلة للتبرؤ من اعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعـــم بأنها وحدها التي تمثل الاســـلام الصحيح كما جاء بـــه محمـــد،صلوات اللـــه وسلامه عليه ، وبالتالي فان لهـــا الحق في ان تتبرأ من مخالفيها باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويـــم . وعلى هذا الاساس قـــام الثوار ضدّ عثمان بن عفان،رضي اللـــه عنه،بالتبرؤ منه ثم قتله، لانه ــ حسب زعمهم ــ حاد عن الصواب،وخالف سنّـــة الرسول الكريم وسنّة الخليفتين الراشدين من بعده . وتبـــرأ المحكمة من علـــي بن أبي طالب ــ كرّم اللـــه وجهه ــ بعد قبوله التحكيم لانه ــ طبقـــا لوجهة نظرهم ــ حكّـــم الرجال في امـــر من امور اللـــه،وبذلك خلع نفسه من منصب الخلافة الذي بايعه المسلمون عليـــه .

والحقيقة ان الامثلة في هذا الشان كثيرة ولا حصر لها، وما اوردناه من امثلة يكفي للتدليل على وجود هذا المبدأ عند العرب منذ فترة سحيقة ؛ ولم يكن الاباضية مبتدعين في هذا المضمار ، ولكنهم اعطوا لهذا المفهوم اهمية خاصة، وبعدا سياسيا ودينيا دقيقا لا نجد له شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى .

لقد التفت ائمة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هذا المبدأ، وضرورة استخدامه في سبيل تطوير حركتهم ونشر دعوتهم ؛ ولا نبالغ اذ قلنا : ان هذا المبدأ كان من اهم العوامل التي ادّت الى الحفاظ على وحدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبر العصور .

بدات الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقرًّا لها ؛ وكان ذلك خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني الهجري، حيث كان الامويون يتربعون على عرش الخلافة الاسلامية ، وكان ولاتهم في العراق — مثل زياد بن ابيه، وابنه عبيد الله، والحجاج بن يوسف الثقفي — يشتدّون في ملاحقة اتباع الفرق الاسلامية المناوئة للحكم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فرأى الاباضية أن يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضة المسلحة ضد الحكم القائم . وفي الوقت نفسه أوجدوا الوسائل الكفيلة لنشر دعوتهم في الامصار الاسلامية، فاستعملوا التقية الدينية، واوجدوا تنظيما سريا دقيقا — كانت الولاية والبراءة أحد عناصره — ساعد في نجاح الحركة وتحقيق اهدافها (٨) .

لقد نظر الاباضيون الى الحكم الاموي على انه غير شرعي، واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدّين ، ولذا لا بد من ايجاد حكم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمن الرسول الكريم والخليفتين ، ابي بكر وعمر . وحتى يتمكن الاباضية من الوصول الى هذا الهدف ، راوا انه لا بد من اعادة تحديد مفهوم الامة الاسلامية على اسس جديدة تتفق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة ــ الأمة أن يعلن الولاية لكل اتباع الحركة الاباضية جملة وافرادا ، وأن يتبرأ من اعدائهم ومخالفيهم ، مشركين كانوا أم موحدين . وتورد المصادر الاباضية امثلة كثيرة في هذا الشأن ، منها ما يذكره ابو سفيان حول اعتناق ابي النظر ، بسطام بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . فقد كان ابو النظر صفريا من اصحاب شبيب ، وفرّ من الحجاج،ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لمذهبهم وقالوا له : « ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول الحق ويعمل به (اي الشخص الاباضي) والى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به ، والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم » . ففعل ابو النظر ذلك، وأصبح من مشايخ الاباضية المرموقين (٩) . وقد اصبحت هذه الدعوة قاعدة هامة نادى بها ومارسها الاباضية في كل زمان ومكان ، بحيث لا يُقْبَل في الجماعة الاباضية احد الا بعد أن يعلن انه وليٌّ وليّهم وعدوّ عدوّهم (١٠) . واصبح مبدا الولاية والبراءة فرضا دينيا واجبا ، على كل اباضي أن يتقيد باحكامه وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبّقها مشايخ الاباضية الاوائل . وقد قام علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكام ، وألّفوا الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ، بحيث اصبح للاباضية نظرية خاصة في هذا الشأن لا نجد لها مثيلا عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى * . وسنستعرض في الصفحات التالية قواعد الولاية والبراءة ــ كما اوردتها المصادر الاباضية ــ مستعينين بأمثلة عملية واضحة حيثما تقتضي الضرورة .

(*) من هذه الكتب : الجيطالي ، **قواعد الاسلام** ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، السالمي ، **مشارق أنوار العقول** . بالاضافة الى كتب اخرى تحوي فصولا خاصة عن الولاية والبراءة يلحظها القارىء في هوامش هذا البحث .

٢ ــ الولايـــة

الولايـــة عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمصافاة والمناصرة والثناء ووجوب الترحـــم والاستغفار للمسلمين (أي الاباضية) . وتَجْمَع هذه المعاني كلّهـــا عبارة الحب في اللـــه وفي العقيدة الاباضية (١١). والولاية واجبة على كـــل اباضي لاخيـــه في المذهب اذا كان مطبقا لاوامر اللـــه ، قائما بواجباته الدينية على اكمل وجـــه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكـــر ، ممتنعا عن كل ما حـــرّم اللـــه (١٢) .

وللولايـــة قواعد واحكام يمكن اجمالها بمـــا يلـــي :

١ ــ ولايـــة الجملة : وهي فريضة على كل مكلّف عندمـــا يصل الى سن البلوغ (الخامسة عشرة للذكور والثانية عشرة للاناث) . وعلـــى المكلّـــف ان يوالي جميع المسلمين الاباضية من غير قصد الى أحـــد باسمه . والعمل بهذا المبـــدأ توحيد ، والترك لـــه ، أو الجحود ، او الجهل بانـــه فرض يُدخِل صاحبه في دائـــرة الشرك (١٣) .

٢ ــ ولايـــة المعصومين ، وتشمل ولاية الانبيـــاء والرسل والملائكة وغيرهم من أوليـــاء اللـــه المذكورين في القـــرآن الكريم سواء بالاسم أو بالوصف . وهي على نوعـــين : ولاية الجملة ، وولاية الافراد . امـــا ولاية الجملة فتشمل جميع الانبيـــاء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها او وصفُها في القـــرآن الكريم ؛ مثل اهـــل الكهف ، واصحاب الاخدود واشباههم . وولاية الافـــراد على نوعين : مسمى ، مثـــل آدم وابرُهيم ومريم بنت عمران وغيرهم ، وغـــير مسمّى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هـــؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ ــ ولايـــة الاشخاص ويقصد بها ولاية الافـــراد من اصحاب المذهـــب الاباضي ؛ وهي عبارة عن حـــق متبادل بين اتباع العقيـــدة الاباضية . ويجب أن تتوافـــر في الشخص الذي يتولاه الاباضيـــة الشـــروط التاليـــة :

١ ــ أن يكون اباضيا في القول والعمـــل .

٢ ــ أن تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضيـــة .

٣ ــ أن يكون المكلّـــف مقتنعا بأن الشخص المتولى يستحق الولاية .

ويمكـــن التحقق من توافر هذه الشروط بالوسائـــل التاليـــة :

١ ــ الخبرة بالشخص المتولى على انـــه موافق للاباضية في القـــول والعمـــــل .

٢ ــ الشهرة التي لا تُدفَع ، اي ان يكـــون مشهورا بالخير ، فمـــن عرفـــه لا يعرف عنه الا الخـــير والفضيلـــة .

٣ ــ أن يُشهـــد على احقيته في الولاية شخصان اباضيان عـــدلان .

ويكتفـــي بعض العلماء بشهادة شخص واحـــد عدل (١٥) . ويبدو أن الاباضية كانوا احيانـــا يقبلون شهادة المـــراة . وتذكر المصادر الاباضية امثلة كثيرة تشير الى صحة هذا الـــرأي ، منها ما يـــورده الشماخي من ان أم عمروس ، احـــد علماء الاباضية في جبـــل نفوسة ، اوصت اليه في المهـــد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصية والدتـــه وجد فيها الحج ، اي الطلب منه أن يحج عنها ويدعو لهـــا . فسأل عمروس اقرانه من الاباضية عن احقية والدتـــه في الولاية ، فلم يجد من يتولاها بـــه (اي يشهد بأنها كانت اباضية المذهـــب ومن اهل الولاية) الا امـــراة،فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لهـــا واستغفر » (١٦) .

واذا تحققت ولايـــة الشخص،فعلى من يتولاه ان يضمر لـــه الحب في الجنان ، ويعلن الترحـــم والاستغفار لـــه باللسان ، « فمتى ما ظهر من أحـــد الوفاء بدين اللـــه قولا وعملا ، فعلى من شاهـــد ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب لـــه ، والاستغفار لـــه ، وتحريـــم بغضه وشتيمته وغشه وغيبته وسوء الظن بـــه .. » (١٧) .

وتشمل ولايـــة الاشخاص الانواع التاليـــة :

١ ــ ولايــة ائمــة الاباضية ، وتعتبر فريضة على كل اباضــي يعيش في القطر الذي يوجــد فيه الامام ، كما انهــا فريضة على أي اباضي آخر يسمع بوجود الامام . وتنسحب الولايــة ، في هذه الحالة ، على جميع الاباضية الذيــن يعيشون في ظلــه وينضوون تحت سلطانه . ويسمى هؤلاء : اهــل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمي الاباضية هذه الولاية بــ « ولاية البيضة » أي العاصمة أو مركــز الحكم . وفي ذلك يقول الجيطالي : « ولايــة البيضة هي ولاية الامام العادل ، امــام المسلمين (الاباضية) ومن اتبعه على طاعة اللــه ، الا إن ظهر من احــد ما يبرأ بــه منه ، وذلك ان كل دار يكون اهلها الغالبون عليها هــم العاملون بما جاء بــه التنزيل ، المتبعون لمــا شرعه الرسول عليه السلام ، الناهون لمــا نهى عنه الشرع ، الداعون الى السنّة والعمل بهــا ، الرادّون للبدعة على مــن جــاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الاجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسميهم أهــل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهــم فيسميها دار العدل والحــق » (١٨) .

ويقول الامام افلــح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان امام المسلمين (الاباضية) عدلا فكل مــن جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منــه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينــه ، ويتولون جميع من في البيضة جملــة وقصــــدا » (١٩) .

ويرى الاباضية انه لا يجوز التجاهل او الجهل بوجــود الامــام ؛ فمعرفة الامام واجبة على كــل من يعيش في البيضة . ولا يجوز ايضــا لأي فــرد اباضي أن يتبرأ من احــد الائمة بشهادة الشهود ، علــى خلاف الاشخاص الذيــن يُتَوَلّون ويُتَبَرّأ منهم طبقا للشروط التــي شرحناها آنفــا ، ومنها شهادة العدول . ويشرح الجيطالي هــذه القاعدة ويقول : « امــا ائمة الدين والهدى ، وقادات المسلمين من اهــل المروؤة والتقى ، فانهم يتولون عند اصحابنا بغير حجة لانهم بمنزلة الديانة . .

وليست بمنزلة ولايـــة الاشخاص وبراءتها . الا ترى انـــك تنتقل من ولاية الاشخاص وبراءتها بشهادة الامنـــاء ؟ وليست كذلك ولايـــة الائمـــة،لانك لا تنتقل عليها بالشهـــود وان كثـــروا » (٢٠) .

ب ــ ولايـــة الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الاباضية الشخص الذي يعتنـــق الاسلام ، ويشهد ان لا الـــه الا اللـــه وان محمـــدا رسول اللـــه ، ويعلن وحدانية اللـــه تعالى وقدرته ، ويبتعد عن المعاصي والكبائر . ويـــرى بعض علماء الاباضية ان المستجيـــب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبـــرأ من الجبابرة،اي الحكام والسلاطين غير الاباضية ، واذا لـــم يفعل ذلك فانهم يتوقفون عن الحكم عليـــه (٢١) .

ج ــ ولايـــة الخارج من مذهب اهـــل الخلاف الى مذهب اهـــل الصواب : اي ولايـــة المسلم الذي كان يتبع مذهبا اسلاميا معينا ثـــم اعتنق المذهب الاباضي . وهذه الولايـــة على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمتدين الشخص العالم المجتهد المتبحـــر في شؤون الديـــن ، الذي يستطيع ان يعطي رأيـــا فقهيا،او يُصدر فتوى في شأن من شؤون الديـــن . وفي هذه الحالة فعلى الشخص ان يعلن توبته عن آرائـــه الخاطئة ، اي التي لا تتفق مع المذهـــب الاباضي ، ويعلن أيضا أن مبادىء الاباضية وعقائدهم هي وحدها التي تمثـــل الاسلام الحق . واذا فعل ذلك فعلى الاباضية حينئـــذ أن يتولوه ويعتبروه واحـــدا منهـــم (٢٢) .

واذا كـــان المخالف متدينا ، ولكنه صاحب بدعة،اي انـــه ينادي بآراء مخالفة للعقائد الاباضية ويدعـــو الناس لاعتناق آرائـــه،واستجاب لـــه عدد من الناس ، ثم رأى خلاف ذلـــك وأراد أن يتوب ويعتنق المذهـــب الاباضي ، في هذه الحالة يجب عليه ــ قبل ان يتولاه الاباضية ــ ان يذهب الى اصحابه ومـــن استجاب لدعوته ، ويخبرهم ان ما دعاهم اليه ضلال ، وانـــه تاب الى اللـــه وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح (الاباضي) . بعـــد ذلك تُقبَل توبتـــه ، ويتولاه الاباضية كواحـــد منهـــم (٢٣) .

امـــا اذا كان المخالف متدينا وكان صاحب بدعـــة ، ودعا اليها الناس، فأضَلَّ بهـــا خلقا كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبتـــه ، ويعلمهم أن ما دعاهم اليه كـــان ضلالا ، فعليه في مثـــل هذه الحالة ، أن يتـــوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهـــب الاباضي ، عند ذلك تُقبَل توبتـــه ويتولاه الاباضية (٢٤) .

امـــا المخالف غير المتديّن، او ما تسميه المصادر الاباضية: المخالف المقلّـــد ، فان الاباضية يتولونه بمجرد توبتـــه، واعلان انضمامه اليهـــم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هـــذه الحالة ان ينطق العبـــارة التالية مخاطبا بهـــا الاباضية : « انـــا منكم ، وليُّ وليِّكم ، وعدوُّ عدوِّكم » (٢٥) .

٤ ــ ولايـــة الاطفال . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من أتباع حركتهم، على أن يتوفر في الطفل احـــد الشروط التاليـــة :

١ ــ المعرفـــة لدى الجماعة ان الطفل وُلِـــد على فراش أبيه . ومعنى ذلك التيقن من أن الطفل ولـــد لأب اباضي .

٢ ــ اقـــرار الأب الاباضي ان الطفل ابنـــه اذا حضر . ويرى بعض العلماء ان شهـــادة الأب غير كافية ، بـــل يجب أن تتوثق بشهادة رجـــل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ ــ شهادة الامنـــاء الموثوقين (الاشخاص العدول) بأن شخصا اباضيا معينا لـــه أولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولايتهـــم، حضورا كانـــوا أم غيابـــا .

امـــا الاطفال المخالفون فان الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم، ثـــم يجري عليهم حكـــم الوقوف . فاذا ظهر منهم الوفـــاء للمذهب الاباضي تولوهم، وان ظهر منهـــم خلاف ذلك تبرأوا منهـــم. وحكمهم في ذلك حكـــم آبائهم من الموحدين المخالفـــين .

أمـــا أطفال المشركين فان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليهـــم حتى يبلغوا الحلـــم ، فاذا أسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهـــب الاباضي فانهـــم يتولـــون .

أمـــا أطفال العبيد الذين يملكهم شخص متولى،والموالي الاطفال اذا اعتقهـــم المتولى،ففيهم قولان : احدهما يقول بوجوب توليهـــم ، والآخر يقضي بالوقوف حتى سن البلوغ ؛ فاذا بلغوا واتبعوا الطريـــق القويم والمذهب السليم (الاباضي) فعند ذلك يتولـــون .

أمـــا الطفل الذي يولد لامراة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاهـــا الاباضية،فولايتـــه واجبة . أما اذا ولـــد الطفل لابوين مسلمين،احدهما اباضي والآخر غير اباضي، فـــان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليـــه حتى سن البلوغ . فـــاذا اعتنق المذهب الاباضي تولوه،وان لـــم يفعل تبراوا منه . ويـــرى بعض العلماء أن ولاية الطفل الذي وُلِـــد لأب اباضي واجبة،باعتبار أن الولايـــة تورث من الاب دون الأم .

ومـــن أصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكـــم الطفل ، اذا كان ابوه ممن لهم حـــق الولاية فانه يتولى،وان كان مشركـــا او منافقا وقف عنـــه .

واذا ارتـــد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فان اولاده الاطفال يبقون في منزلتهم من الولايـــة (٢٦) .

٣ — البـــــراءة

البـــراءة عند الاباضية تعني عكس الولايـــة تماما ، اي العداوة والمنابذة والبغض ووجوب الشتم واللعنة للكافر ، وعـــدم الترحم عليه أو الاستغفار لـــه . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلـــوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » (٢٧) .

وكما أن للولاية قواعدها وأحكامهـــا فان للبراءة ايضا قواعـــد واحكاما يمكن اجمالها كالآتـــي :

١ ــ بــراءة الجملة : وتعني وجوب البــراءة من المشركين بشكل عــام ؛ فعلى كل اباضي ــ تبعا لذلك ــ أن يبرأ من أعداء اللــه من الاولين والآخرين، من الجن والناس اجمعين الى يــوم الدين ، معروفين او غير معروفين ، أحياء كانوا ام امواتــا . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بأن الله أَمَــرَ بها شرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك ايضــا (٢٨) .

٢ ــ بــراءة الحقيقة او براءة اهــل الوعيــد ، وتعني وجوب البراءة من أولئك الذيــن توعّدهم اللــه في كتابه العزيز ، وهــم المذمومون في القرآن، والموصوفون بالاساءة والعصيان (٢٩) وهــم قسمان : جملة وافراد . ومن أمثلة الجملة قــوم نوح ولوط وعاد وثمود، وأصحــاب الرس وغيرهم ممن ذكرهم القــرآن بالسوء . أما الافراد فهم نوعــان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وأبي لهــب . وغير مسمى مثل الذي حاج ابرهيم ، وحمّالة الحطب ، وامراة لوط وغيرهــم .

وبكلمــة فان البراءة من جميع من نص اللــه عليهم بأسمائهم واوصافهم والقابهــم من الرجال والنساء المنعوتين بالاساءة توحيــد ، وولايتهــم شــرك (٣٠) .

٣ ــ بــراءة الاشخاص . يعتقــد الاباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكــاب الآثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الاول يشمل أولئك الذيــن يرتكبون الكبائر ؛ والكبيرة عندهم هي الخطــأ الذي يوجب الحــدّ في الدنيا والعذاب في الآخرة، مثل الزنــا ، وشرب الخمر ، والتولّي يــوم الزحف، واشباه ذلك . والثاني يشمل أولئــك الذيــن يرتكبون الصغائر ويصرون على الاستمرار في الخطــأ رغم تحذير اقرانهــم لهــم (٣١) .

وتجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه احــد الشروط التالية :

١ ــ أن يعترف الشخص انــه اقترف احدى الكبائر ، أو انــه استمر في ارتكاب الصغائر مدعيــا أن هذه الامور لا تتعارض مــع مبــادىء العقيــدة .

٢ ــ ان يشاهد الشخص وهو متلبس باقتراف احدى الكبائر ، مثل الزنا وشرب الخمر واشباه ذلك .

٣ ــ أن يشهد رجلان اباضيان عدلان ممن تقوم بهم الحجة في الولاية والبراءة على أن شخصا ما يستحق اللعنة والبراءة (٢٢) . ويبدو من مطالعة المصادر الاباضية أن هذه القاعدة قد وُضعت في وقت مبكر جدا من عمر الدعوة الاباضية ؛ اذ تروي المصادر ان جابر ابن زيد (ت ٩٣هـ) سمع رجلين من أصحابه يتحدثان حتى ذكرا رجلا فلعناه . فقال جابر : « لعن الله من لعنتما ، قالا : كيف تلعن رجلا لم يثبت عندك لعنه ؟ فقال : واي ثبات اثبت من اجتماعكما على لعنه ! » (٢٣) .

٤ ــ الشهرة التي لا تُدفَع ، أي أن يكون الشخص معروفا بالسوء مشهورا به ، اذ ان المشهور بالشر يُبْرأ منه بغير شهادة (٢٤) .

والبراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلي :

أ ــ البراءة من السلطان الجائر ؛ أي البراءة من الحكام المخالفين . ولا تشمل البراءة جميع من ينضوي تحت لواء السلطان ، لان بعضهم قد يكون من أصحاب المذهب الاباضي،ولكنهم اخفوا معتقدهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يبطش بهم السلطان واعوانه . والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوما يعيشون تحت حكم « الجبابرة »،ومن هنا كانت البراءة وقفا على السلطان ومن ثبتت طاعته له بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطان دار الجور والظلم (٢٥) .

ب ــ البراءة من المرتدّ من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة يستتاب المشرك ثلاثة أيام ، فان لم يعد الى صوابه ورشده فيجب أن يجاهد ويقتل ، ولكن لا تُسبَى له ذرية،ولا يغنم له مال (٢٦) .

ج ــ البراءة من الخارج من مذهب اهل الحق الى مذهب

اهـل الخلاف ؛ اي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهـب الاباضي الى اي من المذاهـب الاسلامية الاخرى . امـا اذا تمادى هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهـب الاباضي ، بل اخـذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتلـه . يقول الجيطالي : « فمن خرج مـن مذهب اهـل الحق الى مذهب اهـل الخلاف ، فتولى ائمتهم ، وتبـرأ من ائمـة المسلمين (الاباضية) كان واجبـا على المسلمين (الاباضية) بغضه وعداوته ، وخلع ولايتـه ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمـين (الاباضية) فيتولّى وليّهم ويعادي عدوّهم . وان خرج من مذهـب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهـم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله بأي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتلـه » (٣٧) . وقصة خردلة التي ترويهـا المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جـاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيـد ، وسأله عن افضل انواع الجهاد ، فقـال الامام،قتـل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه،فأراه اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخنجر مسموم فمـات،وقبض على الشاب الاباضي وأتي بـه الى الوالي فقتلـه . وكان خردلة من الاباضية ، ولكنـه خرج عليهم واخـذ يطعن في دينهم ويدلّ على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيـد دمـه ، وتـمّ قتله على النحو الذي ذكرنـاه (٣٨) .

د ـ البراءة من الاباضي المبتدع ، اي الذي يقول براي ديني أو فكري مخالف لمـا يعتقده علماء الاباضية وفقهاؤهم ، ويدعـو الناس اليه ، مثال ذلك ما يرويـه المؤرخ ـ الامام ابـو سفيان من ان شخصا اباضيا من مشايخ الكوفة كان يقول بالقدر،ويدعى حمزة الكوفـي،وقد جاء الى الامام ابي عبيدة في منزله ، فقال الامـام : « من جـاء بك الي ؟ فقـال : وإلَى مَن اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني اريـد ان اذكرك بعض هذا الامر . قـال فعليك بمنزل حاجب (الطائي) قال : وما اصنع بـه ولسـت حاضرا ؟ قـال : فاني آتيك هناك ، قـال : فخرجا حتى اتيـا منزل حاجب . قـال : فدخلا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . فكان آخر مـا سُمع منابـي عبيدة ان قال:يـاحمزة على هذا القول فارقت غيلان ،

قال : فخرج ابـــو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قـــال : فكان هيبته مـــن حاجب أعظم من هيبتـــه من أبي عبيدة؛ قال : فقال حمزة : انما أخـــذت هذا الكلام (أي القول بالقدر) من عنـــد المسلمين (الاباضية) قال : فقال لـــه حاجب ، لم تدرك احـــدا الا وقد أدركته ولقيته الا جابر فعن من أخذت صـــذا القول ؟ قال : منك أخذته . قال : فقال لـــه حاجب فاني أرجع عنه ،فارجع عنه كما رجعت . قـــال : فقال ، ارفق بـــي يـــا ابـــا مودود،واقبل مني ما أقول لك . قـــال : هات . قال : أقول ما أصابك من حسنة فمن اللـــه،وما أصابك من سيئة فمن نفســـك ؟ فالحسنات من اللـــه والسيئات من العباد . واقـــول : لا يكلف اللـــه نفسا الا وسعها . قـــال : فقال له حاجب : أمـــا من غيرك فمقبول منه هذه الجملة،وامـــا منك فانا أعرف مذهبك فيه أولا . قـــال : فخرج حمزة من عنـــده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارفقوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قـــال : فمكث بذلك ما شاء اللـــه،ثم بلغهم انـــه مشى الى النساء فكلمهن في ذلك ، والى الضعفاء . قـــال : فلما بلغ ذلك ابـــا عبيدة وحاجبا ، أمـــر أبو عبيدة حاجبا أن يجمع لـــه الناس؛فمشى اليهم وأعلمهم ووعدهـــم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد أبـــو عبيـــدة وحاجب . قـــال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلمـــا تكلم حاجب فحمد اللـــه واثنى عليه ، ثم قال : ان حمزة وعطية والحارث (الشخصان الاخيران وافقـــا حمزة في مقالته) احدثوا علينا أحداثا،فمن آواهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتهـــم . قال : فتفرق النـــاس وطردوهم من المجالس ولم يقربهم أحـــد (٣٩) .

وقبـــل أن ننهي حديثنا عن البراءة وأحكامها يجدر بنـــا أن نشير الى أن علماء الاباضية يوجبون استتابة الشخص قبـــل التبرؤ منه ، فان تـــاب بقي على ولايته،وان لم يفعل تبرأوا منـــه ؛ ويرى بعض المفكرين الاباضية أن البراءة لا تتـــم الا بعد طلب التوبة ثلاث مرات،فاذا أصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منـــه (٤٠) .

٤ ـ الوقـــوف

الوقـــوف يعني الامساك من امضاء حُكـم ـ بحق ولاية شخص او مجموعة او البراءة منهـم ـ لعدم توافر الادلـــة والمعلومات اليقينية التي توجب الولايـــة او البراءة . ويرى الاباضية تبعا لذلـك ـ أن الناس ثلاثة فرقاء : فريق عُلِـم منه الخير ، وهو الموافقة في الديـــن والعمل ، وهذا هو الولـــيّ المستحق للولاية . وفريق عُلِـم منه الشر ، وهو المخالفة في الديـــن بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحـق للبراءة والعداوة ؛ وفريق ثالث لم يُعْلَم منه شر او خـــير، وهو الموقوف عنه حتى يثبت عليه مـــا يوجب الولاية أو البراءة (٤١) .

والموقوف عنه صنفـــان :

١ ـ كل شخص بالِـــغٍ لا يُعْرَف منه كفر ولا ايمان . فالغرض فيه الوقوف عن الحكـم عليه حتى يُعرَف حاله من خـــير او شر، فيستحق حينئذ الولاية او البراءة ؛ ومن أمضى فيـــه حكما ، سواء بالولاية أو البراءة ، بغير علـــم ، فهولاشك مشرك هالـــك (٤٢) .

٢ ـ اطفـــال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلـــم ؛ فاذا شوهد منهم الايمان والصلاح فانهـــم يُتَوَلَّون ، وان شوهد منهم الكفر والضلال فيُتَبَرّأ منهـــم (٤٣) .

ويشـــير العلماء الاباضية الى اشكال مختلفـــة من حالات الوقوف مـــن اهمهـــا :

١ ـ وقوف الديـــن ، أو ما يسميه البعض وقوف السلامة . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم علـــى شخص غير معروف عنـــه خير أو شر ، كفر أو ايمان،وهـــذا اشمل أنواع الوقوف (٤٤) .

٢ ـ وقوف السؤال . وهـــو أن يقوم شخص اباضي بعمل سيىء ، ويعرف عنه بعض اقرانه ذلك،فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليـــه

حتى يسألوا اهـل العلم والمعرفة من مشايخ الاباضية عـن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيـه . مثال : ان يرى الشخص متوليا لـه على معصية مثل الزنـا ولا يدري ما قول المسلمين (الاباضية) فيـه . فياتي اليهم ويقول :ما تقولون في رجـل ممن تتولونه رأيتموه يزني ؟ (ولا يحق لـه ان يقول رايت فلانا بالاسم ، لانه اذا فعل ذلك بريء منه لكونه رمى متولّى لهـم بكبيرة) فاذا اخبروه انـه يُبرأ منه بريء منه ، امـا قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فانه يتوقـف عن الحكم عليـه (٤٥) .

٣ ـ وقوف الاشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتولّيْن ، اذا قُتِـل احدهما الآخر ولم يُعرف المحقّ من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي اللذين تزعّمـا الحركة الاباضية في شمال افريقية بعد مقتـل رئيسهم عبد الله بـن مسعود التجيبي نحو عـام ١٢٧ هـ . وقد وُجِـدا مقتولين وسيف كل منهما مغمـد في جثة صاحبه . ولمـا لم يتمكن الاباضية من معرفة الباغي منهما على الآخـر ، فقد رجح لدى العلماء الوقوف على الحكم عليهمـا . واصبحت هذه الحالة مثالا يحتذى بـه في الحكم على قضايا مشابهة (٤٦) .

٥ ـ اهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الاباضية

يـرى الباحث أن لنظام الولاية والبراءة الاثر الاكبر في تطـور الحركة الاباضية واستمرار بقائها الى وقتنـا الحاضر ، ويمكن اجمال اهمية هذا النظـام في التاريخ الاباضي في النقاط التاليـة :

١ ـ لقـد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الاباضيـة على اقامة مجتمـع متماسك قائم على المحبة والاخوّة والمساعـدة . ولمـا كانت الولاية عند الاباضية فرضا واجبا فاننا نرى الاباضي ـ تبعا لذلك ـ يقدّم اخاه في العقيدة على اخيه في النسب . وتشير المصـادر الاباضية الى امثلة متعددة تؤكد هذا المبـدا ، منها ما يرويه الامام

المؤرخ الاباضي ، ابـــو سفيان الذي يذكر ان شخصا اباضيا يدعـــى المعتمر بن عمارة جـــاء الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي ثاني ائمـــة الكتمان في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين — وقال لـــه : انك لأحبُّ الي من ابي . فقال ابـــو عبيدة : « هكذا ينبغي لـــك يـــا معتمر ان تكون ، لانك بذلت لي ما لم تبذل لـــه ، اي الولاية » (٤٧) . وهناك امثلة اخرى كثيرة في هـــذا الصدد؛ منها ما يرويه ابـــو سفيان أن ابـــا الحر — احد مشايخ الاباضية في الحجاز في القرن الثاني الهجري — كان في المسجد جالسا في حلقة لـــه، فقدم اخوه الحسن من العـــراق . فاقبل بريده حتى جـــاء الى الحلقة فسلم على اخيـــه ، ولكن ابا الحر لم يقم من مجلسه، واكتفى بأن اخذ بيـــد اخيه وهو جالس، على الرغـــم من انـــه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هـــم كذلك، اطلَّ رجل اباضـــي من اهل عمان ، فلما نظر اليه ابـــو الحر، هبَّ قائما وخرج من الحلقـــة، فتلقاه وعانقه وقبَّل صفحتي عنقه، ورحّب بـــه ترحيبا كبيرا . فتأثر اخوه لمـــا رآه ، وعاتب ابـــا الحر على الاستقبال الفاتر الذي ابداه نحـــوه، مقارنة بما فعل مع ذاك الاباضي العماني . فقال ابـــو الحر « مودة هذا (اي الاباضي العماني) على غير مودتك ! لان مودة هذا على الديـــن والولاية، امـــا مودتك فعلى النسب » (٤٨) .

ولـــم تقتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الاباضية على مثل هذه المظاهر التي اشرنـــا اليها، بل تعدتها الى النواحي العملية الاخرى ؛ فقد كان الاباضية الاغنياء يتسابقون في مـــدّ يـــد العون للمتولى الفقير منهم . وهناك امثلة كثيرة في هـــذا الشأن تزخر بها المصادر الاباضية؛ منها ما يقوله ابـــو سفيان :« سمعت بعض مشايخ من ادركت يقولون : انـــا لنذكر اذا دخل شعبان، إن كان الفقراء من المسلمين (الاباضيـــة) لتاتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهـــر رمضان، ولا يعلمون من بعث بهـــا . يأتي الرجل بالجمال حتى يقف بـــه على باب الدار فيقول : ادخـــل ، فيكتب في خرقة كلـــوا واطعموا » (٤٩) . ويروى أن شخصا من الاباضية يدعى ديال بن زيد « كـــان يستأجر الاكسية فـــي

البرد الشديد .. بألف درهم أو اقل أو أكثر ، وليس عنده منهـا شيء ، وانما يتكل على اللـه ، وعلى المسلمين (الاباضية) ثم يفرقها بـين الفقـراء،ويجمع ثمنها بعد ذلك من اغنيـاء المسلمين (الاباضيـة) وكرمائهم » (٥٠) . وكـان الداعية الاباضي ، ابو الحر ، موسرا جـدا، وتأتيه غلّته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين (الاباضية) وفي معاونتهم » (٥١) . ولـم تقتصر الموالاة بين اتباع المذهب الاباضي على الاحياء منهم،بل تعدتها الى الاموات . فاذا كـان الميـت متولى لهم ومات وعليه دَين، فان اصحابه يتسابقون في دفـع الدَين عنه . يقـول ابـو سفيان : « مـات حاجب وعليه ديـن مئتـان وخمسون الفـا أو أكثر (دراهم) قال : فدخل قرة بن عمر وجماعة من المسلمين ليغسلوه ... فقال لهم قرة : يـا قوم ، ما تقولون في ديـن هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال،وقرة رابعهم،وضمنوا دينـه . ودخل الفضل بن جندب،وكـان من خيار المسلمين (الاباضية) وكـان موسرا فأخبروه ، فقال لهـم الفضل : دينه عليّ دونكم حتى اعجز عنـه ، ولا يبقى لي مـال » (٥٢) .

وهكـذا فان نظام الولاية وما يوجبه من مساعدة ومؤازرة ومؤاخاة قد جعل من الجماعة الاباضية اسرة واحدة متماسكة متضامنة،تسيطـر على افرادها روح المحبة والمـودة والتفاني في خدمة العقيدة والمؤمنين بها .

٢ ــ لقـد ادى نظام الولاية والبراءة الى أن يَتَّخـذ الاباضيـة موقفا متعنّتاً جـدا من الصحابة الاوائـل ، فأنكروا أن بعضهم مبشّر بالجنة ، وكفّروا آخرين كفر نعمة وليس كفر شرك ، وتبرأوا منهـم ؛ كما فعلوا مع عثمـان وعلي وطلحة والزبير (رضي اللـه عنهـم) وغيرهـم (٥٣) .

٣ ــ ساعـد نظام الولاية والبراءة الاباضية في شمال افريقيـة على المحافظة على عقيدتهم رغـم التحديات الكثيرة التي تعرضوا لهـا منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على أيدي الفاطميين نحو عام ٢٩٧هـ.

وبدلا من التخاذل واليأس والخضوع لمخالفيهم فقد انسحب الاباضية الى مناطق نائية، واستغلّوا مبدأ الولاية والبراءة الى ابعد الحدود، واقاموا مجتمعات اباضية متماسكة، تسودها المحبة وتسيطر عليها روح الجماعة .

وانشأوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهام مشايخ البصرة في طور الكتمان، ابّان القرنين الاول والثاني الهجريين (٥٤) . وكانت العزابة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيوخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون ان يشذ منهم شاذ ، او يتكبر عليهم متكبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ احكامهم مبدأ الولاية والبراءة . ولولا هذا المبدأ لظهر التمرد عليهم والاستنكار لهم (٥٥) .

د. عوض خليفات

الهوامش :

(١) حول مزيد من التفاصيل عن معاني الولاية ، انظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) ابو تمام ، **الحماسة** ، ج ١ ، ص ٩ (نقلا عن يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، ص ٩٢ ، ملاحظة رقم (١) .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩ ــ ١٠٣ .

(٥) ابن هشام ، **السيرة** ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالاة بعضهم بعضا والبراءة من أعدائهم وان كانوا أقرب الناس اليهم . مثال ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٣ .

(٧) في شأن هؤلاء الثلاثة قال الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله تواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ ــ ١١٧ .

(٨) حول التنظيم السري الاباضي في القرنين الاول والثاني الهجريين انظر كتابنا : نشأة الحركة الاباضية ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٩) شماخي : سير ، ص ١١١ ــ ١١٢ .

(١٠) جيطالي ، **قواعد الاسلام** ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٧ .

(١١) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٢ ــ ٨٤ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٩ ، جيطالي ، **قواعد الاسلام** ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(١٢) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

ص ٦٤ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

(١٣) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٦٥ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٦٤ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٣ .

(١٤) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٤ .

(١٥) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٢ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٤ ، ٥٢ .

(١٦) شماخي ، **سير** ، ص ٢٢٨ ، انظر مثالا آخر ص ٢٣٢ .

(١٧) جيطالي : **قواعد** ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(١٩) الامام اللح ، **جوابات** ، ق ٢ ، ص ٥ (نقلا عن نسخة مصورة يملكها الاستاذ محمد المغربي) .

(٢٠) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٢ — ٧٣ .

(٢٢) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢٦) عن ولاية الاطفال انظر ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٠ — ٥٣ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٧٥ .

(٢٧) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٤٨ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٢٨) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ — ٥٧ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٩) عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ .

(٣٠) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٨ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٦ .

(٣١) السالمي ، **مشارق انوار العقول** ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ ، ص ٢٧٠ وما بعدها ، ص ٣٧٨ — ٣٨٠ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣٣) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٣ .

(٣٤) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٣ (عن ابي المؤثر) .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٣٨) شماخي ، **سير** ، ص ٧٥ — ٧٦ ، الحارثي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٣٩) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨١ (عن ابي سفيان) ، جيطالي ، قواعد ، ص ٦٣ ــ ٦٤ .

(٤١) جيطالي ، قواعـد ، ص ٦٩ .

(٤٢) المصـدر نفسه .

(٤٣) السالمي ، مشارق ، ص ٣٨٢ وما بعدها .

(٤٤) المصـدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ ، جيطالي ، قواعـد ، ص ٧١ .

(٤٦) ابو زكريا ، السـيرة ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، الجواهـر ، ص ١٧٠ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ .

(٤٧) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٩) شماخـي ، سير ، ص ١١٤ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

(٥٢) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٥٣) القلهاتي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، ورقة ٨٥ ــ ١٠٦ ، الازكوي ، كشف الغمة ، مخطوط ، ورقـة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، الجواهـر ، ص ٥٣ وما بعدها ، شماخي ، سـير ، ص ٣٠ وما بعدها ، انظر كتابنا ، نشأة الحركة الاباضيـة ، ص ٥٧ ــ ٦٣ ، ١٧٢ ــ ١٨٠ .

(٥٤) يقوم المؤلف باعداد بحث عن نظام المزابة سوف ينشر في مجلة المؤرخ العربي التي تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .

(٥٥) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي

للمستعرب الايطالي الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو

ترجمه عن الايطالية : عيسى الناعوري
(الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني)

تمهيـــد

هـــذه المراجعة الموجزة لمشاركـــات الباحثـــين الايطاليين في حقـــل (التاريخ العربي) خاصـــة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفـــات ذات الطابع السياسي والديني ، لان ذلك اكثرُ اتصالا بموضوع الاســـلام بحدوده الواسعة ـــ والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم « الاستعراب الاسلامـــي » ، الواسع الاستعمال ـــ غير ان وجود فصل في هـــذا البحث حول (الدراسات الاسلامية) ، كان القصـــد منه ان يُحول دون اي تحديـــد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة ـــ كالحضارة العربية الاسلامية ـــ كثيرًا ما يتعذّر معهـــا فصل المسيرة التاريخية عن تطوّر العقيـــدة ونموّهـــا .

وبالنسبـــة الى الاساس الذي سرنا عليـــه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر انـــه ، من أجل ترتيبٍ افضلَ لهذا البحث ، كان لا بـــدّ من التضحية بالتسلسل التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، حفاظا على تسلسل الفترات التي ألِفْنـــا تحديدها زمنيًّا ؛ واعني أن تلك الفتـــرات التي تبدأ بالعهد الجاهلي ، ثم تمـــرّ بالنبي محمـــد ، وخلفائه الراشدين الاربعة ، والخلافة الامويـــة ، ثم العباسية ، الـــى سقوط الخلافة في

بغداد عـــام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، أو الركود ، الذي غلب على العـــرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في بعض الاقطار العربية ، الافريقية والآسيوية، تباشير عهـــد النهضة . وعند عصر النهضة يتوقف حديثنـــا .

• • •

حَوْلِيّـــات الاســـلام

في الوقـــت الذي تتناوله مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب الزمني ، تُبْرز بين المستعربين الايطاليين والاوروبيين شخصية عملاقـــة ، هي شخصية ليوني كائيتاني . ففي الاعوام التي تَلَـــت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد الى عملـــه في (حَوْلِيّات الاسلام) التي كان قد انقطع عنها بتطوّعه في الجيش . ونحـــن نحيل من يُوَدّون معرفة شيء عن أسرة كائيتاني الشهيرة ، وابنهـــا العبقري الفـــذّ ، الى كتاب فرانشيسكو غبرييلي «(آخر آل كائيتاني)»، كما نقتـــرح على من يدفعهم الفضول الى معرفة البيئـــة التي وُلِدَت وتطوَّرت فيها تلـــك (الحوليات) أن يقرأوا — ان لم يقرأوا بعـــد — الصفحات الرائعة ذات الطعم الغَسَقِيّ ، التي كَرَّسها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا في كتابـــه (سقف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتـــمّ ذلك العالم باللغات السامية والمؤرخ الشهير للاسلام ، بالاصالة والدِقّة اللتين عُرِفَت بهمـــا ابحاثه ، بأن يُبْرِز المزايا العديدة والهَنات الضئيلة لعمل كائيتاني الجبار ، وللنتائج العميقة والحواشي النيّرة التي أَلَمَّتْ مما تحليلا ناقدا من ادقّ الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله الى ذلك اطّلاعُه التاريخيّ والدينيّ العجيب ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من انه كان ، هو وبعضُ المستعربين الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كائيتاني تعاونا فعالا . ولهذا نرى أنّ من الادّعاء الذي لا يُغْتَفَر ان نحاول اضافة شيء افضل او اكثر مما جـــاء في الكتابين المشار اليهما ؛ونعترف باستحالة فحص كل محتويات (الحوليات) ، لان هـــذا لا يستطيعه الاّ مَن قـــرأ قراءةً كاملة كـــلّ الصفحات الـــ ٧٠٠٠ من تلك الحوليات . ولذلك نكتفي بأن نذكـــر في هذا المقام ضمن ايـــة حدود زمنية وتاريخية يَجري القسمُ الاكبـــرُ

من عمل ذلك المؤرخ ، دون أن نتغاضى عن إبراز بعض مزاياه الكثيرة ، رغم ما نخشاه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار ما أحسَنَ كتابتَهُ ليفي ديلاّ فيدا وغبربيلي .

ونحن نتّفق تماما مع ليفي ديلا فيدا في اعتبارنا أنه « اذا كانت أُولى نوايا كائيتاني التفكير في جعل عمله يقتصر على جمع المواد وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بدافع لا يُقاوَم الى التمحيص والبِنَاء ، فاضاف بذلك الى عملِ جامعِ الوقائع ، عملَ المؤرخ » . والواقع أنه منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهلية ، وقسمٍ لا بأس به من سيرة الرسول ، بدا جليًّا ان كائيتاني كان يعتزم أن يجعل عمله اكثر اتساعًا واحاطةً مما كان العنوان يسمح بافتراضه . وهذا التمحيص للمصادر الذي التزم به المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقة في الأجزاء التالية التي زوّدها بكثير من التنبيهات الصغيرة والمفيدة ، وذات الطابع البنائي . ولقد شَجَّعه ما لقيه من تأييد كبار الباحثين ، ولم يُثبِّط همته ما لقيه احيانا من النقد الذي لا بدّ منه . ومضى كائيتاني يعمل بهمة نشطة وحماسة متواصلة في نشر الجزاين الثالث والرابع ، وهو يزداد يقينا من أن الخطّة الجريئة التي اختطّها ليجمع في عشرة أجزاء احداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة من التاريخ (أي حتى احتلال العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ٩٢٩ هـ . ١٥١٧ م .) كان لا بدّ من تعديلها تعديلا اساسيا . وقد عَبَّر عن تلك الضرورة بصراحة في مقدمة الجزء الخامس حيث يقول : (ان وفرة المواد تستمرّ في قلب التوقّعات المتكررة حول عدد اجزاء الحوليات . . . وسيجد البعض حجة لانتقاد الابعاد التي ما تني تأخذها ... لان استمرار العمل على قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازه . . .) .

وينبع كائيتاني تصريحه هذا بتوقّعٍ ، لا شك في أنه اكثر واقعيةً من ذلك الذي سبق ان تكوّن لديه حين شرع في تنفيذ تلك المهمة الموسوعية ، وهو انه من الممكن أن يصل بعشرين مجلّدا أُخرى الى نهاية العهد الاموي . « لقد عَمِلتُ حسابا — كما يقول بعدئذ — بأنني

لـــو استطعت الثقة من أن اعيش عشريـــن عاما اخرى مـــن العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يُقدِّمها لـــي بعض المعاونين القديرين ، فلربما استطعت أن أُقـــدِّم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الآن . . . مستمرًّا على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة او النوع . ان النتيجة واضحة : فحياة انسان بكاملهـــا ، اذا كُرِّسَت لهذا العمل ، قـــد تبلغ بالحوليات الى بدايـــة الخلافة العباسية فقط ، دون أن تمسَّ كلّ عصور التاريخ الاخـــرى ... لهذه الاعتبارات وسواها ، مما أُريحُ القارئَ من سرده ، توصلتُ الـــى أن أُقرِّر الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، او على الاصح ، مُكَمِّل ، يكون الصـــورةَ او الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر ... » . ومـــن هناك نشأت (الوقائع الاسلامية) التي استُخْدِمَتْ فيهـــا ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلاميـــة ، الجزازاتُ التي لا عَـــدَّ لها مما جمعه خلال إعداده لعمله الكبير . غـــير أن كائيتاني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمـــة الجديدة التي وَقَفَتْ عند عـــام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، أن يُحقِّق ما كان قد حَزَم امره عليه من الوصول الى حدود عـــام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت نيّتـــه الحازمة ، بل ظَلَّ ذلك مرةً اخرى طُموحًـــا وهُمَيًّا . ولم تكن اقـــلَّ وَهْمًا كذلك ــ كما تَجلَّى بعدئذ في ما يتعلـــق بالحوليات ــ توقعاتُ المؤرخ حول (الوقائع) ، فانـــه لم يُكمل بَعْدَ ذلك من عمله العظيم اكثر من خمسة اجـــزاء اخرى ، بلغ معها العمـــل الى الجزء العاشر ، الـــذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م (نهاية خلافة علـــي) . وهذا يعني اقـــلّ من ثلث ما كان قد خَطَّط لـــه بجراة حماسية .

ان هـــذه الحوليات ، التي اعاد كائيتاني نشر بعض موادّهـــا في جُزْأي كتابه (دراسات في التاريـــخ الشرقي) ، سرعان ما لقِيَتْ تقدير الاوساط العلمية الاستعرابية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخـــارج ، وليس فقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئـــة وخمسين مرجعا تاريخيا ،وتاريخيا ادبيـــا ، ومُرْزها (واغلبُها ما يزال غير مطبوع) بـــل لاعتبارها ايضا مرجعـــا لا مثيل لـــه في الحقيقة ، لمعرفة العهـــد الاسلامي الاول ،

وللاعتبارات النقديـــة والتمحيصية العديـــدة ، والحدس العبقـــري ، والفرضيات المغرية المنبثّة في ثنايا ترجمات النصوص أو تلخيصاتهـــا . ولئـــن كانت مواقفُ الباحث المتساهلة جـــدًّا مع الايجابية التاريخية ، ونَقْدُه العنيد لقيمة الابحاث التاريخية التقليدية في شؤون الاســـلام ، لم تَلْـــقَ اصداءً حسنة لدى المختصّين ، فـــان هؤلاء انفسهم ، حتـــى في عـــدم اتفاقهم معه ، قد ابدوا اعجابهم الشديد بمواهبه ومقدرتـــه العلمية ، واثنوا دائما على المثابرة والدأب اللذين ابداهما في قيامـــه بتلك المهمـــة التاريخية ، مُشيدين بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه على البحث الدائب ؛ ناهيك بالثناء علـــى الروح التي تَحَلّى بهـــا في اعادة صياغة المـــادة الخام التي كان يعثر عليهـــا .

لختـــام هذا الحديث نضيف الى ما تقدم ان (حوليّات الاســـلام) ، حتى في نموها المحـــدود في هذه الوقائع بأجزائها العشرة ، قـــد رَدَّت الاعتبار والفضل الى الدراسات العربية والاسلاميـــة في ايطاليا ، بعد ان فَقَدَت قيمتَها الصحيحة في حقـــل الحوليات التاريخية منذ (الحوليات الاسلامية) العشوائية التي كان قد جمعها (ج . رامبولدي ــ ميلانـــو ١٨٢٢ ــ ٢٥) والتي لا يستطيع حتى النقـــدُ المتساهل أن يُضفـــي عليها ولـــو قيمةً ضئيلة من الاصالـــة .

وفي سنـــة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الاخير من الحوليـــات ، كان قد صَحَّ عـــزم كائيتاني على مغادرة ايطاليا ، لاسباب مختلفـــة . وقد نَفَّـــذ عزمه ذاك ، ولكنْ بعد ان قرّر ان يَعْهَـــد بمؤلفاته ومـــوادّه الدراسية الاخرى الى (مؤســـسة كائيتاني) التـــي أُنشئت في الاكاديمية الايطالية (اكاديمية الفهـــود) وكان الغرض من ذلك رغبته في أن يهيىء للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمـــره لدراسة التاريخ العربـــي . وربما كان يأمل ــ املاً لم يتـــمّ ، مع الاسف ــ ان يقوم غيره باكمال عملـــه .

مـــع التسلسل التاريخي :

ونمضـــي نحو الهدف الذي رمينا اليه واعربنا عنـــه في ما تقدم ، من أن نستمر في دراستنـــا السريعة ، مُتَوَخّين قبل كل شيء تَتبُّـــع الاحداث التاريخية ، فنرى من المناسب أن نبـــدأ بإبراز الاعمال التي نجـــد فيها جميع قرون التاريخ العربي الثلاثة عشر ، او الاربعة عشر ، أو قسما كبيرا منهـــا موجزة في رؤية اجمالية . ومن هذه نستدلّ علـــى المنشورات الثقافية الجديرة بالاعتبار ، والتي تقوم الجدّية العلميـــة ، وثقافة المؤلفين الواسعة ، ضمانةً كافية لصلاحها واهليتهـــا .

أولُ محاولـــة لجمْع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيّقة ، قامت بها السيدة لاورا فيتشيا فالييري . ففـــي الفصل الذي عقدته على (العـــرب) والمنشور في كتاب (حضارات الشرق) ، وضعت خطوطا لرسمٍ سريعٍ وكامل لتاريخ ذلك الشعـــب ، واستطاعت أن تُجرِّد التاريخ مما لا حاجةَ اليـــه في مثل هذه الابحاث التاريخية . وكان اهـــمَّ من ذلك كثيرا اهتمامُ مستعربتنا هذه في كتابهـــا (الاسلام ، من محمـــد الى القرن السادس عشر) بأن لا تستعرض تاريخ العـــرب فحسب ، بل توجـــز خصائص الاسلام التاريخية ، والدينية ، والثقافية ، وكذلك الادبية والفنية . انهـــا لدراسة واسعة للعالَم الاسلامـــي ، دون استثناء لعناصره الفارسية ، والبربرية ، والتركية . وهذه الدراســـة تجـــد ختامها المنطقيّ في بدايـــة القرن السادس عشر ، فتلتقي زمنيًّـــا بِعُثْمَنَة العالم العربي المتوسّطي . وهذا ما لم تستطـــع ان تصل اليه (حوليات الاســـلام) ، كما اوجزنا في ما تَقَـــدّم .

امـــا فرانشيسكو غبرييلي ، الذي ستتوالى في هذه الدراســـة الاجمالية وفي غيرهـــا الاشاراتُ الى جهوده الجبارة في حقـــل الدراسات الاستعرابية ، والاسلاميـــة ، والفارسية ، فقد صادفَ بكلّ جـــدارةٍ نجاحا كبيرا بكتابه (العـــرب) ، الذي يستحقّ التقدير الكبير لحســـن توزيعه للمـــواد ، ووضوح عَرْضه حتى للأحداث العربية التي لا يتـــاح الوضوح في عرضها الا لقلّـــةٍ من المتفوقين ، وكذلك لبعض اللمحـــات

الشخصية التي لا يصل اليهـا بسهولة غير العالِم المتخصّص . ومزايـا هذا الرسم الجانبيّ الكامل للتاريـخ ، المرسوم في ضوء رؤيـة دؤوبـة ممحّصة نقادة ، من اقـدم العصور الى ايامنا هذه ، يؤكّدها ان هـذا الكتاب سرعان ما تُرْجِـمَ الى الانكليزية والفرنسية والالمانيـة . ولا يختلف عن هـذا الكتاب ، من حيث التقسيم التاريخي ، كتابٌ آخـر هو (العرب ، من العصر الجاهلي الى اليـوم) ، لأُومبرتو ريتستانو . فبعد استعراض وافٍ لا بـدّ منه للأحداث التاريخية العربيـة مـن الوثنية الى العصر الحديث ، نجـد احدثَ الظروف والشؤون العربية معروضة عرضا وافيـا ، ومنها ما لا يزال الى اليـوم يفرض نفسه على اهتمام العالم الغربـيّ ــ غير الواعي دائما ، مع الأسف ــ . واخيرا سنذكر في هـذا العرض السريع للملامح الشاملة لأحداث الشعـب العربي التاريخية ، ان لفظة (عـرب) والفقرات الخاصة بعِلْم الأعْراق ، وبتاريخ اسم (الجزيـرة العربية) في (دائرة معـارف تريكّاني) قد حرَّرَها جورجيو ليفـي ديلاّ فيدا ، وهي تحمـل الخصائص المتميزة للمعلومات السريعة الحسنة التبويب ، والتي لا تعرف التعميمات السهلة .

الجزيـرة العربيـة :

مـن السهل ان يُدرك المـرءُ ان الجزيرة العربية ، قبل ان يُجَدِّد الاسلامُ مجتمعاتِها القائمة على البنـاء البدويّ ، والخاملة الى حـد مـا ، والتي تُعْوِزنا معرفتها لندرة المعلومات والوثائق ، وتصعب معرفـة بعض مظاهرها الفريدة ، قد كُتِبَت فيهـا الابحاث والرسائل العلمية ذات الطابع التاريخي في اساسها . وهذا ما عُقِـدَ عليه الفصل الاول من (تاريخ الديـن الاسلامي) لميكيلانجيلو غويدي . واكثرُ من ذلـك الفصلان الأوّلان من كتابـه الذي نُشِر بعد وفاتـه بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم حتى وفاة محمـد) الذي جاء تمهيدا لا بـدّ منه لحديثٍ اشمل حول ثقافة العـرب . ولكن هذا الحديث لم يُكْمَل بسبب وفـاة المؤلف المبكرة . ومع ذلك لم يَخْلُ الكتاب المذكـور من عَرْضٍ كافٍ للبيئـة الاجتماعية التي تكوّنت فيها هذه الثقافـة في اقدم الازمنة . وكان غويدي

يعي هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وثنيتها لوحة امينة بقدر الإمكان ، استنادا الى المادة التاريخية الواسعة التي استطاع ان يَجْمَعَها خلال سنين عديدة ، ويُقيِّمها بحسّ تاريخي عجيب ، وبروح مجرّدة من كل شكل من أشكال النقد الاعتباطي الذي لا مبرّر له ، مع ان الكثير منها خرافي .

وهناك اعمال اخرى لباحثين قديرين اقتصرت تماماً على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنا الى ان نذكر في مقدمة هؤلاء الباحثين اغناطيوس غويدي ، الذي جَمَع تحت عنوان (الجزيرة العربية قبل الاسلام) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعي لالقاء دروس في الأدب الجغرافي والتاريخي واللغوي عند العرب . واذا لم يكن هنا المجالُ لتذكير المختصّين بمزايا هذا المستشرق العظيم ، وفضلِهِ في مختلف حقول الساميّات المتعددة ، فاننا نرى من فضول القول ان نؤكّد ما لهذه المحاضرات الاربع من قيمة رفيعة ، يستطيع ان يَلْمَسَها حتى الجاحدون ، حول مهد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهي تؤكد ما لاغناطيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل المادة الجافّة المتعلقة بظروف الثقافة العامة ، الى عمل علمي .

غير أن الباحث الذي انقطع في الماضي القريب ، وبشكل يكاد يكون مضرب المثل ، الى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نَلّلينو ، الذي جُمِعَت آثارُه العلميّة في هذا الحقل الخاص ، بعد نَشْرِها في مجلات عديدة ــ ولم يُنْشَرْ بعضها من قبل ــ في المجلد الثالث من مجموعة أعماله العلمية ؛ وقد نُشِرَت هذه المجموعة بعد وفاته في ستة مجلداتٍ بعنوان (مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيد الى أذهانهم اسمُ نَلّلينو كثيرا من الكتابات الفنية حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان (هـل كانت لمصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبـل عصر بطليموس ؟) وأكثر من ذلـك ابحاثه الاخرى الخاصة (بالعربيـة السعيدة) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتركيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها (اليمـن في العصر الجاهلي) ، ويكمله ايضا (اليمن في العهـد الاسلامي) ؛ وهما بحثان متميّزان وكبيرا القيمة ، كَتَبَهُما حول كلمة (اليمن) لدائرة معارف تريكّاني . وفي مقالات أخرى عديدة مدوّنة في الجـزء المشار اليه من (مجموعة كتابات) ــ ولم نذكرها هنا ، لانهـا سَبَقَت الاعوام الخمسين التـي تتناولها هذه الدراسة ــ نجـد اشاراتٍ متلاحقة الى (الجاهليـة) . ونحن نجـد للجاهلية تاريخا كاملا في (الجزيرة العربية قبل الاسـلام) .

ولكن هـذا الكتاب ، بحكم الاهداف التعليمية التـي وُضِع من اجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تَخَلَّص عَمْـدًا من التقنية الزائدة ، ولكنـه دون ريب بعيد جـدا عن الضعف او عـدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلّـم الشهير أبعدَ ما يكون عن الضعـف وعـدم الاتقـان .

وفي وثنيـة الجزيرة العربية نجـد كتاب (الجزيرة العربية قبـل الاسلام : التراث العربي) ، وقد وضعه ليفي ديلا ڤيدا باللغـة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهـد الاسلام ، يمضي في الحديـث على ذلك التراث العربـي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لِمَـا شَغَلَ بـه نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجـة ، والفحص الناقد للمصادر . هـذه الاعمال جاءت نتيجةً للبحث العلمـي الجادّ الصارم في تاريخ بَلَـدٍ كانت أرضُه الجنوبية ــ اليمن الاسطورية ــ قد أوحت ببعض الاعمال والابحـاث في العصر الحديث . ونقتصر ههنـا على ذكر (اليمن في التاريـخ والاسطورة) لكارلو أنسالدي ، وهو كتـاب يُعيـدُ تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعْوِزُها العـرض الصحيح أحيانا . وكما هـو معروف ، يمكن أن نعتبر الشعر العربـي في العهد الوثني ، بكثير من الثقـة ، تعبيرا أدبيا عن العرب في ذلك العهد ،

يُمثّل في الوقت نفسه واحـدا من اكثر المصادر مباشرة واصالة لمعرفـة المجتمع البدوي القديـم . ولذلك كثيرا ما اشار مستعربنا الاوثق والاكثر معرفة بالشعر العربـي القديم ، فرانشيسكو غبرييلي ، الى الوثنيـة العربية ، لضرورةِ وضع اطار لأقدَم تحول البُرْناس العربـي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثقافي .وكـان اطول من ذلك وادعى الى عمق التفكير انشغاله المتمهّل بالتراث التاريخي والاسطوري فـي ذلك العهد . واكثرُ مـا يكون غَرَضُ ذلك البحاثة تحديدا ، كان في وضـع البداوة العربية في صلـة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما فعل في ابحاثه التاليـة ـ : (المجتمع البدوي والشعر الجاهلي ـ القبليـة والدولة في الشعر العربي القديم ـ الادب البدوي الجاهلـي) وكلّهـا موضوعاتٌ عـادَ الى بحثها من جديد في دراسته للعهـد الاسلامي في كتابه الفرنسي (القبليّة العربية والدولـة الاسلامية في العصر الاموي) ، وفيه أجـاد غبرييلي اختيار مقاطع شعرية ، وترجَمَها الى الايطاليـة بمهارته المعروفة واناقـة صياغته . وكان ذلك مما سكتت عنه المصـادر التاريخية ، او اشارت اليـه اشاراتٍ غيرَ واضحة دائمـا .

• • •

العهـد الاسلامـي :

ويجـيء الآن الوقت الذي نُعْبُر فيه من شبـه الجزيرة العربية الوثنية الى ابنهـا الاعظم ، نبـيّ الاسلام ، الذي كانت سيرتُه موضوعا لأروعِ الابحاثِ التي قـام بها كائيتاني ، ثم اصبحت بعد ذلك ، في عـام ١٩١٧ ، مـادة لمناقشاتٍ وابحاث علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمـو مع الايام ، على اثـر اطروحةٍ علمية للدكتوراة حَوْلَ اقـدم الاحاديث المتعلقة بحياة محمـد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة فرجينيا ثاكّا دى بوسيس ـ التي اثارت ذلـك النقاش غير عامدة ، ولم يُلْبث اسمُها ان برز بين كبارِ المستعربين ـ بنشر كتابها (سفارات محمـد الى الملوك ، في رواية ابـن اسحٰق والواقدي) ؛ وفيه درست ، على اساس الاخبار التي اوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الاسلام في بداياتـه بالنجاشي ، وكسرى الثاني ، وهرقـل ، والمقوقس .

وبين أوائل الباحثين الذين عُنُوا بوجوب فصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت الينا من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو نَلّلينو . فَبَعْدَ أن كَتَب بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كَتَبَ كذلك بحثا حول اسم (محمد) لدائرة معارف تريكّاني ، قَسَّمه حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداثة ، العهد المكّي ، العهد المدني ؛ وبعض الاعتبارات القصيرة العامة التي كان البحاثة قد أطال الكتابة فيها في بحث له بعنوان (في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد) . ومن المفروض أن ميكيلانجيلو غويدي ، في الفترة نفسها ، كان معنيًّا بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمدّ منها فصل (النبيّ محمد) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والاخير من كتابه المذكور آنفا (تاريخ العرب وثقافتهم) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غويدي المسبق بأن ثمة تأثيرا اساسيا للروح العربية في الحضارة الاسلامية . وكان الكاتب يودّ أن يثبتها فيما بعد بأدلة يفترض انها ثابتة واصيلة ، لو قُدِّر له أن يبلغ بكتابه الى منتهاه .

أما الابحاث التي ضَمَّنها غبريلي كتابه (مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ — كما يوضح ذلك عنوان الكتاب — كانت ثلاثة من هذه الابحاث تدور حول نبي الاسلام ، فَتُقَدِّمُه أولاً الى القراء منصرفا الى حوافز تجربته الدينية ، ثم مُواطنًا أولَ في مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو البحاثةُ رسّاما ومفكرا بارعا في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئا جديدا حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص تُثَقِّف الجاهل دون أن تفرض عليه عناء الثقافة المتخصصة جدا . وبعد اعادة صياغة الابحاث المشار اليها حول شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالالمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة (تاريخ العالم) ، كَتَبَ غبريلي كتابا بعنوان (محمد والفتوح العربية الكبيرة) هو ، في الواقع ، كتابٌ قليل عليه ان يُنْعَتَ بأن قراءته ممتعة . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، الى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارةٍ قد لا يعرفونها الا على وجه التقريب . ونجد فيه ثلاثة فصول متكاملة حول نبي الاسلام ، تُقَدِّمُه أولاً في ضوء تقديس أتباعه له ، ثم يلي ذلك حالا تقديمُه في ضوء حكم المسيحية السلبي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستنير الجديد ، وأخيرا في الرؤية الرومنتيّة (كصاحب شريعة ، وملهَمٍ عظيم) و (كموقظ لقوى شعبه الهاجعة) . وكان المستعربون والباحثون في الاسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على قواعدَ أوثقَ وأثبت في اعطاء حكم تاريخي أكثر توثيقا ومصادر حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحائف التي كَتَبَهَا غبريلي والتي جاءت بَعْدَها ، وَرَدَتْ فيها ، ببراعة المعلم القدير ، احداثُ حياةِ محمد في مكّة والمدينة ، وبالتالي أوضحت بجلاء خُطى الاسلام الماضية قُدُمًا الى اقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . واذا كانت هذه الفصول تلتقي في الاصل التاريخي العامّ مع أعمالٍ علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فانها تختلف عنها اختلافا تاما من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالبا ما تتميز بالاصالة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية ان نختم هذا الحديث بأن نَذْكُر أن في الكتابات المتعلّقة بسيرة محمد ، والتي تتضمّنها كُتُب التاريخ العربي العامّ المشار اليها ، وكذلك في المؤلفات الرامية الى التعريف بالاسلام — ونذكر منها أبحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولاورا فيتشا فالييرى — اقتَصَرَ المؤلفون على البناء المألوف ، ولم يبتعدوا عنه الا ليُدخِلوا فيه أفكارا واستنتاجات ذات طابع شخصي .

• • •

بعد الانتصارات العسكرية المدويّة الأولى للاسلام ، والتي نُجِدُ منها في كتاب فرانشيسكو غبريلي المذكور صُوَرًا ملحميّة من المعارك الآسيوية والافريقية ، اندلعت في المجتمع العربي والاسلامي، الهشّ حينئذ ، نارُ الحرب الاهلية بمبايعة عليّ بالخلافة . فلقد اعترض عليها معاوية اعتراضا شديدا عنيدا ، الى حدّ المناداة بالحرب . وكان أول من درس المواد التاريخية التي يتضمّنها كتاب (انساب الاشراف) للبلاذري ، بِقَصْد المضيّ نحو اعادة بناء فكرة صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول الى السلطة ، هو جورجيو ليفي ديلا ڤيدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد أتيح له أن يصل الى معرفة ذلك النصّ وتقدير اهميته ، في اثناء معاونته في (حوليات الاسلام) . ونتج عن ذلك أن أصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة ما . وبعد قرابة عشرين سنة اخذ ذلك العالِمُ بالساميّات يهتمّ بالعودة الى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة أولغا بينتو ــ تلميذته ــ في القسم الذي خَصَّصه البلاذري للخليفة معاوية . ولكنه في الغالب كان يعتبرها مجموعة غير منظّمة أكثر منها اخبارا تاريخية ، أو مادة تتعلّق بالانساب ، شعرية أو جامعة . وبعد هذا الذي قدّمه جورجيو ليڤي ديلا ڤيدا ، وليوني كائيتاني ، وفرانشيسكو غبريلي، وميكيلانجيلو غويدي ، ظَهَرَ كتاب آخر في دراسة الاحداث التي رافقت هذا المنعطف التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، وقد عادت فيه الى فحص هذه القضية الصعبة على اساس مواد جديدة تاريخية ، واخرى تتعلق بالانشقاقات الدينية ، مستقاة من مصادر (اباضية) استطاعت بواسطتها القضاء على بعض التناقضات ، وأن تسدّ بعض الفجوات المتعلقة بالاحداث . ودعمت السيدة ڤاليري ذلك بكتابها (ترجمة خطوات تتعلق بالنزاع بين معاوية وعليّ ، وانشقاق الخوارج) ، لتجعل منه فهرسا لا بدّ منه لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقادة ، وتوثيق جاهد دؤوب . وقد استقت مادة كتابها هذا على الاغلب من (كتاب الجواهر) للبرّادي ؛ وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحدا من أوثق مؤرخي الشيعة الاباضية

في افريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القيّمين اكتسبت مُستعربتنا كفاءتها العالية في هذا الحقل ، بحيث ان العديد من (الكلمات) التي ورد شرحها في الطبعة الثانية من (دائرة معارف الاسلام) والمتعلقة بالفترة المشار اليها ، تحمل توقيعها ، واهمُّها اسم (عليّ ابن ابي طالب) .

أمّا كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره اقدم المراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأوّلين من ظهور الاسلام ؛ فقد شارك فرانشيسكو غبرييلي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع الذي لقيه — وكان قد عُهِدَ الى غبرييلي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ، ولكنَّ من المؤسف انه لم يُنْشَر بعد — ومشاركته هذه هي في كتابه (خلافة هشام) الذي اعاد فيه بناء فترة المُلْك الطويل الامد للابن الرابع لعبد الملك على اساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على اساس من هذه الدراسة الاولى بدأ غبرييلي سلسلةً مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية للعهد الأموي ، لم يلبث ان اغناها فيما بعد — الى جانب الفصول التي تَضَمَّنَتْها مؤلفاته العامة المتقدّم ذكرها حول تاريخ العرب — بابحاث موثَّقة جدًّا حول (الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر — وثورة بني المهلب في العراق ، والبلاذري الجديد — والبطل الاموي مسلمة ابن عبد الملك) . وفي هذه الكتابات — كما في ما سبقها حول الفترة العباسية ، ممّا سبقت الاشارة اليه — تُصبح الاعمال التاريخية ، والاعمال الضئيلة الاهمية ، معالم واضحة بما يضفيه عليها من تفكيره واستطراداته ذات الطابع الاجتماعي ، والبيئي ، والثقافي ، والتي تُمثِّل ، هنا وفي أي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج غبرييلي العلمي والتعريفي .

وفي اطار العصر الاموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه (العرب في الهند) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيّما في كتابه (فتوح البلدان) المشتمل على القليل من المعلومات التي وصلت الينا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السند ، وضع

غبرييلي كتابا حول محمد بن القاسم الثقفي ، الذي ضُمَّ الى الامبراطورية الأموية تلك الولاية الجديدة النائية ـ السّند ـ « حاملا معه الى الهند ديانة جديدة ، وثقافة جديدة » . في هذه المرة ايضا يضيف غبرييلي في الفهرس ترجمة لبعض الصفحات المأخوذة عن (الشاهنامة) ـ وهي رواية فارسية ، من القرنين السابع والثامن ، منظومة شعرا عن اصل عربي مفقود من تاريخ الفتح ـ . ولهذه الرواية الشعرية ، القليلة الاهمية التاريخية بالنسبة الى الاحداث المشار اليها ، نجد تقييما مفيدا في الجزء الاول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ، لا بدّ لنا هنا أيضا من أن نثبت بالتحديد ـ مثلما قدّمنا في العصر الجاهلي ـ أن هناك مشاركات أخرى لمعرفة البيئات التاريخية والاجتماعية في العصر الاموي ، نجدها في جميع كتابات مستعربنا هذا ؛ كَتَبَها حول الصوفيين ، والشعراء ، والناقدين في ذلك العصر ، من الحسن البصريّ الى ، جميل بن مُعْمَر ، الى ابن المقفع .

وأما عبد العزيز بن مروان ، الذي وُلِيَ على مصر عشرين سنة (٦٨٥ ـ ٧٠٤) للأمويين في دمشق ، حيث كان الخليفة أخوه عبد الملك ابن مروان ، فقد كتب حوله أومبرتو ريتستانو بحثا ، جاء استكمالا لدراستين كان قد كتبهما في شبابه حول الشاعر (أبو محجن نُصَيب ابن رباح) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي (عبد العزيز بن مروان) ، وكان يُكْثِر في شعره المدح والشكوى ، وقد تضمَّنت كتب الادب مقاطع من قصائده .

وعلى غرار لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، وبارشادها ، دَرَسَ مستعربون آخرون من المعهد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة من الشيعة الاباضية ، وما كان لها مع الشيعة الخارجية ، التي تحدَّرَت منها الاباضية ، من خلافات لا يستهان بها في التاريخ العربي . أما العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئة المنشقّة ، فنجدها موضَّحَة في مقالٍ لروبرتو رُوبيناتشي عنوانه (الخليفة عبد الملك بن مروان والاباضيون) . ويشتمل المقال على ترجمةٍ لرسالة من عبد الله

ابـن اباض الى الملـك الاموي ، نقلا عن المراسلات التي جرت بـين الرجلين ، والتي لم يُحْفَظ لنـا التاريخ سوى بعضهـا .

• • •

العصـر العباسـي :

وكمـا هو معروف ، لم يجـد العصر العباسي بُعْدُ بين المستعربين مؤرخا ذا استعداد لأجـل العكوف على اعادة بنـاء القرون الخمسة من تاريخه . ولكنّ اهـمّ اثر دُرِسَ فيه شيء من ذلك العهـد الطويل ، لا يزال الى اليـوم كتاب (الوزارات العباسية ، من سنة ٧٤٩ الـى ٩٣٦) الذي وضعـه الفرنسي د . سورديل . أمـا من المستعربين الايطاليين ، فقد وضع س . موسكاتي ، العالم بالساميّـات ، سلسلة ابحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهـذا الباحث اهتـم اهتماما جادّاً بنشاط علميّ يباعِدُ بينه وبـين الاستعراب ، رغم انـه عمل في حقوله فترة من الزمن بموهبة وغَيْرَة . وقد سَلَّط ضوءا جديدا علـى بعض اللحظات الاساسية من الأُسرة العباسية التي يُصْعُب بناؤهـا في الغالب ، بسبب الفجوات والاخطاء في الاخبـار التي يُمكن العثور عليهـا في المصادر . وأمـا نهاية الامويين الفاجعة فقد سَجَّل موسكاتي وقائعها في كتابه (مذبحة الامويين في التاريخ وفي المقتطفات الشعرية) . وأمـا بدايـة العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدةٍ ثمينـة مـن (عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الازدي) ، فقد خَصَّص لهـا ثلاثة ابحاث جَمَعَها تحت العنوانين التاليين : (دراسات حول ابي مسلم) و (ثورة عبد الجبار على الخليفة المنصور) . وكـان المنصور قد غاظه كثيرا مـا كان لمبعوثَيْه من نفوذ ، فقرَّر وضع حـدّ عنيف لحياتهما . ولكـن الاحداث اللاحقة لتلك الاسرة العباسية كانت أيضـا موضع اهتمام ذلك الباحث ، فقد أعـاد بناءها على أساس دراسة واعيـة للمصادر ، ونَشَرَها ، بمظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة ابحـاث : هي : (دراسات تاريخية حول خلافة المهـدي ــ ودراسات تاريخية جديـدة حول خلافة المهدي ــ وخلافة الهادي) وهي كلّها مراجع لا غنى عنهـا

للباحث الذي سيحاول كتابة تاريخ الخلافة العباسية . فاذا ما وُجِد هذا الباحث ، فسيجد موادّ نفيسة تساعده على القاء الضوء على العلوية والخارجية خلال الفترة الاولى من العصر العباسي ، في بحث عنوانه (شطحات فكرية حول ثورتين عَلَوِيَّتين) ، للسيدة لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، و (المراسلات بين المنصور ومحمد النفس الزكية) للكاتب ر . تراپني ، وفي (تبادل الرسائل بين هرون الرشيد وحمزة الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشيّا . وهذه دراسات استُخدِمَت فيها مصادر لم يَسْبُق فَحصُها .

بعد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافة العباسية الدموية ، كان يمكن اعتبار هذه الخلافة قد توطّدت اركانها . وكان من نصيب هُرون الرشيد فضلُ المضيّ على آثار الخلفاء الاربعة الأوّلين حتى تبلغ الخلافة اقصى زهوتها . وقد تضافرت الاساطير التي نُسِجَت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الزاهرة ، وبلاطه ذى الفخامة المذهلة ، مثلما تضافرت كذلك الانجازات غير العادية التي تمّت في عهده ، على تمجيده وتعظيمه .

ونحن فعلا نجد في كتاب (هُرون الرشيد ، تاريخ واسطورة) ، الى جانب الاحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسْبِغ على شخصيته بعد وفاته . وأمّا وُلداه ، فقد اهتمّ الباحث نفسه بايضاح النزاع الدمويّ الذي ثار بينهما لاجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : (وثائق تتعلّق بخلافة الامين ، في الطبري — وخلافة هُرون الرشيد ، والحرب بين الامين والمأمون — والمأمون والعلويون) . هذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد من أبحاث غبريلي الاخرى ، الادبية والدينية ، التي خَصَّصها للعصر العباسي . وهذا حقل كان قد بداه في بواكير دراساته العلمية ببحث عنوانه (حياة المتنبي) . ومن المؤسف ان دراسات الباحثين الايطاليين تتوقّف عند هذه الفترة من العصر العباسي ؛ وهي،في الواقع ، ازهى فتراته واقواها . واما الفترة التالية فليس في وسعنا ان نذكر حولها

اكثر من بحث واحد حول (الفتح بن خاقان ، الرجل المفضل لدى المتوكّل) ، وفيه توضح السيدة أولغا بينتو صورة ذلك الرجل ــ الذي يلقّبه بعض المؤرخين خطأً بلقب الوزير ــ في شخصيته المزدوجة : شاعرا ، ورجل سياسة . وكان الفتح رفيق الطفولة للمتوكّل ، ثم أصبح مستشاره ، وأحيانا مرشده وموجّهه . ونذكر ههنا كتابا آخر للسيدة أولغا بينتو عنوانه (المكتبات العربية في العصر العباسي) .

غير أن العصر العباسي ، كما يعلم المؤرخون والمستعربون ، يعيد الى الذهن العلاقات بين أوروبا المسيحية والعالم الاسلامي : فالصلات بين هُرون الرشيد وشارلمان ، نجد حولها اشارات كافية الى حدّ ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذين درسوا ــ لدوافع مختلفة ، وبنتائج مختلفة كذلك ــ النشاطات الدبلوماسية للملك الفرنجي . ومن بين آخر ما نعرف من تلك البحوث في ذلك الموضوع الشائق ، دراسة كتبها ج . موسكا ، وعنوانها (شارلمان وهُرون الرشيد) ، وفيها القى ضوءا على تلك الفترة التاريخية ، معتمدا على المصادر اللاتينية التي استمدّ منها اعتباراتٍ أصيلة حول الاسباب الدينية والسياسية التي دعت الغرب الى الاتصال بالعالم الاسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلك العلاقات ، قامت روابط أخرى بين حكومة بغداد واحدى الدوقيّات الايطالية ، أو بالاحرى بين المكتفي وبيرتا التوسكانيّة ــ كما يُسْهُل ان نعرف من رسالتين متبادلتين بالعربية : رسالة كتبتها تلك المرأة الطموح بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لاول مرة المؤرخ محمد حميد الله ــ وأوّل من اثارت تلك الاتصالات الرسائلية اهتمامه الشديد كان ليفي ديلا ڤيدا ــ ومعه في وقت واحد تقريبا س . ج . مور كذلك ــ . لقد قام ديلا ڤيدا بترجمة الرسالتين الى الايطالية ، وقدّم لهما باخبار وافية حول المصادر العربية التي استعان بها ، وعقب عليهما بأفكار شخصية ثاقبة ، حول الاسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربما كانت الاساس لتلك الاتصالات .

• • •

المغـــرب واوروبـــا :

بـــدأ فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه ثبت وتوطد في عهد بنـــي مروان ، وازداد ثباتا ومتانة في زمـــن العباسيين . وتلت ذلك سيادة الاســـلام التدريجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهيدا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن او اكثر قليلا ، لغزو صقلية ايضـــا . ولم يتـــم ادخال القوات العربية ــ البربرية الفتية الى المغـــرب المسيحي القوطي في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقـــع ، كانت مع ذلك تمهيـــدا للقاءات غنيّة غير قليلة ، نجـــد وقائعها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين أصبحا الآن من الاعمال الكلاسيكيـــة ؛ وهما ؛(تاريخ مسلمي اسبانيا) لدوزي ــ وقد اعـــاد ليڤي بروفنسال صياغته بشكل أساسي ــ وكذلك (تاريخ المسلمين في صِقِلّيَـــة) للمستعرب الايطالي ميكيلي أمارى . هذه الاحداث وَقَـــعَ معظمُها في القرون الوسطى الاوروبية ، ولذلك اثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفزهم اليهـــا تقييمات اثارتها أطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبهـــا هـ . بيرين ، بعنوان (محمـــد وشارلمان) . وفي هذه الاحداث كلّهـــا كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بأن نشير منهـــا الى البحوث التي كتبهـــا المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقـــدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقـــل .

وكمـــا فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحـــر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهًا لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العـــرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القيّـــم الذي يوضح فيه فرانشيسكو غبرييلي اهـــم الوقائع . وهنالك اخبار تاريخية مهمّـــة حول غارات المسلمين علـــى صِقِلّيَة وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاستروجوفانّي عـــام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربيـــة البيزنطية في تلك الاراضي فـــي القرن التاسع . هذه الاخبار نجدهـــا في (حياة التديس ايليا الشاب) ؛ وهـــو كتاب يوناني ، تَرْجَمَه وعَلّق عليه احـــد المهتمـــين بالدراسات

البيزنطية ، واسمه ج . روسي طايبّي . واما الهجوم على سيراكوزا والاستيلاء عليها ، عام ٨٧٨ ، فهنالك وثيقة نفيسة حولها هي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنا عالمٌ بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانييني .

واما الابحاث المتعلقة باسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بل هي في الواقع قليلة جدا . وهذا ايضا حقل دراسيّ طَرَقَه فرانشيسكو غبرييلي في كتابه (رسالة ابن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا) ؛ وهو يحتوي على ترجمة ، مع حواشٍ وملاحظات ، لنصٍّ كبيرِ الاهمية حول الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في اوائل القرن الثاني عشر . ثم تلي ذلك حالا كتابات أخرى له ، بعضُها محاضرات ذات مستوى اخباري رفيع ، من مثل (الازدهار السياسي والاجتماعي في اسبانيا المسلمة ــ والزراعة العربية في اسبانيا وصِقِلّيَة ــ وعرب صِقِلّيَة وعرب اسبانيا) ، وكذلك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان (مظاهر الحضارة العربية الاسلامية) التي نجد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنية والثقافية الاسلامية ايجابية في اسبانيا وصقلية . والى تاريخٍ اكثرَ حداثةً يرجع بحثٌ للباحث نفسه بعنوان (العرب في اسبانيا وايطاليا) ، اهتمَّ فيه بشكل خاص بدراسة التنظيمات العسكرية في العهد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءا من العالم الاسلامي . وهنا ايضا ، كما في المؤلفات والابحاث السابقة ، يتحرّك المؤلف من فحصٍ زمني للأوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والجزيرة الايطالية . والاحداث التي ادّت الى ضعف الخلافة الاموية في اسبانيا ثم انهيارها في القرن الحادي عشر ، وادّت كذلك الى انجازات مجاهد العامري ــ وهو واحد من ابرع رؤساء الطوائف ــ نجدها كذلك مصوَّرة في احدى الدراسات الموثّقة احسن توثيق ، كَتَبَتْها بالعربية المستعربة السيدة كليليا سارنيللي ــ وسنعود الى ذكر هذه السيدة فيما بعد ــ .

ويظهر ان كثيرا من المستعربين والمؤرخين الايطاليين الذين تخصصوا في دراسة مواقف معينة من العصور الاسلامية الوسطى في صقلية ، وفي ايطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اسم ميكيلي اماري وبحثه المتفوق في (تاريخ مسلمي صقلية) . وهو من اهم كتب التاريخ الايطالية في القرن التاسع عشر ، وقد استحق بجدارة أن يعاد طبعه مرة ثانية ، بعناية فائقة من كارلو الفونسو نَلّلينو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . واما فرانشيسكو غبرييلي فانه ، بعد البحث الاول الذي كان قد كَتَبَه سنة ١٩٣٨ بعنوان (التراث الروماني في ايطاليا الجنوبية والغزوات الاسلامية) ، عاد في فترات متقطعة الى (صِقِلّيَة العربية) — وهذا هو فعلا عنوان احد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقدّم ذكرها ، حول اسبانيا المسلمة ، وكلّها ممتع ، يتميّز بعمق التفكير ووضوح العرض — . واما في ما يتعلّق باحتلال الاغالبة لصقلية ، وما نتج عنه من انعكاسات على الصعيد الثقافي والفني ، فنجد دراسة ممتعة في كتاب (المسلمون في صقلية) الذي ألّفه باللغة العربية المرحوم مارتينو ماريو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاها في الجامعة اللبنانية في بيروت .

ونجد اومبرتو ريتستانو معنيًّا بالحقل نفسه منذ نحو عقد ونصف العقد ، تَحْفِزُه الى ذلك على الأخص رغبةٌ في الحفاظ ، في صِقِلّيَة خاصةً ، على نوع من الدراسة كان قد أعطاه الحياةَ والقيمةَ العلميةَ المؤرخُ الصقلّيّ ميكيلي اماري ، الذي سبق ذِكْره مرارا ، اكثرَ مما تَحْفِزُه الثقة في مقدرته على المساهمة في تحسين آثار اماري الرائعة . ذلك لان النصوص غير القليلة التي خرجت الى النور بعد ذلك ، لم تُزَوِّد المستعربين بموادَّ تَسْمَحُ باجراء تعديلات اساسية على تلك التي كان قد جمعها اماري في (المكتبة العربية الصقلية) . ومن دراسة النصوص التي لم يَطّلع عليها اماري ، ومعظمُها مختارات ، والتي لم تختلف عن تلك التي نُشِرت في (الذكرى المئوية لوفاة ميكيلي اماري) ، استطاع ريتستانو أن يلفت الى نفسه الانتباه ببحث له

عنوانه (مصادر عربيـــة جديدة لتاريخ المسلمين في صقلية) . واهـــمّ ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص (سيرة جوذر) لابي علي منصور العُزيزي ؛ وهي وثيقـــة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض امـــراء الكلبيين في صقلية ، وصلات جزيرتنا مع الضفة الافريقية المقابلة ، في نحـــو منتصف القرن العاشر . وقد خُتِمَ بحثُه بترجمةٍ بضع صفحات مـــن (السيرة) المذكورة . ومن بعد ذلك ظهرت لهـــا ترجمة فرنسية كاملة ،قام بها م . كانار . وبعد أن كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، تـــلا ذلك بنشر بعض تلك النصوص ، وفيها اخبـــار تاريخية لا وجود لهـــا في اي مصدر آخر . ومن هذه نذكر ههنـــا (كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري . وهـــو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعضـــه حتى الآن ، والذي نشره ريتستانو منه حتى الآن هو القسم المتعلق بالبَرّ الايطالي وصقليـــة (١) . غير أن هـــذه المصادر المكتشفة ـــ كما قدّمنا سابقا ـــ كانت اهميتهـــا في أنها قدمت لنـــا مقاطع من الشعر ، وبعض السير وأعمال المؤلفـــين ، اكثر مما قدمت لنـــا اخبارا ذات صلة « بتاريخ » المسلمين في صقليـــة . الا ان تلك المعلومات تُكمِل معرفتَنـــا بالثقافة العربية التي نَمَت وتطوّرت في الجزيرة منذ عهـــد الفتح ، واستمرارها في العهـــد النورمندي ، ثـــم في العهد السوابي Svevi . وقـــد استفاد الباحث نفسه من هذه المـــواد في كتابه (الثقافة العربية في صقلية) ، الذي صدر منـــه الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف انـــه لم يكمل بعد بالجزاين الثانـــي والثالث اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحـــن نذكر هذا الكتاب ههنا لان في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حـــول الازمة الفاطمية في المغرب وصقلّية في القـــرن العاشر .

في أعمـــال فرانشيسكو غبرييلي ، ومارتينو ماريو مورينو ، وأومبرتو ريتستانو المتقدم ذكرها ـــ وكلّهـــا تستلهم آثـــار ميكيلي اماري ـــ يعيش المـــرء من جديد مع لحظات بارزة من احداث امتدت ـــ من الوجهـــة

---

(١) الكتـــاب كاملا حققه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ، سنة ١٩٧٥ (ع . ن .) .

التاريخية الصرف ــ مــدة اقل من قرنين ونصف القرن ، غير ان آثارها ، في جوانب اخرى ، استمرّت في صقلّية الى عهــد فريدريك الثاني ، وفــي ايطاليا الجنوبية كانت نهايتهــا الحاسمة على يدي الملــك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربيــة في لوشيرا ، واضطرّ العناصر الاسلامية الباقيــة في صقلّية الى الهجرة . والوثيقــة العربية الوحيدة التي وصلت الينــا حول هذه الحادثة هي (تسجيل العر بــ لريكّاردو دي لوشيرا) وقــد نشرها ليفي ديلا ڤيدا بعد ان قــام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليهــا .

واما صقلية النورمندية والسوابية في صلاتها بالعالم الاسلامــي في افريقيا وآسيا ، وكذلك انماط حياتها المتعدّدة وفكرها العربي الــذي استمر في ذلك العهــد ، فنجد صورة لهــا في سلسلة من الابحــاث التاريخيــة والثقافية التي كتبهــا فرانشيسكو غبرييلي ، وأومبرتــو ريتستانو : الاول منهما نذكر لــه (سفارات بيبرس ومانفريدي) ، ويليه حالا لاومبرتو ريتستانو مقالان باللغــة العربية بعنوان (النورمنديون والعرب في صقلّية) ، وهمــا يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في افريقية ، وعلاقات غوليلم الثاني وصــلاح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الايطالية الى هذيــن الباحثين بالاشراف على نشر أعمال ميكيلي اماري وأوراقه . وكانت هذه المهمــة تقتضيهما واجب العناية بالطبعة الثانية من (الدراسات القديمة) و (المكتبة العربية الصقلّية) نصوصــًا وترجمات . واما النورمنديون الذين وطّــأ لهم الاميرال جورجيــو الانطاكي السيطرة على افريقية مــدة عشر سنوات ، وكذلك الموحّدون ، وهــم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينــات المسيحية في افريقيا ، فنَجِــدُ حولهم أخبارا موثّقة في (تاريخ طرابلس وليبيــا) لإيتّوري روسّي ؛ وسنعود الى ذكره في ما بعــد . وحول الاسرة الملكية المذكورة ، ولا سيمــا اخبارها التي وصلت الينــا من المؤرخ الدمشقي ابــن القلانسي ، كتب فرانشيسكو غبرييلي (اصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي) . وتعود بنــا الذكريات الى

الاحداث التاريخية في صقلية في عهد الكلبيّين ، والعهد النورمندي خاصة في كتاب (باليرمو حسب الجغرافيين والرحالين العرب في القرون الوسطى) للسيدة أدالجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحث رسالة قَدَّمَتْها لنَيْل شهادة الدكتوراة الى كلية الآداب في جامعة باليرمو ، حيث يقترن تعليم اللغة العربية في وقت واحد بالدراسات العربية الصقلّية .

وبعد وقفتنا القصيرة هذه عند صقلّية ، نلتفت الآن الى شبه جزيرتنا ، فنتذكر أن الغزوات العربية المتعددة للبَرّ الايطالي ، قد تحدَّث حولها أومبرتو ريتستانو في بحثه (العرب في ايطاليا) . وقد خَصَّص القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح صقلّية . وكذلك فرانشيسكو غبرييلي في أكثر من بحث واحد ، ولا سيما في مثل دراستيه (العرب في كالابريا) و (مدينة باري العربية) ؛ وكذلك في بحثين آخرين أكثر جدية وأوسع إحاطة من حيث الزمن والرقعة ، وهما : (سالنتو والشرق العربي) و (العرب في أوروبا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا) ؛ وهذا الاخير فصل من كتاب للمؤلف عنوانه (محمد والفتوح العربية الكبيرة) .

وحول وجود العرب المشار اليه آنفا في الاراضي الايطالية الوسطى والجنوبية ، وأعمالهم الحربية المتواصلة ، الى حدّ ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، اضيفت الى جهود المستعربين جهود أخرى قيّمة ، في الغالب ، من بعض المعنيين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي أن نحدد ان جهود هؤلاء قد عُنيت باعادة بناء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقها من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هذه الأعمال أقرب الى الصحّة في ما يتعلّق بالفئة الاولى ، لان المصادر اللاتينية ، رغم ما فيها من نقص وعدم دقة من حيث صحة الوقائع ، كانت أقل توزُّعا وتشتّتاً من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجد في الغالب أثرا لاعمال العرب في البَرّ الايطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية — ويندر أن نجد

في المصادر العربية ما يطابقها أو يكملها ــ استطاع ج . موسكا ، العالم بتاريخ العصور الوسطى ، أن يعيد بناء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولة اسلامية مستقلة ، وإن يكن قد أعطانا تقييمات غير تلك التي ألفْناها . وقد استطاع أن يصوِّر فيما بعد غروب تلك الدولة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضح أن وجود العرب في صقلّية وفي ايطاليا ، وعلى الاخص في سالنتو ، قد أشار اليه مؤرخون من أمثال ل . سبلفاتوريللي ، و م . سكيبا ، و ج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتيري ، و ن . تشيلينتي ، و ج . بيتروني ، وغيرهم ممّن نجد ذكرا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوبا براي مدروس حول قيمتها في ما يتعلّق بمدينة باري .

ان الغزوات العربية لشواطىء البحر التيريني الايطالية تُدْخِل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إمّا من افريقية ، وإمّا من جُزُر الباليار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهمكتين دائما في صدّ هذه الغزوات . ولقد قامت منذ نحو قرن من الزمان محاولةٌ لاعادة بناء وقائع هذه الغزوات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذي قام بذلك هو ب . مارتيني ، الذي « أعمَتْه الغيرة الوطنية ــ كما يقول اماري ــ فلم يفطن الى ما يحوم من شكوك حول أصالة الوثائق التي استند اليها في بحثه » . وبعد أكثر من مئة سنة من ظهور ذلك البحث الذي لا قيمة له ، قامت السيدة كليليا سارنيللي باعطاء صورة وافية لتلك الفترة التي كانت فيها سردينيا تحت تهديد مباشر من أسطول مجاهد العامري الجبّار . وقد فعلت ذلك في فصلٍ رائع التبويب من الدراسة المذكورة آنفا ، والتي ظلّت ، مع الاسف ، بعيدة عن متناول علماء العصور الوسطى . وقد قُدِّمت هذه الدراسة الى كلية الآداب في جامعة القاهرة لنيل شهادة الماجستير ، ثم قامت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفا . وفي موضوع سردينيا عينه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر أيضا بحث للسيدة لاورا ثيتشا ڤاليري ،

استاذة كليليا سارنيللي ، كأنما كـــان الدافع اليه دعـــم تلميذتها في مجال بحثها عينه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا (العربيـــة) في بحث بالفرنسية عنوانه (آثـــار عربية في سردينيا) ، يرى فيه المؤلـــف جوفانّي أومان انـــه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلـــك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتيجـــة حَفْريّات منظمة فـــي مناطق معينة . اما المـــواد القليلة التي يضمّها متحف كالياري فليســـت كافية لأي اثبـــات .

• • •

الحـــروب الصليبيـــة :

وعهـــد الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيـــه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والآسيوية ، حيث كانت جذور الاســـلام متأصلة اكثر من سواهـــا ؛ لقد تعدّدت بحوث علمـــاء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكـــر من أحدثها : (تاريخ الحروب الصليبية) للمؤلف ف . كونياسّو . وامـــا المستعرب الاول والاخير حتـــى الآن الذى التفت الى المصـــادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعـــين الخصم حينذاك ونفسيته ، فهو ايضا فرانشيسكو غبرييلي ؛ فقـــد اكتشف مجموعة من المختارات البارعة لاشهر مُدَوِّني الاحداث العـــرب ، ممن نَقَلوا الينـــا اخبارًا وانطباعات ، اغلبُها ذو اهميّة تاريخية كبرى ؛ وقـــام بترجمتها الى اللغـــة الايطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة المكتشفة وُلِدَ كتاب (مؤرخو الحروب الصليبية العرب) ، الذي يستحق عليه غبرييلي اعظم الثناء لدقّتـــه اللغوية ، وفخامة عبارته النثرية . وبهذا الكتاب فَعَل المؤلـــف ما كان قد فعله قبل عـــدة اعوام حينما نَشَر كتابه (فرسان القديس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العـــرب) ، اذ اتاح للزملاء من غـــير المستعربين فرصة الوصول الى اكثر المصـــادر اصالةً في (الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية) ـــ وكان هـــذا عينه موضوع مقال لاحقٍ لـــه ـــ وإن لم يكن السرد متتابعا في الدراسة ، فلقد كان غريبا في الاغلب على المؤرخين ومدونـــي الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الادنى عينها ، حيث كـان يتأجّج العداءُ بين المسيحيين والمسلمـين ، يُدْخُل بحثُ (العالَم الاسلامي في زمـن فريدريك الثاني) ، وهو بحث كتبه ليفي ديلا ڤيدا ، مركّزا فيـه بشكل خاص على لمحـة سريعة من سلسلة الاتصالات والعلاقات بـين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا افضل أوقاتهـم فعلا مع ذلك الامبراطور السوابـي .

• • •

عهـد الركـود :

والعهـد الذي يأتي مباشرة بعد سقوط خلافة بغداد عـام ١٢٥٨ ، يسجّل بداية ركود بطيء، ولكنه مستمر، في العالم العربـي . ويزداد الركود ــ او الانحطاط ــ تأكدا منذ بدايـة القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحـر المتوسط الشرقي والاوسط . منذ ذلـك النصف من القرن الثالث عشر كان المماليك اهـمّ صُنّاع التاريخ الاسلامي واستمرار العروبة مـدّةَ قرنين ونصف القرن . وظلّت مصر مُرْكَـز الاسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهـد الفاطميّ والعهد الايوبـيّ الذي جـاء بعده . والجهد الايطالي الوحيد لمعرفـة البروتوكول الجافّ والمعقـد الذي كان سائدا في ادارة الحكم المملوكي ، هـو بحثٌ بعنوان (مرسوم تعيين الى نيابـة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان المملوكي خُشْقَدَم ، ١٤٦١ ــ ١٤٦٧) ، وفيـه نَشَرَتْ المستعربةُ الشابة ريتـا روزي دي ميليو الوثيقة العربيـة ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحـي . واكثرَ من ذلك كانت الابحاثُ المتعلقـة بعلاقات سلاطين المماليـك مع بعض المـدن البحرية الايطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هـذه العلاقات ، قبل ان تقـوم في شرقيّ البحر المتوسط اكبر دولـة معادية لهـم ، هي الدولة التركية ، قد نَمَّت علاقاتِ تبادلٍ تجاري واسع مـع من سبقهم في السيادة على ذلك البحـر . واما العلاقات مع البندقية ــ وقد عَرَض لهـا غبرييلي بنظرة شمولية في مقال لـه بعنوان (البندقية والمماليك) ــ فان الكشف الذي قامت بـه ماريا نَلّلينو على (مذكرات مارين سانودو) سيكون عونـا ثمينا لمعرفتها . واهمية هذه المذكـرات

هي في كونها وثائـــق تعكس العلاقات وغيرَها ممّا سَبقها . وقد كشفت ذلك ماريا نَلّلينو في بحثها (مصر منذ وفـــاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ ــ ١٥٠٥ ــ في مذكرات مارين سانودو) . وكانـــت للدوقيّات مصالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بـــدأ في افريقية حكـــم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث ا . ساتشردوتي حديثا واسعا في بحث لـــه عنوانه (البندقية ومملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية ــ ١٢٣١ ــ ١٥٣٤) . وسنعود فيما بعد الى ذكـــر اسم هذا الباحث من جديـــد .

ان الاشـــارة الى العثمانيين باعتبارهم قـــوة جديدة في البحر المتوسط تقودنا الى ذكـــر كتاب (فخر الدين الثاني ، امير لبنـــان ، والبلاط التوسكاني ، ١٦٠٥ ــ ١٦٣٥) ، وهـــو جزآن نفيسان قَـــدّم فيهما ب . باولو صورة موثّقة اوسع توثيق لجميـــع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطَلَهـــا ذلك الاميرُ الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة أخرى بـــلاط الغراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو أن حكّام البندقية والاتراك معـــًا يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانيين على السيادة في الشرق ، مثلما كـــان يثير الاتراك ان يجـــد ذلك الاميرُ المغامر في صِلاته ببلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . وامـــا مصر العثمانية فيعيدنا اليها مقال بعنوان (تاريخ علـــي بك المصري ، ١٧٦٣ ــ ١٧٧٣ ــ في مخطوط للمؤلـــف ج . م . ديجون) يوضح فيه إيتّوري روسّي ، استنادا الى مصـــدر نفيس غير منشور ، حياةَ ذلك الرجـــل المغامر ومنجزاته الثورويّة ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مـــدى عشر سنوات ، محـــاولا فصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستفيدا في مطامحه تلك مـــن الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيـــا .

• • •

في البحـــر المتوسط :

جـــاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأخر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحـــد مع تأليف الحكومات البربرية فـــي المغرب . وقد اهتـــم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه أبحاثا واسعة . واحدى الوثائق التي لا شـــك في اهميتها ، والتي يمكن ان تُطلِعَنا على أعمـــال القرصنة المريعة التي جَرَت في أوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائـــر وتونس ، قدَّمـــه الى دوق البندقيّة ج . ب . سلفاغو — وكان هذا كاثوليكـــيّ المذهب ، تركيّ التبعية ، وكان قد أُرسِل في مهمّـــةٍ خاصة الى تينـــك المدينتـــين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتـــمّ بنشر تلك الوثيقة ا . ساتشردوتي في كتاب لـــه عنوانه (افريقية ، أو بلاد البربر) يُعْتَبر جهدا نفيســـا يساعد على معرفة تلك الفتـــرة التاريخية الحاسمة التي تقـــلّ فيهـــا الاخبار . امـــا الاعادة الكاملة لبنـــاء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحـــر يعجّ بالرعب القاتل الذي زرعه القراصنـــة ، والمتاجرون بالعبيد ، فقد عني بهـــا س . بونو ، مؤلف كتاب (القراصنة والبربر) . في هذا الكتـــاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجـــد دراسة دقيقة لتلك الاحداث التي تُعْتَبَر بين اشرس الاحداث في تاريـــخ الانسانيـــــة .

والـــى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصـــر الحديث ، سرعان ما تنبَّـــهَ الاهتمامُ التاريخي لدى المستشرق إيتّوري روسّي ؛ وكان هذا من كبـــار المعنيّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك اكثر من سواه على أن يُعْنَى باللقاء الذي تـــمّ بين عالَمَيْن مختلفين في ذلك البحـــر ، ليقوم بدراسة بعض أحداثه استنادا الـــى وثائق مزدوجة . ومن ابرز الادلـــة على ذلك مؤلفاتُه النفيسة التاليـــة : (حكـــم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ — ٥١) و (صلات جمعيـــة الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقـــة ، ١٥٥١ — ٩٨) و (المراسلات بين كبـــار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطـــة وبايات

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨) و (والصلات بين كبـــار معلمي جمعية مالطة وبايات تونس ، مـــن ١٦٤٢ الى ١٧٥٦) ــ الكتابان الاولان منهما أسبق من سواهما ، وهمـــا من أوسع مؤلفات روسّي حول طرابلس الغرب وأراضيه ، التي سنشير اليها فيما بعـــد .

في السجلات الحكومية في المـــدن الايطالية التي كانت لهـــا ، لاسباب مختلفة ولا سيما الاسباب التجارية ، صِلاتٌ مع بعض البلـــدان العربية في المشرق أو في المغرب ، وقد نجـــد وثيقة هنا وأخرى هناك ، تُلقي ضوءًا على تلك الصلات . ومن ذلك مجموعة من الرسائل نشرتهـــا ماريـّـا نَلّينو بأصلها العربي وترجَمَتِها الايطالية ، وَقَدّمت لهـــا بمقدمة تاريخية ، وعلّقت عليهـــا تعليقاتٍ وملاحظاتٍ واسعةً في بحث لهـــا عنوانه (وثائق عربية حول العلاقات بين جنوا ومراكش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) . ويبـــدو أن هناك كثيرا من الوثائق المأخـــوذة عن السجلات بِلُغاتٍ مختلفة ، غير اللغـــة العربية ، استفاد منهـــا بعض الباحثين الايطاليين ، ممن لم يكونوا دائما من المستعربين ، في أعمالهـــم الرامية الى معرفة العلاقات بين الحكومات الايطالية قبل الوحـــدة ، والدول البربرية في الجزائـــر وتونس وطرابلس الغرب . وفي هـــذا الصدد ، ودون الاقتصار على تونس وحدهـــا ، كما أشرنا سابقـــا ، قـــدم لنا س . بونو مقارنات واسعة في بحثه (مصادر ووثائق ايطاليـــة في تاريخ تونس) . والاهتمام المتجدد الذي نَـــوَدّ أن نشير اليه ههنا ، والذي تثيره تلك العلاقات التي ترجع الى عهود متأخرة عن تلك التـــي درسناها آنفا ، بـــدأ بمقال للسيده لاورا ڤيتشا ڤاليري ــ اذا لم تَخُنّـــا الذاكرة ــ عنوانه (وثائق ڤاتيكانية تتعلّق بالجزائر ــ ١٨٢٥ ــ ١٨٣٠) تَلتهُ بعد مـــدة قصيرة دراسة حول العلاقات بين (الكرسيّ الرسولـــيّ والبربر ، ١٨١٤ ــ ١٨١٩) . وقد اضيف اليـــه بعد بضع سنوات بحث بعنوان (علاقات غ اندوقيّة توسكانا مع دولـــة تونس ، ١٨١٨ ــ ١٨٢٣) ، كتبـــه أ . ريجّيو ، وكذلك (سردينيا ودول البربر ، مـــن ١٧٩٤ الى ١٨١٥) للمؤلف اي . بوسّي ، ثـــم (علاقات اسبانيا وسردينيا مع دول البلدان البربرية ــ ١٧٧٨ ــ ١٧٨٣) لـــه ايضا .

وعلى الرغم من انـــه ليس من قصدنا ان نمضي في تدوين جهـــود الباحثين الايطاليين الرامية الى معرفة تلك العلاقات مـــع دول البربر ، فانه يبدو واجبًا علينـــا ان نَذْكُر ان كثيرا من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاموا بأبحاث في هذا الحقـــل ، مستندين في الغالب الى اكتشافات واسعة لوثائـــق مستَمَدَّة من السجلّات . ومن هـــؤلاء الباحثين نذكر : ج . كابونين — و ج . ڤيدوڤاتو — و ر . تشيسّي — و ا . غالّيكو ؛ كما نذكر ، بالنسبة الى ايطاليا الجنوبية وصقلّية فـــي نطاق السياسة في عالـــم البحر المتوسط : ج . لامانتيا — و ج . مونتي — و تشي تراسّيلّي — و ف . جونتا . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنـــا من قصد غير الاشارة الى الاتجاهـــات ، وكذلك المواقع المتعلّقة بجـــزء من كتابة التاريخ الايطالية خلال الاعـــوام الخمسين الأُخيرة بالنسبـــة الى تاريخ البحـــر المتوسط .

• • •

/ القـــرن التاسع عشر :

بالقـــرن التاسع عشر — وهو نقطة الوصول ، بالنسبة الـــى هذه المراجعة السريعة-تنتهـــي فترة الركود ، او الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبـــدأ بعد ذلك فترة التحرّر التدريجي مـــن السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤوليةً مباشِرَة عـــن استنزاف المقدرة على التطوّر لـــدى شعوب الشرق الادنى ، والمغـــرب ، نتيجة للمناخ الاداري التركـــيّ المرهق الذي استمرّ اكثر من ثلاثة قرون . وفي هـــذه اليقظة يساهِمُ الغرب بوجوده في مصر في نهايـــة القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت أمـــام العرب مثاليات تختلف كلّ الاختلاف عمّا عرفـــوه في الماضي القريب الجديب ، وتدفعهم الى الاخذ بأسباب الوعي القومي ، تمهيدا لقيام الحركات الثائرة ابتـــداء من الحرب العالمية الاولى . وكـــان بعض البلدان العربية ، منـــذ بداية القرن التاسع عشر ، قد اتّجَـــه الى الخروج من الحكـــم العثماني الذي استمر أكثر من ثلاثة قـــرون ، ليصل الى استرداد بعض ملامحـــه القومية الاصيلة . ولذلك نرى من

الانسب والانفع من جميع الوجـــوه ختام القسم الاخير من هذه المراجعة ، مكتفين بذكر جهـــود الايطاليين العلمية في بعض الحقول الفرديـــة .

مـــن السهل الحدس أن الفرنسيين قد ساهموا مساهمة جليلـــة في كتابه تاريخ البلدان المغربيـــة المختلفة،منذ عهد الفتح العربـــي حتى الاحداث السياسية المعقدة التي انتهت هنالـــك بالاستعمار الفرنســـي للجزائـــر وتونس ، والاستعمار الفرنسي والاسباني للمغرب . وامـــا جهود الباحثين الايطاليين فيما يتعلّق بتاريخ المغـــرب ، وعلى الاخص في الوضع الاداريّ في تلـــك المناطق الثلاث (الفرنسية ، والاسبانيـــة ، والدولية) فنذكر منهـــا ، للأهمية ، كتاب (تقسيم مراكش ــ احداثهـــا السياسية والدبلوماسية) للباحث س . نافـــا ــ ولو أن هذا الكتاب ينتمي بشكل خاص الـــى القرن العشرين ، وليس من اختصاص هـــذه الدراسة ــ وامـــا في التاريخ الحديث ، أو على الاصح في فترة تاريخيّة محددة منه ، فنذكر (اسبانيا والمغرب ، ١٨٤٤ ــ ١٩١٢) للباحث أ . فيستا ؛ وكذلك كتاب (وجها المغرب) للمؤرخ م . جامبيرو ، وهـــو اكثر تحديدا . وحول الجزائر ــ والذي لدينا عنها قليل ــ نذكر (الحرب الجزائرية التونسية عـــام ١٨٠٧ ، في مذكرات دبلوماسي هولنـــدي) . وهناك كتاب آخـــر شامل هو (تاريخ الجزائر للمؤرخ ر . راينيرو ، الذي أولى اهتمامه أيضا للحركة الوطنية الجزائرية . وامـــا التزامات فرنسا في شمالي افريقيا فقد خصص لهـــا ف . دي لويجي كتابا . وامـــا الاستعمار الفرنسي لافريقيا الشمالية ، والتدخّلات ذات الطابـــع الدبلوماسي ، التي سبقتها ورافقتها وتلتهـــا مؤسسات سياسية واجتماعية ودينيـــة في كل البلدان الاربعة (الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا) ، والتغيّرات التي جرت على اثـــر اتصالها بالغرب ، فاننا نجـــد لها كلّها تصويرا وافيا في كتابين قيّمين للمؤرخ اي . دي ليوني . وقـــد استفاد المؤلف الى حـــد كبير ــ فيما يتعلق بمراكش خاصة ــ ومن وثائـــق جديدة عُثِر عليها في السجلات الحكومية في جنـــوا ، وليفورنو ، ونابولي ، وتورينو . وهـــذا الباحث عينه كان من قبل قد وضع كتابـــا حـــول

(سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية) ، ومقالا حول (مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر) . واكثرُ عددا مما تقدم كانت كتاباتُ الباحثين الايطاليين حول تونس .وكان بعضهم مدفوعا بعامل « المدافعة » عن ازمنة أخرى ، فلم يكن من الممكن تقييم اعمالهم هذه تقييما مجردا . وكان بعضهم الآخر يتميّز بالاتزان المرموق ، لتَجَرُّدهم عن التعصّب « للقضيّة الايطالية » التي طُرِحَت خلال الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقيّ ان يكون القُطْرُ المغربي الذي ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرّخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتح العربي (٦٤٢) الى الاحتلال الايطالي (١٩١١) ترك لنا ايتّوري روسّي عملا رائعا لاعادة بناء هذا التاريخ . وقد أكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ، ولم يُنْشَر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط (١) . وهو أوفى كتاب وادقّه في هذا الموضوع — وهو في القسم الحديث منه يقوم بديلا عن كتاب (طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠) للكاهن الفرنسيسكاني الاب كوستانتسو دابيرنيا ، ويضيف اليه تحسينات قيمة — وقد استند في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة نقديّة واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلّات غير منشورة . فجاء كل فصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وافيا مُشْبَعًا ، وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يُعْنَ بالتعميمات ، بل اعتَمَدَ دائما اعتمادا دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتّوري روسّي معلّمًا لهم — كما عَرَفَه كاتبُ هذه المراجعة — يشهدون شهادة امينة بعدائه لكلّ شكل من اشكال الحلول الوُسطى بين البحث العلمي الجادّ والهواية الارتجالية .

---

(١) قام الاديب الليبي خليفة التليسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في بيروت ، سنة ١٩٧٤ (ع . ن .) .

ان الاشارة الى المصـــادر العربية التي استُمِدَّ منها الباحث المذكور مـــوادّه الاولية لتاريخ ليبيـــا هذا ، ولعدد آخر من الابحاث ، يحدونا الى ان نذكر ــ حتى قبل هـــذه الابحاث ــ ترجمته الدقيقة لكتـــاب (تاريخ الوقائع العربية الليبيـــة ، لابن غلبون) وما عَلَّقه عليه مـــن هوامش وملاحظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصـــادر العربية الاخرى لتاريخ ليبيـــا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٣٢ ، بـــل باشتماله ايضا على اخبـــار لا توجد في سواه ، حول الحياة الفكريـــة المحلّيّة ، ابتـــداءً من الحكم العثماني . ونرى من لغـــو القول تأكيد أهمية الخدمة التي قدمهـــا روسّي للباحثين من غير المستعربين في تاريـــخ ليبيـــا ؛ فقد كانت ترجمته للكتاب المذكور من اهـــم المراجع في تاريخ ليبيـــا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليبيـــا ، وهي تؤلف حقلا خاصا في انتاجه الضخم النفيس ، نشير كذلك الى كتاب لـــه حول (فَزّان وواحة غات) ، والى صورة سريعة مـــن (تاريخ ليبيا مـــن الفتح العربي الـــى سنة ١٩١١) حيث تعطينا لمحـــة موجزة ، حسنة الشرح ، حول ذلك التاريـــخ .

هنالـــك صَفٌّ كثيف من الباحثين الايطاليين الذين قرنوا اسماءهم بمشاركات في الموضوع عينـــه . ومن بين هؤلاء يجدر بنـــا أن نذكر كذلك ر . ميكاكّي ، الذي كَتَـــبَ بحثًا تاريخيًّا حول (طرابلس وليبيـــا قبل الاحتلال الايطالي) وكتاباً بعنوان (ليبيـــا تحت حكم آل قَرَمَنْلي) . وآل قرمنلي هـــم اسرة اهتم بها كذلك مِنْ بَعْدِه الاب كوستانتسو بيرنيـــا ، الذى تَقَدَّم ذكره . ولاجل وضع الكتاب المذكـــور ، استعان ميكاكّي ــ وكان موظفا كبيرا في الادارة الاستيطانيّة حينئـــذ ــ بموادّ وفيرة غير منشورة ، كانت متوافرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلّق بليبيـــا تحت حكـــم الاسرة القرمنلية (١٧١١ ــ ١٨٣٥) وقد جـــاد بوضعها تحت تصرفه بـ . توسكي ، وكان قد وضع لهـــا كشفا غنيًّا بعنوان (المصـــادر غير المنشورة في تاريخ ليبيـــا) . وهناك اشارات اخرى الى الوثائـــق المحفوظة في السجلات الرسمية قَدَّمَها بعدئذ س . بونـــو . وهنالك

عـــدد كبير آخر كبير من المؤلفـــات حول تاريخ ليبيـــا نترك ذكرها للمقدّمة التي وضعها روسّـــي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولمـــا الحقه من اضافات ببليوغرافيّـــة بمختلف الفصول . واما ما لـــه صلةٌ مباشرة بالسنوسيّة ــ وكانت هـــذه قد دَخَلتْ منذ منتصف القرن الماضي دخـــولا بارزا في الاحداث التاريخية في بُرْقَـــة وطرابلس ــ فنتركها الى الاشارات البيليوغرافية التي تضمّنَتْها كتاباتُ كارلـــو نَلّينو ، والبيتّـــي حول هذه الجماعـــة الدينيـــة .

• • •

اسرة محمـــد علي :

وناتـــي الآن الى محمـــد علي ، راس الاسرة التي حكمت مصر الى عـــام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان،بإجماع الآراء،معيدَ مجـــد مصر بعد سقوطها في اوائـــل القرن الماضي في حالـــة من الفوضى ، كانت الحملـــة النابوليونية قد خفّفتْ من حِدّتها آنيّـــا فقط . لقد كانت جهود الباحثين الايطاليين حوله كبيرة ، غـــير أن القليل منها ذو قيمة حقيقية جديـــرة بالتقدير . ومن بينها جميعـــا تتميز اعمال أ . سَمّارْكو ، الذي عُهِـــد اليه الملـــك فؤاد الاول بتكملة الوثائق الدبلوماسية الايطالية المتعلّقـــة بمُلْـــك محمد علي ، ودراستها ونشرها . وكـــان اي . غريفّيني قـــد بـــدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهـــو مستشرق متخصّص بالدراسات التركية ، كان قد استُدعِيَ الـــى القاهرة ليتولّى ادارة مكتبـــة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النفيسة غير المنشورة وُلِـــدَ القسمُ الأهمّ والأكثرُ اصالة من انتـــاج سَمّارْكو التاريخيّ المتعلق بمصر الحديثة ، ومن ابرزها : (رحلة محمـــد علي الى السودان ، من اكتوبر ١٨٣٨ الـــى ١٥ مارس ١٨٣٩)؛وكتاب (مملكة محمـــد علي في الوثائق الدبلوماسية الايطالية غير المنشورة) باجزائه الأحد عشر . لاجـــل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قـــام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الآلاف المحفوظة في السجلات الحكوميـــة في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبندقية ، وفيينّـــا ، مدقّقًا ومقارِنًا بينها ، ومستخلصا منها حقائـــق

وتقييمات تاريخية جديدة كـل الجدَّة بالنسبة الى تلك التي كانت تتميَّـز بهـا الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق الصالحـة .

ومـن المؤسف أن اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووفـاة الباحث بعدئذ ، كانا السبب في عـدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجـزاء التي كانت متوقَّعة لهذا الكتاب ، عـدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سَمَّارْكو كذلك مؤلِّفًـا للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي (موجـز تاريخ مصر) حول مُلْـك عباس ، وسعيد ، واسماعيل ؛ وكذلك المجلـد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبـدأ من أوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك (مُلْـك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الـى ١٨٧٥) باللغـة الفرنسية . وهذه كلّها اعمال انضجتها الدراسة الجاهدة للوثائـق المنشورة وغير المنشورة ، المتعلقة بالقرن التاسـع عشر مـن التاريخ المصري .

وفي هـذا القرن نُجِدُ تمهيدات لِحوارٍ مع اوروبـا ، كان قد بـدأ من قَبْلُ في زمن محمّـد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير مـن الاهتمام ، مما ساهم في وضـع مصر على راس البلدان العربية ، في الحقل السياسيّ ، والسياسيّ الثقافيّ ، وبمحمد علي يُخْتَمُ كتابُ (تأسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الايطاليـة في نهضتها السياسية والمدنيـة — فجر النهضة المصرية — ١٧٦٠ — ١٨٤٠) ؛ وهو رؤيـة شاملة ورائعة قدّمها ا . فيرتسي . وكذلك كتاب (القضيّة المصرية من سنـة ١٧٩٨ الى ١٨٤١) تأليف تشي . جيليو ، المعروف بأبحاثه الاخرى فـي التاريخ والسياسة المتعلّقين بالاستيطان ، او الاستعمار . ومن هـذه الفترة عينها انطلق باولـو منغانتي في كتابه (مصر الحديثة)، الـذي يمكن اعتباره واحـدا من اكمل الابحاث واحدثها في الاحداث التـي جرت في منطقة الدلتـا من القرن التاسع عشر الى ثـورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زَمَنِيًّـا نقطة الانطلاق في الكتاب الآخر (مصر من احداث ١٨٨٢ الى ايامنـا هذه) بِجُزْأيهِ ، للباحث ب . البيتي ؛ وقد عني فـي

هذين الجزأين عناية جادة بتحديد وجه مصر خلال الاعوام الثمانين الاخيرة من تاريخها . وانطلاقا من مقدرة المؤلف الفريدة ، وتحليلاته الدقيقة ؛ وبحثه الجادّ ، استطاع — وهو موظف كبير في وزارة الخارجية الايطالية — أن يكمل كتابه في عدة سنين ، كما يبدو من مقالاته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول أزمنة معيّنة من تاريخ مصر الحديثة .

ويمكننا أن نذكر بين المصادر التاريخية ذات الاهمية القليلة أو الكثيرة ، اضافةً الى كتيّب للباحث أو . توسكي ، اعمالا ايطالية عديدة تساهم في معرفة تاريخ مصر بين قرنين . وقد أغفلنا الاشارة اليها لان مؤلفات منغانتي قد اشارت الى اهمّها في ثنايا الفصول .

قناة السويس :

وقناة السويس ، التي ولدت في القرن التاسع عشر باهتمام دُوَليّ ومصالح مشتركة ، وبمباركة الجميع ، ولم تلبث أن أصبحت مثار جدل محتدم على اثر تأميم عبد الناصر لها في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كُثُرَتْ حولها الابحاث والدراسات والمقالات ، ليس فقط مِن قِبَل المؤلفين الذين سَبَق ذكرهم ، بل من قِبَل كثيرين آخرين وقفوا العديد من المقالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميع الظروف التاريخية الماضية والحديثة التي كان فيها ذلك الممرّ المائي ذا دور حاسم من حيث النقل العسكري ، كانت تبدو مناسبات تُفْرِض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكما أن الحرب الايطاليّة الحبشية، عام ١٩٣٥، أوحت الى سَمّارْكو بأن يكتب مقاله (الحقيقة حول قناة السويس) ، وعنوانه يرينا نيّةً سابقة مبرمَجة لدى المؤرخ لالقاء الضوء على قضايا ذات اهمية رئيسية ، كذلك أوحت اليه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابه (السويس — تاريخ ومشكلة) . ولكنه في هذه المرة أراد أن يوضح لنا بعض الوجوه بشكل أوسع ،

واستنادا الى وثائق مصرية واوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان (قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية) للباحث ب . البيتّي ؛ وكتاب (السويس) وفيه أعادَ اي . انكيري طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكمله بأحدث المعلومات . والببليوغرافية الغنية التي يتضمّنها هذا الكتاب تُغنينا عن اية اشارة اخرى .

السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظلّ كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصري ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تَقَرَّر منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبي نهر النيل ، ولم يكن اقلّ من قناة السويس اثارة للنزاع والفوضى بين حُكْمين متخالفين . وقد اضطر الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأُعْلِنَ الاستقلال رسميًّا في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سَمَّارْكو ، ومِنفانتي ، والبيتّي ، في مؤلفاتهم المذكورة آنفا ، فصولا لهذه القضية ، فأوضحوا ببراعة فائقة الوجوه البارزة المختلفة ، واصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيري ، و أو . توسكي بتحليل احداث الامس واليوم في مصر : الاول فعل ذلك بكتابه (تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ — ١٩٣٨) والثاني في صورة سريعة للقضية اجملها في كتيّب يؤلف مع كتابه السابق حول مصر لوحة عضوية ذات وجهين . واوسع من ذلك كتابٌ وَضَعَهُ ا . ميلّليني بونشه دي ليون ، عنوانه (تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه — السودان الانجلو مصري) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جدًّا ، وبالتالي بين اوفاها واشملها ، ولكنه يخلو من اية اشارة الى الوضع الذي انتهى اليه البلد حالا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتدم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

ختـــام :

بهـذه الاشارة الى اهـم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهايـة القرن التاسع عشر ، التي اوضَحتْها ايضـا ايضاحا كافيا الفصولُ الاخيرة من الابحـاث التاريخية العامة والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهـمّ الجهود الايطالية في حقـل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة . وقـد لا يكون الحصاد وافرا في بعض الحقول ، ولكنه وافـر فعلا في حقول اخرى . وقـد جمعناه مما عُنيَ بتأليفه المستعربون ؛ وهـم ذوو فضل في انهم كثيرا ما هيأوا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشَرةً الـى المعلومات ، أو بالأُحرى قَدَّموا لهـم المَثَلَ في التخصُّص المِهْنـي ، والانقطاع الى دراسة عالَـمٍ ظَلَّت البحوثُ الخاصةُ بمسيرته التاريخية زمنـا طويلا تُعْتَبَر هامشيّةً بالنسبة الى تاريـخ الانسانية الأكبر ، ولكنه اليوم ــ اخيرًا ــ لم يَعُـدْ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصـة .

رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي [1]

مراجعة : الدكتور محمد رضوان الداية
(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

— ١ —

بعد اضطراب أحوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كَثُرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء الذين قصدوا الى المشرق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو اندلسي من قلعة يَحْصُب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحِّدين ، ثم انضم الى ابن هود في مدة سطوته على قسم من الاندلس (٦٢١ — ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها أديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا من المصنَّفات ، طُبِع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد اطرف ابن سعيد (الاندلسي) أهل المشرق بِطُرَف من اخبار بلاده ، وبتراجم ادبائها ورجالها ، واشاع بينهم الوانا من اشعارهم وموشحاتهم وأزجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحقّ رسولا من رسل الثقافة الاندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى الطُرَف الاندلسية والمغربية .

ومن اشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » ، و « الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

[1] تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْقِص والمُطْرِب » المطبوع باسم : « عنوان المرقصات والمطربات » . وفي كتبه ايضا : « رايات المبرّزين وغايات الميزين » الذي نعرض اليوم له ، ولتحقيقه .

وكتاب الرايات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف اساسا على كتابه الآخر : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية :(غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقها) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغرب؛وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا: (المغرب الاقصى ــ المغرب الاوسط ــ المغرب الادنى « افريقية ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صِقِلِّيَة .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات **والمطربات** » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة "الرايات" (ص ٣١) : هذا مجموع أوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه ارق من النسيم ، ولفظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرنّ على نداه ريحان القلوب ، وتتعلّق الاسماع بمعاده تَعَلُّق عين المحبّ بطلعة المحبوب ... وحقّ له ذلك إذْ تُمُصُّ الفاظه مفصّلةً على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيه ؛ **واشترطتُ** مع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسْبَقوا الى معناه ، او استحقّوه بزيادة او حسن عبارة ، اَبْرَزْتُه بعد تجويده في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم،يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

أمـا مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلـو من تصحيف وتحريف هنـا وهناك ، غير أن خطها نسخي جميل مجـوَّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هـي الطبعة الاولى ، فقد سبق أن حققه المستشرق الاسباني البحّاثة القدير غارثيّا غومس، في مدريـد، سنة ١٩٤٢ ، ثـم نهض بعبء نشره ثانية الدكتور النعمان القاضـي فـي القاهـرة .

وقَـدَّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبيًّا (نحـو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهارسه وملاحقـه . وهي مقدّمة يُسْتَغْنَى عن كثير مما فيها، كما سأُبَـيِّن .

والامـر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا أن يُعَرِّف المحقـق بمؤلـف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وأن يتحدث عـن مضمون الكتاب ومنهجـه ، ومصادر المؤلـف ومراجعه ؛ ولـه إنْ شاء أن يُقَوِّمه ويضعه في مكانـه من الكتب المماثلة ، إن وُجِدَت ، ومـا أشبه ذلك ...

ولكـن المحقّق زَحَمَ المقدمة وطَوَّلَها بموضوعات من نافل القول ، واضطر ــ وقد جَـرَّ الكلامُ بعضَه بعضا ــ الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا أندلسية مـا زالت مدار بحث ، لم يَقْطَع فيهـا المتخصصون أنفسهم ، ووقع في أخطـاء تاريخية وأدبية كثـيرة !

وتـدور مقدمةُ المحقّق حول ثلاثـة أمـور :

١ ــ الحديث عن وحدة الفكـر العربي على مـرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالمشرق . وقـد اضطرب المحقّق في هذه العلاقـة وتحديدهـا .

٢ ــ الدفـاع عن الحضارة الاندلسية ، والاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجـده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذي ظهر في الغرب !!

٣ ــ الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيّا غومس) .

ولم يوفّر حماسته البالغة حين وصف المحقّقَ السابقَ (١) لنص رايات المبرزين بالعُجمة (عجمة المحقّق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هفو من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنُعدّ لك منها أشياء .

ــ ٢ ــ

من احكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرّره جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه **كلّها** من آثار المشرق . (صفحة ٨).ومعلوم أن في العقد نُبَذًا اندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِقِلّيَة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر أوروبة !! (صفحة ٦)،وقوله ان ابن شُهَيد تأثر أبا العلاء المعري (صفحة ٩)؛وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمّق في الخيالات دون المساس بالجوهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزْمان (صفحة ٩) علما بأنه كان زجّال الاندلس ، أما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... وأوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

---

(١) يظهر لي أن المحقق الدكتور القاضي لم يطّلع على كتاب (الشعر الاندلسي ــ بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطَبَعَه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد أساسا في هذا الكتاب على نصوص" رايات المبرّزين ".

وأنفـق قسما من المقدمة للحديث في نشأة الموشّحات ، ونصر رأيْ الدكتـور شوقي ضيف الذي تَبنّاه من القـول بالاصل المَشْرقيّ للموشّحات ، علما بأن كتـاب "الرايات" لا يذكر الموشّحات ولا يمرّ بها — عـدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! — .

وفي الجملـة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالمحقق ان يقتصد فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبَتّ فيهـا ، أو في قضايا هي بحاجة الـى بحث موسّع لتتبين معالمهـا ..

— ٣ —

ونظـرا لكثرة الملاحظات التي سَجّلْتُها على حواشي نسخَتي من الكتاب ، سأقتصر على نُبَـذ منها في أبواب متفرّقة من الحديـث ؛ وسأكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القسـم الاول) فغايتي هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقّـق ، ومراجعة بعض القضايا . . .

واول ما ابدأ بـه امرٌ هامّ يتعلّق بأصول تحقيق النصوص ، وهـو الاخذ بالنص والتقيّد بـه ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيـدة لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة او مرجح واضح ، ويُنَبَّـه الى ذلك في مواضعه ، كما يُنَبَّـه الى ذلك في خطـة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حالـه، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقـد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرُج عن روايته الى رواية مصادر اخرى دون سبب أو داعٍ الى ذلـك .

أ — في الصفحة ٤١ ، قـال ابن زهر الإشبيلي :

وموسّدِينَ على الأكُفّ خُدودَهم قد غالَهُم ضوءُ الصباح وغالني

وهـذه رواية "النفح" و"الوفيات" ؛ أما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسّدِينَ على الخُدودِ أكُفَّهـم قد غالهم ضوءُ الصباح وغالني

ومـــن العجب مخالفة النص في هـــذا المجـــال .

ب ــ في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بـــن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المسافـــر" :

ابِعَيْنِـــكَ الشَّـرْاءِ عـــينٌ ثَرَّةٌ منها تَرَقْرَقَ دمعُـــك المسفوحُ

شَـتَرَتْ فَقلنا زورقٌ في لجَّـــةٍ مالـــت باحدى جانبيه الريـــحُ

وروايـــة المخطوطـــة :

" مالَـــت فقلنا زورق .." الـــخ . فخالف النصَّ الى سواه ، وكان حقُّـــه ان يرجع الى "زاد المسافر" صفحة ٩٣ حيـــث روى صفـــوان الابيـــات لنفســـه !

جـ ــ في الصفحة ٤٦ من شعر ابـــي الصلت امية بن عبد العزيز :

قـــال حسودي وقـــد رآهُ يُخِـــبّ تحتي الى القتـــال

والبيـــت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قـــال حسودي وقـــد رآه يَجنـــبُ خلفي الـــى القتال

فبدَّلـــه مُفضّلا رواية "النفح" على رواية النص الاصلي و"الخريدة" معًا !

د ــ في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابـــي الصلت :

لا غرو ان سبقت **يداك** مدائحي وتدفَّقَـــتْ جدواك مـــلءَ إنائها

ورواية النص : لا غـــرو ان سبقت **علاك** مدائحي ...

هـ ــ في الصفحة ٤٧ : وتـــال في فرس اصفر . وفي الاصـــل المخطوط : في فرس اكحـــل !

و ــ في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايُلَ القَصَب بمـــرّ الهواء على مجلس الشراب حتى لثـــم رؤوسهم ، وقـــال للساقي :

اَسْهِمْـــهُ مِنْ اكوابنا ولـــو أنَّـــه سكرانُ يَطفَحُ ، حَقَّ ما لَثَمَ الرؤوسْ

وروايـــة المخطوطـــة :

" أَلْثِمْهُ مِن اكوابنا .." الخ . فبدّلها المحقق ، وضيّعه ان الناسخ أوردها (أَبِلَثْمِهِ) فلم يهتدِ الى تصحيفه ، وبدّل الكلمة برواية المغرب .

ز — في الصفحة ٧٧ :

واذا نظرتَ الى محاسن وجهه ابصرتُ وجهك في ثُناه غريقا

أوردها (ثناه) اجتهادا . وترك رواية الاصل وهي (أبصرت وجهك في سناه غريقا) . والابيات مشهورة جدا لابن عبد ربه وتتردد في تراجمه .

. . .

ويَلْحَق بهذه الفقرة خطأُ المحقق في قراءة بعض الكلمات . وكثيرا ما تجده يلتمس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنه قرأ النص على وجهه لاستقام له واتّضح . في الصفحة ٣١ قال ان الكلمة في المخطوطة (إذن) وحوّلها الى (آذن) . وهي في الاصل مهملة من الهمز ! وفي الصفحة ٣٨ قرأ (زِدْتك) و (زاد) وحوّلها الى : زُرْتك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكنه خفي على المحقق قاعدة كتابة الخطّ النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قرأ العبارة (قلتُ به) وصوّبها الى (قلتُ إليه) وهي كذلك في الاصل . وفي الصفحة ٤٧ قرأ العبارة (وقرَّ به) واثبتها : فَفَرَّ به ، وهي كذلك في الاصل .. الخ .

وممّا اخطأ في قراءته واثبتَه على خطئه قوله، صفحة ٤٦: "وانشد صاحب الخريدة لأُمَيَّة بن عبد العزيز في (مجمرة طبيب)" هكذا ، وصوابها في مجمرة (طِيْب) ، وهي كذلك في المخطوطة !

— ٤ —

وفي ضبط بعض البلدان وهم أو خطأ . في الصفحة ٣٨ (رُنْدَه) بفتح الراء ، والصواب (رُنْدَه) بالضم . وفي صفحة ٥١ : وقد قعدنا بالغروس على نهر اشبيلية . والصواب : قعدنا بالعُروس (بالعين

المهلة) على نهـــر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٩٢) و (العَروس) من متنزّهات اشبيليـــة .

وفي صفحـــة ٥٢ وردت (مدينة مُنّيش) مشدّدة النون ، ثـم اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنِيش) . وفي المُغرب (مُنِيش) بنون مخفّفة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس واوروبة (قطعة من المسالك والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنْتِيشـــة Mantesa بتـــاء زائدة . وكان يُحْسُن ان يوحّد رسم الكلمة ويراجعها على المظـــانّ الجغرافيـــة الاندلسيـــة .

وفي الصفحة ٦١ قـــال "هي مدينة (يابْره) بباء ساكنة ، وصوابهـــا (يابُره) ببـــاء مضمومة .

وضبـــط مدينة شنتِرين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بأنه بلـــد بالاندلس !! والصواب انـــه كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبـــط (صَقلّية) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وفـــي : ١٢٧ ضبط (مُكناسة) بضم الميم والصواب كسر الميـــم ...

وتحدث في المقدّمة وفي الحواشي عن جزر (البليـــار) والعرب كانت تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابســـة .

ووَقَـــعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام أو التعريف بهـــم ، مما هو ظاهر أو معروف . فهـــو ضبط (الخَشْني) بسكون الشين ، والصواب فتح الشين : صفحـــة (٤٠) .

وضبـــط غياث (صفحة ٥٣) غَيّاث على وزن شَدّاد !

وضبـــط ابن دُحْية (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دِحْية) بكســـر الـــدال .

وقـــال في نسب ابن حزم إنـــه (ابو محمد علي بن ابي عُمْرو بن حزم) والصواب (ابن ابي عُمَـــر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عَرَّف بابي بكر محمد ، وهـــو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو ابو بكر بن زُهـــر الاصغر ، وهو ابن عم الاكبر ... » . فاخطأ في تعيين أبناء زُهر الثلاثة . والصواب أن المترجَـــم في الصفحة ٤٣ واحـــد من اسرة بني زُهر ، امـــا الآخران فاحدهما ابـــن زُهر الحفيد ابـــو بكر محمد بن عبد الملـــك (ت٥٩٥) والثاني جَدُّه ابـــو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقـــل ابن سعيد خبرا عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعلَّق المحقق في الحاشية (٤) : « هـــو غير الاعلم البطليوسي صاحب التآليف المشهورة : .. الـــخ » . وهذا وهـــم . وهو يريد : الاعلم البطليوسي غير الاعلـــم الشنتمري (ت ٤٧٦) صاحب التآليف المشهورة .. (هـــذا في الصفحة ٤٨) .

وعَرَّف باحـــد الأُدباء الصقلّيين فقال : (ابـــو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشر ، الكاتب الصقلّي) ، والصواب انـــه الشاعر الكاتب ، ولـــه ديوان طُبع مرّتين !!

واستغرب المحقـــق (صفحة ٢٣) أن يُنْسبَ المؤلِّف ابنَ رشيق الى المسيلة (المحمديـــة) !! وليس في هذا عجب لانه مولود بهـــا ، وإن اشتَهَر بابـــن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجـــد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بمـــا يخالف الصواب ، أو بما لا يتَّفق مع المعنـــى . وقد يكون شيء من هذا من اخطـــاء الطباعة .

مـــن ذلك ورود كلمة (ذخر) بالذال ، اخت الدال ، مرّتـــين (صفحة ٢٦) وهو يريـــد (زخر) بالزاي ، اخت الراء .

وضبـــط (الكَلّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكِلّة) بالكسر ، لمعنى السِّتر الرقيـــق ...

وفي الصفحـــة (٧٢) قال احـــد شعراء "الرايات" :

امسى الفَراشُ يطوف حول كؤوسنا اذ خالُهـــا تحت الدجي قِنديـــــلا

مـــا زال يَخفقُ حولَها بجناحـــــه حتى رَمَتْـــه على الفِراش قتيـــلا !

ضبـــط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفـــاء . وزاد انّ ضَبَط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصـــواب بالكسر ، لمقتضـــى المعنـــى .

وضبَـــطَ المحقّق (صفحة ٨١) كلمـــة (كناس) بضم الكاف ، والصواب الكسر لانـــه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الظبي .

وضبط كلمة (كبـــد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح الباء ، يريد معنى المشقّة ، والبيت مـــن قطعة في وصف فوّارة :

يـــا حسن فوارة للأفق راجمـــة بالشُّهْب تنزو نُزُوَّ الواثب اللَّعِـــبِ

ينساب عنها حباب المـــاء مندفقاً الى البحيرة مثل الأيم من رُعُـــبِ

كأنما مارَ تحت الارض في (كَبَدٍ) : فحين ابصر وُسْعَا جَدَّ في الهَرَبِ ..

وفي (الصفحة ٤٢) "كافورتي" ضَبطها بكسر التـــاء والصواب فتحها كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قـــول الشاعر :

وبيضـــاءَ تَحْسَبُهـــا دُرَّةً تذوب اذا ذُكِرَت او تكـــادْ

تُنَمْنِـــمُ بالمِســـكِ كافورَتِـــيْ مُحَيّا حوى الحسنَ طُرًّا وزادْ ..

ولـم يُعْـنَ المحقّق بايضاحات اشارات المؤلف التي يقتضـي التحقيق ايضاحها أو يُحْسُن ؛ وهـي اشارات هامة بالقياس الى تبيـان منهج المؤلف وموقفه النقـدي .

في الصفحة ٥٩ قـال الشاعر :

انهض ابـا طالب الينـا واسقُطْ سقوط الندى علينا

وكـان حقّه أن يشير الى بيت عمر بن ابي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلـة لا نـاهٍ ولا آمِـرُ

وفي صفحة ٥٩ نفسهـا :

يـا ايها المَلِـكُ الذي آباؤه شُمُّ الانوف من الطراز الأوّلِ

وكـان حقه أن يضع الشطر الثاني بـين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابـن زيدون :

تِـه، أَحْتَمِلْ ، واستَطِلْ، أَصْبِرْ ، وعِـزَّ أَهُـنْ
و وَلِّ، أُقبِلْ ، وقُـلْ أَسْمَعْ ، و مُـرْ أُطِـعِ

وقـال المؤلف ابن سعيد أنـه احسن من بيت المتنبي . ولـم ينبّه اليه المحقـق . وقُلْ مثل هذا في اشارة المؤلـف الى متابعة ابـن شُهَيد لأبيات امرىء القيس ، ولم يشر المحقق اليهـا .

وفي الصفحة ٧٤ قـال الشاعر :

فانَّ قرين السوء يُعدي، وشاهدي (كما شُرِقَتْ صدرُ القناة من الدمِ)

وكـان يَحْسُن أن يشير الى أنـه شاهد نحْوي في قصيد للأعشى .

- ٧ -

امـــا الشروح التي اضافها المحقق فكانت احيانا سريعة لا تُغْني ، وكان احيانا يَسْكت عـــن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكُرُ منـــه مثلا تعليقه على قـــول الشاعر :

خلان قد كَفَر الكافور ذاك وقـــد عَقَّ العقيقُ احمرارا ذا وما ظلما !

وقـــال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انـــه اخذ من الكافور فعلا ، ومـــن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلمـــا .

وفي الصفحة ٨٣ مـــرَّ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة . واورد ابيات ابن القوطية واولهـــا :

إشْرَب على السُّوسن الغض الذي نَغَما
وباكِـــرِ الآسَ والورد الـــذي بَخمـــا

والصواب الذي نجمـــا ، وهذا ظاهر . ولم يشرح "نَغَـــم" وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعـــة !

- ٨ -

— ومـــا يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قولـــه (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابـــي يحيى أبي بكر بن هشام القرطبي فـــي الحاشية (٥) : كانت لـــه كنيتان !! — واضاف أيضـــا — : على عادة اهـــل الاندلس ! فهذا خطأ مركّب ؟ فلم يكن من عـــادة اهـــل الاندلس أن يتّخذوا كُنْيَتين الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فـــي المشرق (للحرب والسلم .. الـــخ) . ومن جهة اخرى فالمترجم اسمه ابو بكر وكنيته أبـــو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقـــق !

— ومـــن ذلك قوله ان ابـــا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل)؛ وكرر هذا في الاصـــل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمـــل) ، وهو كتابُ نحـــو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهـــو للزجاجي .

— ومـــن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتضد العَبّادي غـــزا قرطبة واخذها . والصواب انها وقعت في يـــد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

— ومـــن ذلك قوله صفحة ٧٣ في ترجمة ابـــن عبدوس : « وهـــو الذي وَجَّـــه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهـــذا خطأ صوابه : « وهو الذي وَجَّهَ **اليـــه** ... »

— ومـــن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علـــي بن يوسف ابـــن تاشفين انـــه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « امـــير المسلمين » ...

وغـــير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

— ٩ —

ومـــن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نَقَـــل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقـــق نسخة وحيدة، تَعيَّنَ عليـــه أن يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقـــع فيها شيء من السهو ، والوهـــم ؟

ويُعْجَب القارىء حين يتنبّه الى أن المحقـــق اغفل العودة الى عـــدد من الاصول التي اعتمد عليها ابـــن سعيد ، والاصول التـــي ذَكَرَها ، او لم يذكرها ، واكتفى بذكـــر بعض تلك المصادر التي لـــم يرجع اليها المحقـــق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتـــاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بـــن ادريس، وكتاب (العقـــد) لابن عبد ربـــه ، ودواوين ابـــن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقـــاق ، والرصافي البلنسي ، وابـــن عمّار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيـــد ، و (المعجـــب) للمراكشي و (يتيمة الثعالبي) وغيرها كثير .

وهـــذا الاغفال أثَّر على قضية توثيق النصوص في الكتـــاب . وقُـــلْ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لـــم يُسْتَقْصِ مـــا

بين يديـــه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلـــف نفسه ... وكاد أن يلتصق بكتابه (المُغْـــرب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومـــن ههنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، أو كانت نقلا من عبارات المؤلـــف نفسه أو من سبقه الى التأليف في (المغرب) مما لا يزيد قضية التوثيق توكيدا وتوضيحـــا .

— ١٠ —

ولا تشعر أن المحقـــق (عايشٌ) المؤلف في مقصده ومنهجه، ولا خالطه بالعودة الى مؤلفاتـــه ، ولا هو رَصَدَ مواقفه الادبية والنقدية . ومـــن أوضح الامثلة على ذلك أن المؤلـــف اعتذر الى موسى بن يغمور (المُهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال لـــه :

« ... والمملـــوك — يعني نفسه — ينهي للمولى أن هذا المجموع إنْ نَقَصَ في عينِ مَن عَمِيَت بصيرته لصغر جرمه ، فجوابه قول اشعَـــرِ مَن مَلَـــك طريقَ التخيُّل ، وتوصَّل بلطافة الذهن الى الاستنباط والتخيُّل :

والنجـــمُ تَسْتَصْغِرُ الابصـــارُ رؤيتَـــه
والذَنْبُ للعـــين لا للنجم في الصِغَـــرِ

ولـــم يُعَلِّق المحقق بشيء ، ولـــم ينسب الشعر » .

وعبارة المؤلـــف ابن سعيد تنبيء عن منهجه ، وميله الى مدرسة ابـــي العلاء المعري وطريقته في التخيّل والغوص على المعاني . والبيت المذكور من سقط الزنـــد (١ : ١٦٢) . واذا نظرنا في كتاب ابـــن سعيد الآخر : (عنوان المرقصات والمطربات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول : ابـــو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيُّل .

ولـــو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لـــي ، ورأيتُ فيه مـــادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعـــب .

ونحـــن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرّزين » ، عذرا في بعض ما اشرت اليـــه في هذه المقالة ، لا نستطيع ان نلتمس العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه ان عمل ، ومن لا يعمـــل لا يخطىء !

• • •

امـــا (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) لابن سعيد فهو حقّـــا في حاجة الى تحقيق علمي متـــانٍ .

د. محمـــد رضوان الداية

الزميل المستشرق الجري عبدالكريم جرمانوس في ذمة الله

لعيسى الناعوري

لـم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد أكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبـأ في جريدة (البعث) الدمشقيّة الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبـأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبـد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقّـا ، وانسانا طيّب القلب ، عالِمـًا ، مُحبًّا لاصدقائه ومخلصا لهـم .

أول معرفتـي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباتـه في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كَتَبَ هو الـيّ اولاً ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسَعَى لاجل زيارتي للمجـر ؛ ونجح مسعاه،فزرتُ المجـر في كانون الاول عـام ١٩٦٤م ، وهنـاك سعدت بلقائه ، وأَنِسْتُ بمجالسته وتبادُل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتَفَضَّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قَدَّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدَّمَنـي كذلك الى الجمهور في احـد الانديـة الثقافية في بودابشت ، حيث القيـتُ محاضرة باللغـة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكـة الاردنية الهاشمية) . واكرمني كذلـك بدعوتي الى العشـاء في منزلـه هو وقرينته الحاجة عائشـة .

ولـم ينقطع تبادُلُ الرسائل بيننـا بعد ذلك . وآخرُ رسالة تلقيتها منه تحمل تاريـخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنهـا .

الى الاخ المحبوب العلامة الكبير نجيب الناعوري حفظه الله

عزيزي، بعد تحياتي القلبية اجد له انى تسلمت مع الشكر العظيم الكتيب المعنون "بمصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف" من اثر علماء المجمع العلمي في الاردن. واشكركم من صميم فؤادي لهذه الهدية القيمة - ان الثقافة العربية احيتنا انسانية في القرون الوسطى، وهكذا تخدم روح الجنس البشري اليوم باعمالها العلمية الادبية. ونحن في الغرب مضطرون لعرفان الجميل والشكران للاجتهاد الثقافي الذي تهديه مجامع اللغة العربية لنا أثناء هذه الايام الحالكة - ارجوه ان تقدم شكراي الخالصة الى رئيس المجمع وكل الاعضاء الكرام، وتقبلوا مع الاحترام والمودة بمخلصكم الحاج عبد الكريم جرمانوس

تموز ١٩٧٩ / ٢٨

أرجو منه ... ١٩٧٩/٨/٤

وقـد رَدَدْتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكاننا بالرسالتين تبادَلْنا تحيـةَ الوداع الاخير .

كـان المرحوم جرمانوس عضوًا لمجامـع دمشق وبغداد والقاهرة ، الى جانب عضوية المجمـع العلمي المجريّ،وعدد من المجامع العلميـة العالمية الاخرى . وحين علـم باننا في الاردن ايضا قد انشانا مجمعـا للّغـة العربية ، مُسَرَّ لذلك كثيرا ؛ وحينَ مَنَحَهُ المجمـع عضوية شرفه فيه ، أعتبَر ذلك مَجْدًا كبيرا لـه يَختتم بـه عمره المديد ؛ واهتمّـت بذلك صحف المجـر ومجلّاتها ومحافِلُها العلمية والادبيـة .

والعجيب في جرمانوس انـه كان ، رغم تمادي العمر ، كثيرَ الحيوية والنشاط : يقـرا ، ويكتب،ويؤلف ، ويترجم ، ويسافـر ، ويراسل أصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنـه الشبان . واذكر انني

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلـغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان بُدينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقـد كنتُ ، حين ارافقه في طريق ، أُضطَرُّ الى الجَرْي لكـي استطيع مسايرةَ مشيته الشبابيّة السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعُد قبـل سنة واحدة فقط من معهـد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لـي ساخرًا وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنـت « شابا صالحا للعمـل » ... والآن صرت في نظر الناس (هَرِمـًا) لا أصلح لشيء ...

وبعـد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عـام ١٩٧٤ ، كـان جرمانوس قد بلـغ التسعين من عمره ؛ فَكَرَّمَـه أصدقاؤه وتلاميذُه من علماءِ بلـده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حـول العالَـم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المَجَـريّ الاصلي ، وقد استبدل بـه بعد اسلامه اسم الحاج عبـد الكريـم جرمانوس . وكذلك زوجتـه السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجريّ النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشـة) ، وحَجَّت مع زوجهـا الى الديـار المقدسة، وكرَّسَت حياتَها معه لخدمـة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلاميـة .

ولـد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينّـا ، وليبتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نـال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعـة بودابشت في اللغـة التركية وآدابها، وفي اللغـة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغـات الشرقيّة المستشرق المَجَـريّ الشهير إينياس غولـد تزيهـر .

وفي سنة ١٩١٢ عُـيّن مُدَرِّسا في اكاديمية التجـارة الشرقية ، ثـم اصبح مدرّسا في كلية الاقتصاد منـذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عـام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهنـد الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بانشاء قسـم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرّس فيه الى سنة ١٩٣٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادّى فريضة الحج ، وشاء أن يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (اللّه اكبر) الذي طُبِعَ سنة ١٩٣٦ بالمجريّة ، ثم لم يلبث أن تُرجِم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيِّن استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى أن احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعِلمه ، منحه الكثير من المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة أو عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس أو المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيِّن عضوا مراسِلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيِّن عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيِّن عضوَ شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيِّن عضو شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيِّن عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعُلِيْكَرْه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، وذلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلميّة فاكثر من ان تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات وبحوث ودراسات ؛ وقد كُتِبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسير سرد ثَبْت بجميع مؤلفاته وبحوثه بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية وحدها ، وهو :

١ ــ بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦٩م.

٢ ــ حماية فلسفة التشريع الاسلامي ــ الاصالة / الجزائر ١٩٧٤م.

٣ ــ الاسلام كدين عالمي ــ ١٩٧١م.

٤ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية ــ ١٩٧٢م.

٥ ــ نهضة الادب العربي ــ ١٩٧٥م.

٦ ــ النظرة الاسلامية الى الحياة ــ مجلة رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة .

٧ ــ الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد ــ مجلة قافلة الزيت / الظهران ١٩٧٥م.

٨ ــ ذكريات عن الحــج ــ ١٩٦٩م.

٩ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلــة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠ــ عباس محمود العقاد ــ الاصالة / الجزائــر ١٩٧٧م.

وعــدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلــة المقتطف وغيرهــا في مصر .

ولقــد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابــة سيرتــه وجولاته في البــلاد العربية والاسلامية . وذكر لــي في بعض رسائله الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصــدر كتابا باللغة المجرية عنوانــه : "Az Arab Irodalom Tortenete تَحَدَّث فيه عمــا رآه في البلاد العربية، وعَمَّن عرفهم من أعــلام الادب والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البــلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا حافلا للفترة التي عاشــها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيــل الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاســلام الذي كان قد اعتنقه منــذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكــان من دواعي اعتزازي ان يتحدّث عني المؤلــف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهــم صورة لــي وجزءا من احدى رسائلي اليــه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالــم الجليل الحاج عبد الكريــم جرمانوس ، فان مجمع اللغــة العربية الاردني ليبعث الى روحــه الطاهرة باطيب التحيــة ، معربا عن الاسف العميق لفقــده .

رحمــة اللــه عليــه .

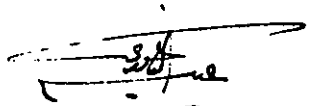

فقيد العربية

الأستاذ عباس حسن

(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

نَعَى مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي (ابريل سنة ١٩٧٩) ، الى علماء العربية ورجالها ، **الاستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والاستاذ السابق بدار العلوم** ؛ اختَطَفَهُ الموت وهو في أوج نشاطه الجسمي وتمة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوما عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، والاخيرة منها كانت قبل وفاته باسابيع قليلة ، كما انه لم يتغيَّب عن شهود اجتماعات اللجان المجمعية المتخصصة ، وآخرها — كما نُمِي اليّ — كان قبل بضعة أيام من لقائه وجه ربه الكريم .

كـــان الفقيد ، رحمه اللـــه ، **من أركان الدفاع عن لغـــة القرآن ، الذائدين عن الفصحى وسلامتها** ؛ كما كـــان في طليعة المنافحين عـــن قواعد النحو الاصيلة ، ومِنْ اصلبهم عودا في ردّ هجمات المتخفّفين منهـــا ، وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالي بحُجَجهم ولا يقيم وزنـــا لذرائعهم ، ولـــو ادى الامر بـــه الى شيء من اللَّدَد .

كـــان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن قدسيّة المتـــون ــ وقد آمن بها ــ ونَذَرَ نفسه لخدمتها،وتجديد عرضهـــا على من يطلبها ؛ شديد الكُرْه للنظريات المستحدَثة بأسم **((علم اللسانيات))** ، يدحض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبيسَها باللغـــة العربية ، ولا يُحجم احيانا عن وصـــف ادعاءات بعضهم الغيرةَ على العربية ، **بانها سُتـــور للتغريـــب والتهديـــم** .

دخـــل الفقيد الساحة ، والمعركة محتدمة بين انصار العربيـــة وخصومها ، وكان مع اهـــل اليمين،وسلاحه ، ككثير من المقاتلة ، ايمانٌ بالعربية لا حدّ لـــه ، وعلمٌ بأصولها وقواعدها قَـــلَّ نظيرُه ، وخبرةُ ايـــام خَلت ، امضاها في نقـــل هذا العلم الى طالبيه مـــا استطاع ، وغرْسِ ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبّلـــوه .

واختـــير فقيدنا باخرة ، **ليكون مـــع النخبة من علماء العربيـــة** ، يعملون ليل نهار في خدمة اللغـــة ودفعها لتُسايرَ ركـــب الحضارة العالمية المتسارعة في خطواتها ؛ والمتسابقة مع الزمـــن في اندفاعاتها .

وكـــان الفقيد في مجمع اللغـــة العربية مع طائفة قال اللـــه عـــز وجل فيها : (مِنَ المؤمنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا اللّـــهَ عَلَيْه فمِنْهم مَنْ قَضَى نَحْبَه ومِنْهُم من يَنتظِرُ ومـــا بَدّلوا تَبْدِيلا) .

* * *

زميـل جديـد :

في يـوم من ايام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعـة المؤتمرات في مجمع اللغـة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة الـى الصف المواجه لمقعـد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيـع مَن يجلس عليه ان لا يَدَع حركة في داخل القاعـة او خارجها تفوتُه . وتتالت جلسات المؤتمـر ، وقد الِفْتُ المقعد عينه ، أُسْرِعُ اليه كلّمـا كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يُجـاورُه .

وفي نهايـة الستينات دخلت قاعة المؤتمـر وجلست على المقعد إيّـاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهـم يدخلون القاعة ، **انتظر صديقا منهم يجاورني فانعم بجواره** ؛ غير انـي فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعـد المجاور ويحتلّه ، دون ان ترتّ عينه نحو مقعد آخـر . كان ربعة بين الرجال، يميل الـى القِصَر ، وما بقي من شعر رأسه قـد اشتعل شيبا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، وتقاطيعُه تنمّ عن جـدّ تُخالطه وحشة . **وكتمتُ ما شعرتُ** بـه ، واخذتُ اتظاهر بالبحث عن شيء بين اوراقي ؛ **ولم البـث** ان ادرتُ وجهي يمنة ، فـاذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عـن ابتسامة ، وبرأسه ينحني قليلا وهو يتمتم **بكلمات لم افهمهـا** ، فَقَدَّرْتُ انـه يحيّيني ويذكر اسمه ، **ووجدت نفسي أردّ تحيّته بمثلهـا** ؛ **ثـم** رُفِعَت الجلسة دون ان نتبادل شيئا مـا .

وفي جلسة اليـوم التالي **كان جـارُ الامس جاري** ، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ أُلقـيَ وفيه دعوة الى شيء من التحرّر في قواعد اللغـة ، تسهيلا لتعميم الفصحى **بين الناس** . وأُعطِيتُ الكلمةُ للزميل الذي يجاورني ، **فوقف يرتجل كلمـة واضحة ، هادئة، متسلسلة** الافكار ، ينكر فيهـا دعواتٍ تُرَدَّدُ **بين حين وآخر باسم تسهيل تعليـم** الفصحى ، مستنكرا التوجّه بأمثالها الى مؤتمرٍ مـا **انعقَدَ الا لخدمة** لغـة القـرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كـل

دعوةٍ ظاهرُها خدمة اللغـــة ، وما هي في الحقيقة الا من مُعاول هدمهـــا . ورأيتُ نفسي اشارك المؤتمرين ، الذيـــن اعلنوا تأييدهم لتعليق الزميل ، بالتصفيق . ومـــا لبث الزميل أن جلس والتفت نحوي وهـــو يبتسم ابتسامة أشْرَقَ بها وجهه ، **فبدا لي انـــه اصبح مطمئنا الـــى جواري** .

كـــان ذلك الزميل عالِمَ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه **بالامس القريب** ، وجاءني نعيُه مصادفة (١) ، رحمه اللـــه واجزل ثوابه .

لقـــد تنالت المؤتمرات ، وتعدّدت فيها الجلسات ، وحافَظ كـــلٌّ منـــا على مقعده.حتى في اللقاءات خارج المجمـــع ، كان الفقيد كثيرا ما **يانس بجواري ويسعى اليـــه** . واصبحنا صديقين نتبادل الاحاديث المتعلقة بشؤون المؤتمـــر وبرامج جلساته ورحلاته ؛ وفي شؤون كثيرة اخرى .

. . .

نبذة عن حياة الفقيد وآثـــاره

فتى أزهري « يتدرّعـــم » :

وُلِـــد عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها الفكرية ، والوعيُ اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قـــد تيقّظ ، وأخذ كثيرون ينادون بالعمل لتصبح « **الفصحى** » ، لغـــةُ العلم والثقافة ؛ لغـــة سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلا عن الخاصـــة .

---

(١) نعاه لي الزميل الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .

(الفقيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعدنان الخطيب)

والتحـــق الفتى عباس ، كالمئات من لِداته ، بالجامع الازهـــر ، يُحفظ القرآن ويتلقى مبادىء العلـــوم العربية ، على الطريقة الازهريـــة المتوارَثة . وشَعَر عبّاس بحـــبّ للعربية وعلومها يَعْلَق قلبه ، **فأخذ يفكّر في الانتقال الى « دار العلوم »** ، وقـــد شاع بين اقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من ان تنظيمـــا للدراسة في دار العلوم قد **أُقيـــمَ على أُسس جديدة جامعية** ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم العصريـــة .

مـــا لبـــث عباس ــ على حـــد قول **العالم الاديب الدكتور احمـــد عَمّار** ــ ان « تملّكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فَتَحَوَّل مـــن الازهر الى دار العلوم ؛ واذا بـــه يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لهـا ، على مدى أعوام دراسته في دار العلوم ، مـا أخلفته ولا فاتته عاما » (١) .

وأتـمّ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، متنقلا بـين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعانـا بين معلمي العربية ، **ممـا ساعد على ترشيحه ليكون مدرّسـا في « دار العلـوم »** نفسها ؛ حتى اذا ما تحوّلت الدار الـى كلّية من كليات جامعة القاهـرة ، كان عباس حسن أحـد أساتذة العربية فيها ، ومن ثـم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى أن بلـغ سنّ الاحالة على المعاش .

النحـو الوافـي :

اشتهـر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد تَوَّجها اخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة أجـزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مـع رَبْطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد أعدّه ـ **على حـد قوله** ـ إعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحويـة والصرفية » ، ومناهج هـذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذَيَّلَـه بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعـا وافيـا للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مُغْفِل الضوابط والاحكام التي قرَّرَتها المجامـع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قـدم الفقيد لكتابه « النحو الوافى » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علـم النحو في ذاته ، واثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليـه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضَمَّن هذه

---

(١) انظر الخطاب المجمعي في استقبال عباس حسن . ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمـع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتـاب « رأي في بعض الاصـول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « **دستورا** » ملزما نفسه باعتماده في التاليف ، موضحا خطته في تجميع مواد الكتاب ، عارضا تاريخ النحو منذ نشأته ، **وللشوائب التي داخلته ثم « نَمَتْ على مرّ الليالي ، وتغلغلت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشَوَّهت جماله ، واضعفت شأنه ، وانتهت به الى ما نرى**»(١).

وشرح الفقيد الغرض الذي رمى اليه من تاليف الكتاب ، وقد استعان « **بخبرة طويلة ناجعة ، وتجربة صادقة في تَعَلُّم النحو** ، طالبا مستوعبا ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّسا ، فأستاذا ورئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بكلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، سنوات طوالا » (٢) .

ثم أوضح « **الدستور** » الذي اقام عليه الكتاب ، وخلاصته في المواد التالية :

اولا ــ تجميع مادة النحو كلّه ، وما يتّصل به من الصرف، في كتاب واحد ذي أربعة أجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب طلاب الجامعات غاية المناسبة ، مذيّل بقسم مفصّل يلائم الاساتذة والمتخصصين اكمل الملاءمة وأتمّها .

ثانيا ــ العناية بلغة الكتاب وضوحا واشراقا وإحكاما واسترسالا .

ثالثا ــ اختيار الامثلة ناصعة ، بارعة في أداء مهمّتها .

رابعا ــ الفرار من العلل الزائفة ، وتعدُّد الآراء الضارّة في المسالة الواحدة .

خامسا ــ تدوين أسماء المَراجع في المسائل التي تتطلّب الرجوع اليها ، استجلاء للحقيقة او ازالة للوهم .

---

(١) أنظر ص ٤ من النحو الوافي .

(٢) أنظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادسا ــ عــدم التزام طريقة تربويــة معينة ؛ فقد تكون الطريقــة « استنباطيّة » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب مــا يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضــوع .

سابعا ــ تسجيل أبواب النحــو مرتبة ترتيب « ابــن مالك في ألفيّتــه » لشيوعه ومزاياه التي تلائــم العصر .

ثامنا ــ توثيــق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودهــا .

وختــم الفقيد مقدمته بقوله : « واللــهُ أرجو مخلصا ان يجعل الكتاب نافعا لغــة القرآن ، عونا لطلّابها ، محققا الغاية النبيلة التــي دعت لتاليفه ، والقصد الكريم من إعــداده » (١) .

عباس حسن ناقــدًا :

لــم يكن عباس حسن شاعرا ، ولكنه كان عروضيًّا ناقدا ؛ كــان شديد التذوّق للشعر، قديمِهِ ومُعاصِرِه ؛ وكــان في تذوّقه هذا ، **دقيــق الملاحظة عميقها ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنيّــة تكشف مواطــن الجمال والخيال الرائــع** ؛ ساعَدَه على ذلك ذوقٌ بلاغيّ نَمّاه واصَّلَه فيه الاطلاع الواسع على الادب العربــي ، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية وأساليبهــا البلاغيــة .

اقــام عباس حسن للنقــد الادبي **منهجا علميا** ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من اشدّ المعجَبين بأحمــد شوقي ، من الشــعراء المعاصرين ، وعندما اقــام موازنة بينه وبين المتنبــي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهمــا ، كان حُكمُه في القمّة مــن الانصاف . لــذا رايناه ــ كما يقول الاديب الكبير الدكتور احمد عمّار ــ على فرط اعجابه بشوقي : « قد نأى بحبّه ايــاه عن أن يكون باعثَ محاباة ، كما لــم يُضِنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلّــى واجــــاد ... » (٢) .

---

(١) انظر ص ١١ من المقدمــة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليــه سابقا .

قـــارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبـــي والخيال عند شوقي ، وبين المعاني لدى كل منهمـــا ، مستشهدا بشـعر منتقـــى من ديوانيهما ، ثـــم ختم مقارنته بقوله :

« ومـــن طرائفه ـــ شـوقي ـــ الساحرة اندلسيّته النونيّة التـــي يُعارض بها نونيّة ابـــن زيدون ، والتي أطلقَ فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما شاءت لـــه القدرة والحرية والبراعة التي اغْرَتْه بالجموح حينا ؛ وبهـــذه المناسبة نقول : ان خيال شوقي بـــادٍ في مختلف قصائده،شأن الذيـــن أتيحت لهـــم ثقافته وسياحاته ومُتَمُه ووسائلُ حياته ؛ وقـــد يتجاوز خيالُه حـــد الفَراهة المحمود الى حـــدّ الجموح . وقد يموج الخيـــال في قصائده ويجول ويمرح ، وقـــد يجمح ؛ وشوقي في خياله الهادىء أو الجامح خـــيرٌ من المتنبي وأقدر ، فكيف بـــه في الخيال الفارِهِ النشيط » (١).

الفقيد في مجمع اللغـــة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شَغَر في مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة مقعد كان يحتلُّه المرحوم علـــي بدوي ، **احد كبار اساتذة القانون اللامعـــين** ؛ وفي جلسة المجمـــع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنـــة ١٩٦٦ ، تـــمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، أحـــد كبار علماء اللغـــة العربية المتخصصين بالنحـــو ، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمـــع .

وعُقَـــد المجمـــع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٦هـ ، الموافـــق ٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضـــاء المنتَخَبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان أولهـــم مؤرخا ، وثانيهم قانونيا ، وأما الثالث فكان نحويا ؛ لـــذا كانت من أطراف جلســـات الاستقبال المجمعية ، **لِمَـــا جمعته من اصناف الرجال المتباينة بضائعهم** ، اذ كانت بضاعة الاول هـــي : الانسان والمجتمعات ، بينما بضاعة الثاني : النظام والدول ، وأمـــا ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمـــات .

---

(١) نبذة منقولة من كتـــاب « دفاع عـــن شعراء » تلوفيق الفكيكي . بيروت ١٩٧٥ .

ووقف الدكتور احمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن ؛ فلم يجد بُدًّا من ان يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحو ، **ذاكرا بعض المُلَح المرويّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم** ، مجتزئا من معابثاته مع صديقه عباس بمُلْحَة « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو أوتار حسه ، وملأ عليه أقطار نفسه .

قلتُ له يوما في احدى ندواتنا الادبية التي نعقدها في أمسية محددة من كل اسبوع : ما انا من رجال النحو ، وانما شأني معك شأن ذلك الاعرابي الذي قال :

ولستُ بِنَحْوِيّ يلوك لسانُه ولكنْ سَليقيٌّ اقولُ فأعربُ

فقال : يلوك لسانُه أم يلوك لسانَه ؟ فَلُذْتُ بالصمت ايثارا للسلامة ، وخشية التورّط فيما أُقَصِّر عن المباراة فيه » (١) .

على ان الدكتور عمّار ، وهو يتحدّث عما يُسْتَشْعر به الناس من ثقل في النحو ، وعمّا تحفل به الكتب من **أفاعيل للنحاة هي بأفاعيل الحواة اشبه واشكل** ، استطاع،وهو العالم الاريب،ان ينتزع من زملائه بعض ما بثّه فيهم رهبةً من أفاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعالِمُنا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو له في هزله أن يصطنع بعض تلك الافاعيل ، فانه **في جِدّه لشدّ ما يستكره ويستنكر كلّ ما يعتور النحو من حِيَل مستَثْقَلات ، وتقديرات نخبايا انيّات ، وإرجاف بخفايا المضمرات** ؛ بل ان حبّه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدلّهه فيه مستهاما به صبا ، واستيقانه انه من أجلّ علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن أن يشنّها حملاتِ صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارَف المعايب ومتناقَل المثالب » (٢) .

---

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور عَمّار بما جاء في حملات صديقه على من يُلْصِق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين ينتعلون المُلَح للتندّر والارتزاق . وأتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب « الحيوان » ، للجاحظ ، مستنكرا ، « وهي أن معترضا قال للأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما لك تُقَدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ فأجاب قائلا : **أنا رجل لم أَضَعْ كُتُبي ابتغاء وجه الله ولا زلفى اليه** ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتُها على النحو الذي تريدونه ، لَقَلَّتْ حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وأنا غايتي الكسب ، فوضعتُ بعضها مفهوما لتَدْعُوَهم حلاوةُ ما فهموه الى التماس فَهْم ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأْس علوم اللغة ، وعن سمعة النحاة الذين جَمَعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا صَرْحَها شامخا ركينا ، كما قال أحد كبار الفقهاء ، أثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبله اليوم، فقد « **استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ، ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارَى في الانصاف والتقدير بعض زنادقة اللغة** ، لِهَوًى مدخول أو حِقد كامن ، أو جهالة بقدر اللغة وأهلها » . ثم خاطبَ عباس حسن زملاءه طالبا منهم التأسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئسْ علماؤنا بما كان ويكون **من خوارج هذه الايام** ، فتلك شنشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع داخل الصف :

لا يحْسَبَنّ الذين يُقرأون مقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ، أن اقرارها **كان سهلا هيّنا** ، فكم من حوار امتدّ زمنا حول قاعدة لغوية أو حول مدى التقيّد بها ، وكم من مناقشة حادّة جرت حول إثبات كلمة أو حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

---

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قـرار في مسالة من مسائل اللغـة ، ، وكـم من الوقت استغرقه اقرارُ او رفضُ متَّرح عُرِض على مؤتمر المجمـع ؟ !

لعـل عباس حسن ، يـوم دخل مجمع اللغة العربية ، كـان يعتقد بان عناءه في خدمة لغـة القرآن سيُخفّ عما كان قبل دخولـه ، فقد أصبح من النخبة من علمـاء العربية العاملين على خدمتها ودفعهـا لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث **ان وجـد نفسه وحيدا** أمام اعضاء مِنْ دَابِهِم التحرّش بالنحـو والنحويين ، شأن القدامى من العلمـاء ، ومنهم من يجاهر بكُرْهِه للمُتـون ، ولا يقيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تَعُـدْ تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعلَّه ، رَحِمَه اللـه ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهـم من غلاة الغيارى على العربية يـوم أنكروا عليه القول بـ (**تحديث**) اللغـة لتسايـر العصر الحديث ، وهـو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن (**علـم الحديث**) اذا كان للتحديث أكثر من معنى في المعجـم [1] !

التـزم فقيدنا في مجمع اللغـة بخطٍّ اختَطَّه لنفسـه ، غيرُ مُبالٍ بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما **تراه في اقصى يمين هؤلاء مرات عديدة ، تراه احيانا في اقصى يسار اولئك** ؛ وليس لك ان تعجب ، لان الفقيد ألْـزَم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قـال بها علماء اللغـة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد إلتي آمـنَ بها أسلوبا وحيداً للحفـاظ على اللغـة وإنمائها .

وعندما اختلف راي المجمعيّين حول اجازة ادخال لفظـه « **مناورة** » في المعجم على أحـد الوجهين التاليين :

الاول ــ ان من معاني « المنـاورة » : الدهاء ، فمن حقها أن تثبت فـي المعجم في مـادة (**ن و ر**) التي تحمل معنى الخداع والحيلـة .

---

(١) أنظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عدد ٣ .

الثاني ــ ان لفــظ « مناورة » معرب ، ومنقول بدلالتيه الحربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجــم في مــادة (**م ن أ**) .

وقــف الفقيد مع أصحاب الراي الاول ، ليعلن أن وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثــل : المداورة والمراوغة والمشــاورة والمحاورة ، وليس في قواعــد العربية ونصوصها ما يمنع من أن تدخــل الكلمة في مــادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مــواد (د و ر ، و ر و غ ، و ش و ر ، و ح و ر) فهــي مثلهن عربيــة ، وان لــم تَرِدْ في المعجمات ؛ وكأنه يقول **بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهــاء ، امــا معانيها الحديثة فهي من قبيل المجــاز المستحدث** (١) .

وعُرِضَت على المؤتمــر ، في دورته الاخيرة ، كلمة (**التطبيع**) بمعنى **(جعلها طبيعية)** ، كمــا تردَّدَتْ على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيــد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنــع مــن اجازة الكلمة بالمعنى المذكــور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هــذا المعنى السياسي الجديد **رَفَضَتْه الاكثرية عنــد اعلان التصويت عليه** (٢) .

وعندمــا وقف بعض المتشددين من المجمعيين ينتقد استخدام الكُتّاب والصحافيين لفظــة (**تواجَدَ**) بمعنىً لا تُقِرُّه معجمات اللغة ، ثــار الفقيد **مبرئا العربية من الجمــود الذي توصم بــه** ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجَــدَ) المعنى الذي يريده المعاصرون ، **فمَثَلُها مَثَــلُ : (تكاثَــرَ) و (تناسَــل)** (٣) .

شمائل الفقيــد ومزاجه :

خَبِــرْتُ الفقيد خلال عــدد من السنوات ، بمجاورتي لــه في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغــة العربية ، فما عرفت عنه الا رقّــة

---

(١) أنظر المصــدر السابق .

(٢) أنظر المصــدر السابق .

الشمائل ، مع اقتصاد في المجاملات المتعارف عليها بين الزملاء . كان رحمه الله ، عفّ اللسان ، صافي السريرة ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة او مواربة ، او يُصْمت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحق انسان فيه انحراف او عنده زيغ .

كان **خجولا** ، لا يجلس الا جنبَ من يأنس اليه ولا يتطفّل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدْعَ اليه ؛ كان هادىء الاعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أُثيرت ، مع كثرة المنغّصات .

لم اشعر يوما بِكُرْهٍ يُضْمره نحو احد ، ولو كان ممن يُكثر الغمز واللَّمز من النحو او النحاة ؛ وكثيرا ما سمعته يردد جملة **(هداه الله)** .

كان الفقيد ، اذا ما استقرّ به المقام ، نَثَرَ دفاتره واوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُذَكِّره بالمواضع التي عليه ان يتنبّه لموعد عرضها ، فيبدي اعتراضه عليها او نقده لها ، او دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر تُسعِفُهُ بالادلّة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، **وحتى بارقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه .**

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكفُّه مفتوحة تشير دائما الى ان صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يمناه تعبث بالاوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات . وهو يحاول ان لا تفوته كلمة ممّا يدور ، وكثيرا ما فاته الاذن بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة عندما يشعر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ، الا اذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عنيه ، **فكان يرفع يمناه الى اقصى ما يستطيع لينال الاذن بالكلام** ؛ واحيانا كان لا يتاخر عن الوقوف ليعلن انه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

يعتقد صوابه ، شديدا في مهاجمة مـــا سمعه او ما يراد اقراره ، مبيّنـًـا وجـــه الصواب المتّفق مع النصوص ، تاليا لهـــا او مشيرا الى موضعها .

كـــان الفقيد يحاول ان لا يُرُدّ على زميل من غير المصريين لا يعرفـــه ، قبل **أن يميل نحوي سائلا عن هويـــة المتكلّم ومشربه** ، كـــي لا يتعدّى حدود الموضوع الى البواعث الخفيّـــة .

كـــان وطيسُ المناقشات يَحْمَى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغـــب فقيدنا في الكلام **انتظر الاذن ليبداه . ولـــم اره مرّة يقاطع متكلّما** ، علـــى كثرة الذين كانوا يقاطعونه ، حتى اذا انهى الراي الذي يريـــد ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لتقـــراه الاجيال الناشئة ، استراح غـــير عابىء بصدى كلامـــه عند سامعيه ، وغير مهتمّ براي منكِـــرٍ او مستَهْجِن .

كان،رحمه اللـــه ، كثيرا ما يغضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، او عـــن التقلّصات التي تعلو وجوه بعض آخر ، غير ملتفت الـــى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايـــدي ، **وفيها البيت او البيتان من روائع « شعر البدائه » غمزا** بالنحو والنحويين . وان أَنْسَ لا أَنْسَ يومـــًا وقَعَتْ بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا بـــه يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهـــو يقول : **رائع .. ولكن** لـــو كان (كذا) بدل (كذا) **لكان القول ابلـــغ .**

كمـــا اني لا انسى يوما قرأتُ فيه قطعة ادبية صَنَعَها **المرحوم محمـــد كامل حسين ، صاحب « النحـــو المعقول »** (١) ، فيها تَهَكُّمٌ على النحويين وسخرية بآرائهم وتعقيداتهم ؛ ثـــم علمت بأن عباسا ، تغمده اللـــه

---

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ ــ ١٩٧٧) كـــان أحد عباقرة العلم والادب والنقد ، وكان جرّاحاً ماهرا وفيلسوفا اديبًا ، وناقـــدًا يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكـــره أساليب النحويين القديمـــة وتعليلاتهم ، له،فضـــلا عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من اهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريـــخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعـــــات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطّلع عليها ، ولكنه لـم يخرج عن قوله :

« سامحَـه اللـه » .

كـان فقيدنا ، رحمه اللـه ، يُحَلِّق في اجوائه منفردا ؛ كانَ أُمَّـةً وحده . أجزل اللـه ثوابه ، وعوَّض العربية خـيرا .

دمشـق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنـان الخطيـب

« تِـين إيجرز » = « عَشَرِيُّون »

جـاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاسـد عنوانـه : « العشرينات والعشرينيّات » ، ظهر في العـدد الاول من هذه المجلـة (عـدد كانون الثاني ١٩٧٨) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله إننا نحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة « تين ايجرز » الانكليزيـة .

وأنـا مِثْله لا اعرف أن العرب استَحدَثوا قبل اليوم مصطلحا عربيا يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معنـاه .

ولقـد رَدَّ الزميل الاستاذ روكس بـن زائد العزيزي في العدد الثاني من المجلة (عـدد تموز ١٩٧٨) في الصفحة ١٨٢ ، على مقـال الدكتور الاسد ، بأن « الارادنة يقولون ، وهـم يذكرون الفتاة والفتى في ما بـين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالطِّعْش ! » .

العامّـة يقولون هذا حقا ؛ فالقضية محلولة بالنسبة الى اللهجة العامية ، لان هذا اللفظ موجود فيهـا ، فيقال : (ثلاث طِعْش ــ اربع طِعْش ــ الـخ) وليس في الاردن فقط ، بـل في كـل بـلاد الشـام ؛ كما أن المصريين لا يختلفون في هـذا كثيرا عن الاردنيين ، اذ يقولون : (ثلاث طَعْشَر ــ اربع طَعْشَر .. الـخ) . واما العربية الفصيحة فليس فيهـا شيء من ذلك ، ولا يُعقَل بأيّ حال ان تستفيـد من المصطَلَح العامي الثقيل علـى اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي انما قَصَدَ في ردّه المداعبة ، ولم يكن جادًّا في ما قالـه .

وقـد خطر لى أن لفظة « عَشَرِيُّونَ » يُمكن ان تؤدي المعنى بدقّةٍ ولطف معا ، قياسا على مـا ذكره الدكتور الاسـد نفسه في مقالـه المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشاعـر :

بِنْتُ عَشْرٍ لم تعانِق رَجُلاً صُوِّرَ البدرُ على صورتهـــا

فقـــد عَلَّقَ على ذلك قائلا : « ان الشاعر لـــم يقصد الى تحديد سن العاشرة ... وانمـــا اراد هذه السنَّ التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » (ص ١٤٤/١٤٥) . وهذا حـــقّ ؛ فليس حتما أن تعني « العشرة » رقمها وحده ، بـــل يمكن أن تشمل بقية الاعـــداد المركّبَة . ولهذا يمكن ان نقول ببساطة : « هـــذا فَتَىً عَشَرِيٌّ ـــ وهذه فتـــاة عَشَرِيَّة » ، ونحن نعني سنّ العشرات ، لا السنوات العشر فقـــط .

اذا جـــاز هذا ـــ ولستُ ارى ما يَمْنَع من جوازه ـــ فـــانّ انسب لفظة عربيّة تقابل « تين ايجرز » الانكليزية هـــي « العَشَرِيّون » ؛ وهذه لفظة سهلة ، يتقبّلها الذوق ، وتَدُلّ على معناهـــا دون غموض او تعقيد او جفـــاء .

ومـــن الممكن ان تقترن احيانا بالموصوف ، فيقـــال : « الفِتْيـــانُ العَشَرِيّون » ، كما أن بقاءها وحدها يكفـــي للدلالة على المقصود ، لانـــه لا يمكن أن تَرِدَ الا في جملة تدلّ على أن المقصود هو الفِتْيان والفتيـــات الذين هـــم في سن العشرات .

وقياســـا على ذلك يُمكِنُ ان يقال لِمَـــن هـــم في سن العشرينات او الثلاثينـــات : (العِشْرينيّون ، أو الثلاثينيون ... الخ) ولمـــن هـــم في سن الثمانينات أو التسعينات : (الثَّمانينيّون أو التسعينيّون) . ولعلـــه ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع أن يقـــال : « شيخ ثَمانينيّ » أو « شيخ تِسعينيّ » ، دون تحديد للثمانين أو التسعين من عمـــره .

* * *

عيســـى الناعـــوري

اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمّى في اللغات الاجنبية : تريتيكالـــي TRITICALE

تريتيكالـــي هو اول محصول للحبوب يوجده الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلـــم Secale ؛ وتَوَلَّـــدَ الاسم لهذا المحصول الجديـــد Triticale من المقطع الاول والثانـــي للاسم العلمي للقمـــح Triticum ، والثاني والاخير للاسم العلمـــي للشيلـــم Secale . ودَرَجَ كثيرٌ من العرب المشتغلين في مجال علـــوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هـــذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولتُ منذ مـــدّة ايجاد اسم عربي ــ يضاف الى لغتنـــا العربية التي نعتزّ بهـــا جميعا ــ لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقـــة نفسها تقريبا التي تَوَلَّـــد عنها الاسم الجديد في اللغات الاجنبيـــة . وذلك بأخذ بعض المقاطع من كلمة (قمـــح) وكلمة (شيلم) وضمّهـــا الـــى بعضها البعض .

واذا مـــا نظرنا الى كلمة (قمح) فانها تتكوّن في نظـــري مـــن مقطعين: (قـــم) و (ح) ؛ أمـــا كلمة (شيلم) فهي تتكون ايضـــا مـــن مقطعين اثنين (شيـــ) و (لـــم) .

واذا مـــا افترضنا ان الاسم العربي الجديد الذي نبحث عنـــه لهذا المحصول لا بـــد أن يبدأ بالمقطع الاول من كلمة (قمح) أو (شيلم)، لان هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فـــان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئـــذ هـــي :

١ ــ قملـــم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـــم) والاخير من كلمة شيلـــم (لـــم) .

٢ ــ قمشى ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـــم) والاول من كلمة شيلم (شيـــ) .

٣ ــ شيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شيـــ) والاخير من كلمة قمـــح (ح) .

٤ ــ شيقم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شـــي) والاول من كلمة قمح (قـــم) .

واذا مـــا استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولّدة لدينـــا والمبينة اعلاه، من حيث سهولة النطق بهـــا ووقعها على اذن الســـامـــع العربي، فاننا نجـــد أن :

١ ــ قملـــم : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ ــ قمشـى : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ ــ شيح : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لهـــا عيبا كبيرا وهو انـــه عندما يساء نُطقُها (بكسر حرف الشين) يحصل التباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو بَرّيًّا في بعض البلاد العربية وهـــو : شِيح (نكرة) والشِّيح (معرّفـــا) .

٤ ــ شُيْقَم : اخـــفّ من كلمة قملم وقمشى، ولها وقـــع موسيقـــي ومستســاغة ايضا ، مع عـــدم وجود الالتباس بينها وبين اي كلمة عربية اخـــرى .

وعليـــه فان : "شُيْقَم" هو احسن اسم عربـــي بين هذه الاسماء الاربعة يرشّح لمحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصغير
كلية الزراعة / جامعة الفتح
طرابلس / ليبيـــا

نعـــي عالـــم جليـــل

ينعـــي رئيس مجمع اللغـــة العربية الاردني وأعضاء المجمـــع زميلهم العالم الجليل المستشرق المجـــري :

الحـــاج عبد الكريم جرمانوس

الذي انتقل الى جوار ربـــه بعد أن تجاوز الخامسة والتسعين من عمره . وكان المرحـــوم عضوا في مجامـــع القاهرة ودمشق وبغداد، وفي عِدّة مجامع علمية غربية وشرقية.

حاجي عبد الكريم جرمانوس
مع المودة والاجلال
٦٥/٧/٦

وإنّ المجمـــع الاردني اذ يعرب عن أسفه الشديد لفقد هذا العالم الجليـــل والزميل الكريم ، ليتقـــدّم بتعازيه الى أسرة الفقيد ، والى الحكومة المجريـــة وجامعة بودابست . تَغَمَّدَه اللـــه بواسع رحمته ورضوانه .

وانا للّـــه وانا اليه راجعون .

المجمع العلمي الهندي

تلقّى رئيس مجمع اللغة العربية الاردني رسالة من الدكتور مختار الدين احمد ، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكرة والامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، في الهند ، جاء فيها ما يلي :

« يُشرّفنا ان نخبركم باننا هنا ، بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند ، اسّسْنا مَجْمَعًا علميًّا عربيا باسم (المجمع العلمي الهندي) ، واصدرنا مجلّة علمية عربيّة باسم (مجلّة المجمع العلمي الهندي) ؛ نتمنّى وندعو الله ان تكون هذه المجلة مجلّة علمية ادبية خالصة ، وتكون همزة وصل بيننا وبين ابناء العروبة ، وتكون ملتقى الاقلام من علماء الشرق والغرب ، وتحمل لواء اللغة العربية في القارّة الهندية العظيمة . وقد صدر العدد الاول منها ، ونرجو ان يلحق به العدد الثاني في المستقبل القريب » .

ونحن نبارك للمجمع العلمي الهندي ، ونتمنّى له الازدهار والعمل المثمر الناجح .

* * *

انتخاب اعضاء من المجمع الاردني اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي:

تَلقّى الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، والاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ، عضو المجمع ، وعيسى الناعوري ، الامين العام للمجمع ، رسائل من الدكتور مختار الدين احمد ، الامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، يبلغهم فيها انتخابهم اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي . فللمجمع الشقيق خالص الشكر والتقدير .

المجمع العلمي العراقي

قرر المجمع العلمي العراقي في جلسته الثالثة التي عُقِدَت يوم الثلاثاء ١٦/١٢/١٣٩٩هـ ، ٦/١١/١٩٧٩م. ، انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية الاردني وجميعَ اعضاء المجمع ، وعَدَدُهُم اثنا عشر عضوا ، اعضاء مؤازرين في المجمع العراقيّ الشقيق . وقد تَلَقّى كلٌّ منهم كتابا بهذا الصدد من الدكتور صالح أحمد العلي ، رئيس المجمع .

والمجمع الاردني ، برئيسه واعضائه ، يعتزّ بهذا التقدير الكريم من المجمع العراقي الشقيق ، ويعتبر هذه البادرة تكريما يستحقّ اجمل الشكر واعطر الثناء ؛ وهي ايضا مسؤولية علمية وامانة في حمل رسالة اللغة العربية العزيزة بمزيد من الهمّة والنشاط والغَيْرة ، لكي تعود لغةَ علم وحضارة في يومها مثلما كانت في أمسها الغابر المجيد .

ونُفَتِّنا الله جميعا الى الخدمة المثلى للغتنا وتراثها الغاليين .

* * *

من اجل تعريب التعليم العلمي الجامعي

صَدَرَ عن مجمع اللغة العربية الاردني اخيرا كتاب الرياضيات (حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية) ، تأليف سووكوفسكي وترجمة لجنة من اساتذة الجامعة الاردنية المختصين ، في مجلّدين كبيرين . وهو الكتاب الاول من سلسلة الكتب العلمية الجامعية التي قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن حملته الرامية الى تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية . وقد أَرْسَلَ المجمعُ نسخة منه الى كل واحدة من الجامعات في الوطن العربي للعلم .

هذا وسَتُصْدِر قريبا كتب (الكيمياء ــ والبيولوجيا ــ والجيولوجيا). واما كتاب الفيزياء فسيتأخر بعض الوقت .

والمجمع يرجو ان تجد حملته اصداءها المرجوّة لدى الجامعات العربية الموقّرة ، بعد أن اصبحَ تعريبُ التعليم العلميّ ضرورةً مُلحّة ، تستدعيها كرامةُ اللغة ، والحرصُ على دعمها .

* * *

تعريب المصطلحات

اَقرَّ مجلس المجمع في الآونة الاخيرة المصطلحات العسكرية الخاصة بسلاح المدفعية ، وسلاح اللاسلكي ، واللوازم والنقل،والتموين العسكري . وسينظر قريبا في مصطلحات سلاح الهندسة ، تمهيدا لاصدارها في معاجم خاصة ، لكلّ سلاح على حِدَة .

ولم ينسَ المجمع الجهدَ الكبير الذي بُذِلَ في وضع (المعجم الموحّد) الذي اشتركت فيوضعه الجامعة العربية ، والمجامع اللغوية والعلمية ؛ فهو جهد كبير يستحق التقدير والاجلال . غير أن جُهْدَ المجمع قد اقتصر على الاضافات التي رآها الخبراء العسكريون الاردنيّون ، وما ارتآه المجمع والخبراء من تصويبات لبعض المصطلحات الواردة في (المعجم الموحّد) . وبذلك يكون جهد المجمع مكملا لجهد اللجان التي عملت في وضع المعجم الموحّد .

ومن جهة اخرى ، فرغت اللجان الفنّية في المجمع من حصر مصطلحات التعليم المهني والتقني ، في الزراعة والصناعة والتجارة ، من واقع الكتب المدرسية ، لترسلها بواسطة وزارة التربية والتعليم الاردنية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، في الرباط ، لادخالها ضمن برنامج عمل المؤتمر الرابع للتعريب الذي سيُعقَد عام ١٩٨٠ .

غير أن هذه المصطلحات عينها ستناقَش في اللجنة العامة للمصطلحات والتعريب والمعاجم ، ثم في مجلس المجمع ، لوضعها في اللفظ الأدَقّ والأسلم ، ثم اصدارها في معاجم مستقلّة ضمن منشورات المجمع .